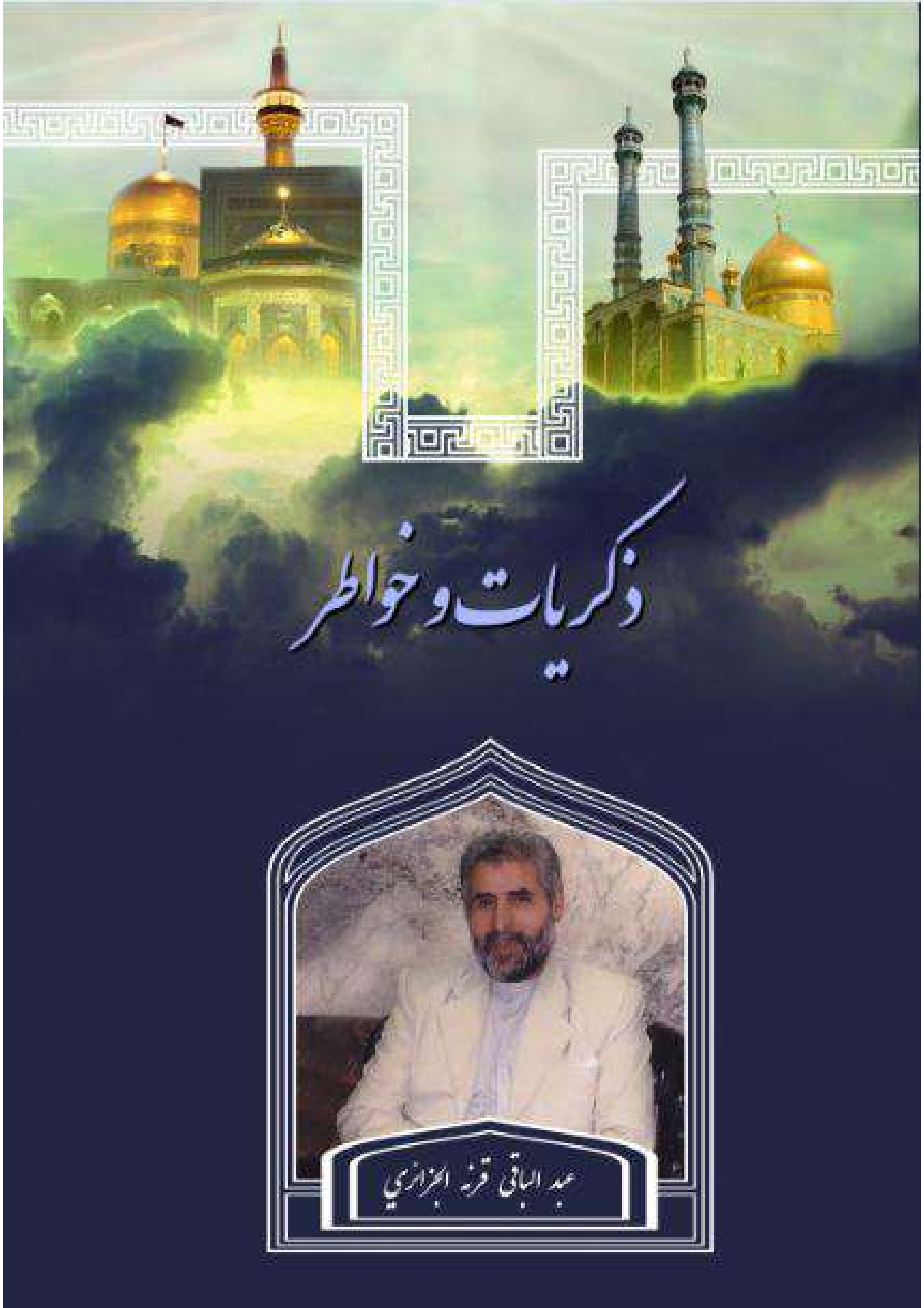

ذكريات وخواطر
عبد الباقي قرنة الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم





ذكريات و خواطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، محمد الصادق الأمين، وآله الطيبين الطاهرين.

اللهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النّفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدّعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين.

ربّما كان الذي دعاني إلى الكتابة الإحساس بالمسؤولية والاستجابة لصوت الضمير، وربّما كان أمرا آخر لم يصل في الوضوح إلى الدّرجة التي لا يبقى معها غموض. لكن الذي لا أشكّ فيه فيما بيني وبين الله تعالى هو أنّني عقدت العزم هذه المرّة على الخوض في موضوع مختلف، مع أنّني لا أكتب عادة إلاّ التراجم التحليليّة، التي تتعلّق بالشخصيّات المشهورة في تاريخ المسلمين: عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، والذين في قلوبهم مرض، وأصحاب العقبة الذين حاولوا اغتيال النبيﷺ، وأسماء ومواضيع أخرى في طريقها إلى الطبع إن شاء الله تعالى. ولا أزعم فيما أكتبه اليوم أنّني أتكلّم باسم جماعة أو فريق أو صنف من الناس، أو أعبّر عن اهتمامات أو تطلّعات من لا يجدون طريقا إلى إعلان ما يعتلج في

خواطرهم ويختلج في بواطنهم. كل ما في القضيّة أنني أعتبر ستّا وعشرين سنة في ظلّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام كافية للتّعبير عن التّجربة وحدودها و آفاقها، وما يرتبط بها.

كثير من الذين عرفتهم في هذه المدّة نصحوني بالكتابة حول تجربة الاستبصار، نظرا لما في ذلك من الفائدة لدى الموالين، وبراءة الذمّة عند المخالفين، ومع أنّني أستحسن الفكرة، إلا أنّني أجد كتابة قصص الاستبصار على أهمّيتها بقيت ناقصة، خالية من الملاحظات الهامّة بخصوص العمل الرّسالي وما يتعرّض له الدّعاة من طرف القريب والبعيد على حدّ سواء. ولهذا فإنّني أنصح من يكتب قصّة استبصاره أن يضمّنها أحاسيسه وملاحظاته بخصوص الواقع، والتجارب الخاصة، لأنّ واقع المستبصرين الوافدين لا يخلو من مرارة تصل أحيانا إلى درجة السّخرية والاستهزاء، وتكشف أحيانا عن مدى غياب الوعي لدى أناس قد يكونون في مواقع حبّذا لو لم يكونوا فيها. والذي يسمح لي أن أتحدّث بصراحة ووضوح هو أنّني عشت تجربة لم أخطّط لها، ولم أحاول استغلالها لشيء ما، لأنّها في نظري أعزّ وأغلى من أن تطالها الإغراءات، وأمنع من أن تنال منها التّهم والتّشكيكات. إنّها ـ في نظري ـ رأس مال معنوي عظيم إذا صحّت النيّة وصدق العزم.

الاستبصار أو التحوّل، ظاهرة لم تعد تخفى على الملاحظين والمراقبين؛ والمستبصر شخص كان على مذهب من المذاهب الإسلامية، أو دين من الأديان، ثم وفّق للتّعرف على أهل البيت عليهم السلام، واختارهم أئمّة له دنيا وآخرة، وحاول السّير في ظلّ هديهم جهد الإمكان. ولقب المستبصر لن يفارق الوافد من مذهب آخر حتى تفارق روحه جسده، هذا مع أنّ الفعل "استبصر"[1] هو شأن "استغفر" و"استفزّ" و"استنطق" و"استسقى" و"استطعم" و"استعفى" و"استحضر " يدلّ على حدث آنيّ قد لا يدوم إلاّ لحظات، لكنّه في قضيّة الوافدين من مذاهب إسلامية إلى رحاب أهل البيت عليهم السلام يختلف تماما. ويبقى المرء يدعى " المستبصر" بعد عشرات السّنين من استبصاره؛ بل تجاوزت القضيّة الوافد نفسه إلى أولاده، مع أنّهم شيعة موالون بالولادة، لم يعيشوا إلاّ في ظل أهل البيت عليهم السلام، لكن بما أنّهم أبناء مستبصرين، تنتقل التّسمية إليهم تلقائيّا شأنها في ذلك شأن الجنسيّة. هذا من المؤسف المحزن، وفيه تجاهل لشخصيّة جيل ولد على ولاء أهل البيت عليهم السلام، إذْ متى كان أولئك الشّباب والصّغار على غير مذهب أهل البيت عليهم السلام كيما يقال عنهم " مستبصرون "؟!

وبالمناسبة، في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام عبارة تشعر أن الاستبصار غير ما نخوض فيه نحن، وهي قول الإمام الحسين عليه السلام: " عميتْ عيْن لا تراك عليْها رقيبا و خسرتْ صفْقة عبْد لمْ تجْعلْ له منْ حبّك نصيبا. إلهي أمرْت بالرّجوع إلى الآثار فأرْجعْني إليْك بكسْوة الأنْوار و هداية الاسْتبْصار، حتّى أرْجع إليْك منْها كما دخلْت إليْك منْها

١- بدون همزة شأن كل الأفعال الخماسية، ومن الأخطاء الشائعة كتابته مهموزا .

مصون السرّ عن النّظر إليْها، و مرْفوع الْهمّة عن الاعْتماد عليْها، إنّك على كلّ شيْء قدير".

لا زلت أتذوّق العبارة، لكنني عاجز تفسيرها لنفسي فضلا عن أن أفسّرها لغيري.

للتأمل

هناك كلمات كتبتُها منذ سنوات، في بحث يتعلّق بجيل الصّحابة، لا أرى بأسا بإيرادها هنا عسى أن يستفاد منها.

قلت: يولد الواحد منّا في بلد لم يخترْه، ومن عشيرة لم يخترها، ويجد أمامه ثقافة جاهزة ينصهر فيها، ويتلقّى من المعارف ما شاء الله له أن يتلقّى قلّ أم كثر، ثمّ ينضج فكره ويصبح صاحب رأي وموقف. ثمّ يأتي عليه يوم يلاحظ فيه تناقضات كثيرة بين ما يؤمن به وما يمارسه، وهنا تبدأ المعركة الداخلية بينه وبين ضميره ؛ معركة داخل الإنسان بينه وبين نفسه. معركة بين الاستجابة للحقّ وبين اتّباع الهوى، بين السموّ الروحي وبين الهبوط الحيواني، وبعبارة قرآنية " معركة السرائر ". ماذا يقول الإنسان في سريرته حينما يلاحظ تناقضا في دينه؟

وهنا يفترق الناس. منهم من يريد العافية والمحافظة على وضعيّته الاجتماعيّة، فلا يرى نفسه مكلّفاً بشيء،إذْ﴿لا يكلّف اللّه نفْسًا إلاّ وسْعها﴾ ! وهذا الصّنف من النّاس ليس لديه احترام لنفسه، لأنّ أهون شيء عنده دينه. فهو إذا أراد أن يأكل تخيّر أفضل الأطعمة، وإذا أراد أن يلبس تخيّر أفضل الألبسة، وإذا أراد الزّواج فلا تسأل عن الخبر، حتى إذا تعلّق الأمر بالدّين تساهل وتسامح وغضّ الطرْف واعتبر كلّ شيء صحيحاً ومنّى نفسه الأماني، وتذرّع بقول الله سبحانه و تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾.

و منهم من يكون قد تقدّم في تديّنه بحيث يستمع إليه إذا تكلّم، ويستشار ويستفتى، وقد يترقّى اجتماعيّاً بسبب تديّنه، حتى إذا تشابهت الأمور كان أهمّ شيء عنده ألاّ يفقد منصبه الدّيني ووضعيّته الاجتماعية،

فيجنّد نفسه للدّفاع عن ذلك، ويتخلّف عمّا عاهد عليه الله من الصّدق والإخلاص، فيغتنمها منه الشّيطان ويصيب منه المقتل، فيفتح له باب الإفتاء ويحيطه بالشّبهات، ويعتّم عليه، ويطلعه على أقوال شيوخ السّوء ممّن ساءت نيّته وتلوّنت سريرته فخذله الله تعالى ووكله إلى نفسه .
وهذا الصّنف يصدق عليه قوله تعالى : ﴿واتْل عليْهمْ نبأ الّذي آتيْناه آياتنا فانسلخ منْها فأتْبعه الشّيْطان فكان من الغاوين*ولوْ شئْنا لرفعْناه بها ولكنّه أخْلد إلى الأرْض واتّبع هواه فمثله كمثل الْكلْب إن تحْملْ عليْه يلْهثْ أوْ تتْركْه يلْهث ذّلك مثل الْقوْم الّذين كذّبواْ بآياتنا فاقْصص الْقصص لعلّهمْ يتفكّرون﴾[1].

ومنهم من يبقى حائرا متردّدا لا يدري ما يفعل، إذ لا هو مقتنع بما هو عليه، ولا هو مطّلع على بديل، فيخشى على نفسه الضّلال، خصوصاً إذا كان دينه من قلبه بمكان.

ومنهم من هو في غنىً عن الوضعيّة الاجتماعيّة والمنصب، ومع ذلك لأسباب يعلمها الله تغلب عليه الشّقوة ويؤثر الباطل على الحقّ، ويصبح من دعاته المتفانين . . .

ومنهم الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه...

ثمّ ماذا لو ساءل المرء نفسه كأن يقول مثلا : لو أنّني خُلقت في محيط بوذيّ أو هندوسيّ، هل أعرف من نفسي ما يطمئنني إلى أنّي أكون بسهولة من المهتدين ؟

١- [الأعراف ١٧٦] .

ولو أنّني ولدت في وسط يهوديّ أو مسيحيّ، أتراني كنت أعتنق الإسلام لأوّل ما يتبيّن لي الحقّ ؟

أتراني أكون مستعدّا لفراق الأهل والعشيرة والتّقاليد والرّسوم..؟ مثل هذه الأسئلة تمثّل المحكّ الذي يكْشف عن خفايا النّفوس وخباياها، ولذلك ترى كثيراً من النّاس يفرّون من طرْحها، لأنّها أشبه ما تكون بالمرآة تعْكس الشّيء نفسه لا أقلّ ولا أكثر، والإنسان يعرف من ذاته الدّفاع عن النّفس الأمّارة، ويتمحّل في التّأويل والتّلفيق، ويريد أن يقول إنّه دائماً على صواب ولكنّ الآخرين لا يفهمونه، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً . نعم، لو أنّني خلقت في محيط بوذيّ أكنت أقبل على الإسلام لأوّل ما يتبيّن لي الأمر ؟

إنّها نعمة لا تعدلها نعمة أنّي ولدت في مجتمع مسلم من أبوين مسلمين، فقد كُفيت مؤونة البحْث والحيرة، ودخلت سنّ التّكليف غير ملوّث بالشّرك. وما أكثر أطفال العالم الذين لم يحظوا بهذه النّعمة، ولم يزدهم آباؤهم وأمّهاتهم إلا بعداً عن الطريق السّويّ، إلاّ أن تدركهم العناية الإلهيّة. وقد أوتيت هذه النّعمة من غير استحقاق، فهل أنا في مستوى الشّكر ؟

إنّها أسئلة صعب طرحها، وأجوبتها أصعب! فإنْ قال المتسائل نعم أنا في مستوى الشّكر كان مزكّياً لنفسه، مخالفا لقوله تعالى﴿ فلا تزكّوا أنفسكمْ هو أعْلم بمن اتّقى﴾، وإن قال " لا " كان شاهداً على نفسه بكفران النّعمة. والسّكوت أسْلم، لكنّه لا يحلّ المشكلة .

ومن هذا القبيل أيضاً أن يقول: لو أنّني كنت في مكّة زمن البعثة النّبويّة الشّريفة، مع من كنت أمضي؟ مع رسول الله ﷺ ومن معه من الأبرار أم مع أبي جهل والوليد بن المغيرة و. . ؟

صحيح أنّ ذلك من الغيْب، ولكنْ هناك أمور يستشفـّ من ورائها موقف الإنسان لا تكهّناً ورجماً بالغيب، بل بناءً على مؤهّلات واقعيّة اختياريّة، وهل نعجب عنْد سماع قوله تعالى ﴿ولوْ ردّواْ لعادواْ لما نهواْ عنْه وإنّهمْ لكاذبون﴾[1]؟ هؤلاء رأوا العذاب الذي لا طاقة للبشر بوصْفه، لكنّهم لأوّل لحْظة يتمكّنون من الاخْتيار يختارون متابعة الهوى، فكيف نعجب ممّن يتّبع هواه ولمْ ير العذاب؟

إنّ موقف الإنسان الواقعيّ يكشف عن موقفه الافتراضيّ، بمعنى أنّه من خلال مواقفه الواقعية يستطيع أن يتصوّر بصورة تقريبيّة موقفه من رسول الله ﷺ لو ولد في زمانه. ما عليه إلاّ أن يعرض سلوكه المعنويّ على توْجيهات وإرشادات وأوامر النبي ﷺ ليتبيّن من خلال ذلك في أيّ صفـّ يكون، معه أم عليه ؟

نعم، السّلوك المعنويّ لا العبادات التي أفرغت من محتواها فأضْحتْ من المكمّلات الشكليّة !

و المقصود من ذلك أنّ الإنسان إذا كان صادقاً في معتقداته فإنّه يحوطها ويدافع عنْها، ويتأذّى من كلّ ما يسيء إليها . أمّا إذا كان لا يبالي أن تهان مقدساته فإنّه لا يكون إلاّ كاذباً في دعْواه. وشواهد ذلك لا تخفى على من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

والإنسان مكرّم من عند الله تعالى ومفضّل على كثير من المخلوقات إذا هو حافظ على إنسانيّته، وتمسّك بما آتاه الله تعالى من المعرفة؛ لكنّه لن يكون كذلك حال تفريطه فيها وانقياده للهوى، بل يسفل إلى أن يغدو

١- الأنعام : ٢٨

دون البهائم منزلة مهما صوّر لنفسه؛ ودين الإسلام الحنيف آخر الرسالات السّماوية، جاء ليسهّل على الإنسان السيّر في طريق تكامله وكدْحه إلى ربّه، فما ترك مكْرمةً إلاّ دعا إليها، ولا رذيلةً إلا ذمّها وحذّر منها. وضمن السعادة في الدّارين لمن أحسن التأسّي والاقتداء ولم ينسقْ وراء هوى النّفس وشهواتها. ومع ذلك حينما نلتفت إلى تاريخنا الذي كتبه أسلافنا نكاد لا نصدّق. نعم، لا نصدّق لأنّ المعايير الدينيّة تدخّلتْ فيها يد الإنسان وسنّت الكيْل بمكْياليْن، وأعظم منه أنّه يجب علينا أنْ نرضى بذلك دون أدنى نقاش وإلاّ كان الخروج من الدّين[1]! وقد رأينا في زماننا دعاوى كثيرة لأناس يزعمون أنّهم أشدّ من عليها حبّاً لرسول الله ﷺ وتمسّكا بسنّته ودفاعا عنه، حتّى إذا أقدم سلمان رشدي على المساس بساحة النّبوّة ونشر كتابه المشؤوم فضّلوا لزوم الصّمت وفتحوا أبواب التّأويل!

أين ذهب حبّ النبي ﷺ وأصحابه؟!

يبدو أن حبّ النّبي ﷺ وتوقيره أمر مقبول طالما لم يتعارض مع مصالح بريطانيا ، فإذا حدث التّعارض قدّمت مصلحة بريطانيا.

١- قراءة في سلوك الصحابة، المؤلف، ص١٦ إلى١٩، مؤسسة الفكر الإسلامي، هولندا،٢٠٠٣ م.

معرفة الحق

محبة الحقّ مغروسة في النفوس، فلا تجد من يقول إنّه لا يحبّ الحقّ. وما قام الكون إلاّ بالحقّ. لكنّ الدّنيا دار تزاحم، والإنسان يتعلّق ببعض ما زُين فيها ولا يزال يحبّه ويتعلّق به حتّى يعميه ويصمّه، فيغدو مستعداًّ للتّضحية بالقيم التي يؤمن بها من أجل المحافظة على ما تعلّق به. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات عديدة يُفهَم منها أنّ الإنسان المتنكّر للحقّ لا يتنكّر له عن جهالة، وإنّما عن علم ويقين. والدّافع إلى ذلك التنكّر لا يعدو أن يكون تعلّقا بالمال أو المنصب أو السّمعة وحبّ الرّياسة. وبعبارة بسيطة، الدافع إلى ذلك هو المحافظة على منفعة ما.

قال الله تعالى ذكره: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**

([1]) النمل: ١٤.

([2]) البقرة: ١٠٩.

([3]) البقرة: ٤٢.

وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

فالحقّ بيّن لمن يطلبه إذا صفَت النّفس وحسنت السّريرة، لأنّ ذلك يؤدّي إلى تحقّق البصيرة، ومن تحقّقت بصيرته شاهدَ الأمور على ما هيَ عليه، وتمّ له ما يريد من انسجام بين نفسه ومُعتقَده. وليس الأمر كذلك إذا كان الهوى مستولياً على النّفس، مستحكماً متمادياً، لأنّ قوى الإنسان الحسّيّة والمعنويّة تصبح مسخّرة لخدمة الهوى، ولا أضرّ على دين الإنسان من اتّباع الهوى، فإنّه لا يزال بصاحبه حتى يتّخذه إلها؛ قال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾[3].

وحتى لا تكون مسالة الحقّ قضية يتلاعب بها من شاء، فإنّ الإسلام قد حدّد المعالم، وميّز الحدود ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيي عن بيّنة. وقد تمّ ذلك بوضوح من طرف النبي (ص) للأمّة والأجيال حيث قال: علي مع الحقّ، والحقّ مع علي. فلم يبق بعد ذلك إبهام أو غموض يتشبّث به من اتّبع هواه. عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ معناه انه إذا اختلف شخصان أحدهما عليّ بن أبي طالب(ع) فإن الثاني على باطل مهما كان. لأنّ كون عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي يعني عدم المفارقة بينهما أصلا. وفي الحقّيقة هذا الحديث وحده كاف لإثبات عصمة عليّ(ع) لولا عناد المعاندين وأصرار الجاحدين. فالذي يكون دائماً مع الحقّ والحقّ دائماً

---

(1) البقرة: ١٤٦.

(2) آل عمران: ٧١.

(3) الفرقان: ٤٣.

معه لا سبيل للباطل إليه ولا سلطان للنفس والشيطان عليه. والقرآن الكـريم يقول: وما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال. وينتج من ذلك أن من يفارق علياًعليه السلام يكون على ضلال قطعا ومن دون أدنى ريبٍ.

وقد فارقت الأمّة الإمام عليّاًعليه السلام يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وبقيت علـى ذلـك إلى اليوم، إلاّ من رحم ربّك. ومع أنّه في علـم الأمّـة أنّ الله لا يغيّـر مـا بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وأنّ معصية الرسولصلى الله عليه وآله تؤدي إلى الضّلال المبين، إلاّ أنّ الكبراء لا يزالون مُـصرّين علـى قطيعـة رحـمِ علـيعليه السلام وإقصاء ولده، والدّفاع عـن أعدائـه، وتقـديم الـسّفهاء والأشـرار عليـه. إنّ الإمام عليّاًعليه السلام لم يتعلّقْ من هذه الدّنيا إلاّ بما كـان يربطـه بمـولاه سبحانه وتعالى؛ فهو قد تعلق برسول اللهصلى الله عليه وآله، وقال عن نفسه: مـا أنـا إلاّ عبد من عبيد محمّدصلى الله عليه وآله، وتعلّق بصلاة اللّيل حتـى أنّـه لـم يـدعها ليلـة الهرير والـسّهام تمـرّ بـيْن يديْـه. وتعلّـق بالـدّفاع عـن حقّـه وحقـوقِ المستضعفين حتى آخر لحظة من عمره الشّريف. لم يكن لنفسه حظّ فيِ جهاده وتفانيه في خدمة مولاه وطاعة رسول اللهصلى الله عليه وآله، بل كان يرى نفـسه دون ما هو عليه اعترافاً منْه بنعَمِ الله عليه. يقولعليه السلام فـي دعـاء لـه ذكـرَهُ الشريف الرّضيّ في نهج البلاغة: «أصبحْتُ عبداً مملوكـاً ظالمًـا لنفـسي لك الحجّة عليّ ولا حُجّة لي ولا أستطيع أنْ آخـذ إلاّ مـا أعطيتنـي، ولا أتقي إلاّ ما وقيتني. اللهمّ إنّي أعوذ بك أنْ افتقر في غنـاك أ وأضـلّ فـي هداك أو أُضامَ في سلطانك أو أُضطهدَ والأمرُ لك».

ذلك المستوى من الّتواضع والتّذلّل والاعتراف بنعَم المـولى سـبحانه وتعالى هو الذي جعل للإمام عليعليه السلام في قلوب المؤمنين ودّاً تتوارثـه الأجْيال، رغم كيد أعدائه وسعيهم في إطفاء نوره، وهو مستوى لم يصل

إليه أحد بعده، لأنه متميّز عن الجميع في كلّ شيء. فهـو تربيـة رسـول الله(ص) ، وباب مدينة علمه، ووصيّه ووليّه وخليفته وأخوه. وهو الـذي تمسّكَ بالحقّ حتّى حين يضرّه التّمسّك به، وترفّع عن أساليب لم يتورّعْ غيره عن الأخذ بها باسم الدّين. كلّ ذلك كان منه(ع) ليبقي للمـسلمين خاصّة وللبشريّة عامّة صورة عن الإنسان الكامل الذي يـصمد أمـام كـلّ شيء لتبقى صورة الحقّ مشرقة. فلا عجب أن أحبّه المسلم والمـسيحيّ وغيرهما لأنّهم وجدوا فيه ما تتوق إليه نفوسـهم جميعـاً، ولا عجـب أن يلقى الموت في حبّه رجال من أصحاب رسول الله ﷺ والتّابعين.

في دمشق

خرجت من مطار دمشق منتصف الليل ١جانفي ١٩٨٧م، آتياً من باريس في طريقي إلى الهند عن طريق البرّ، بعد أن تعذّر الحصول على التأشيرة من باريس[١].

عند أذان صلاة الصبح، خرجت من الفندق للذّهاب إلى المسجد، وتعجّبت حين رأيت عددا كبيرا من الرّجال والنّساء في الشّارع. لم أكن أتوقّع ذلك العدد من الدّمشقيين لصلاة الصّبح التي يفضّل كثير من الناس أداءها في البيت، وقد كان الجوّ باردا إذ كان أوّل يوم من السنة الميلادية الجديدة، وهو ما يعني قلب الشّتاء، والذين زاروا دمشق في الشّتاء يعرفون بردها.

سرت مع الجمع إلى أن وقفوا أمام مبنى صغير وبدأوا يدخلون، وكان بعضهم يدخل باكيا. وبعد دقائق اكتشفت أنّهم لم يكونوا من دمشق، وإنّما كانوا إيرانيين، وتبيّن لي فيما بعد أنّ البناء الذي وقفوا عنده هو مرقد رقيّة بنت الحسين عليهما السلام. وهكذا كانت البداية في دمشق. الصلاة عند مرقد رقية بنت الحسين عليهما السلام. هل كان ذلك من باب الصدفة؟!

ما أعرفه هو أن كثيرا من مفاهيمنا ومصطلحاتنا يصعب جعلها تنسجم مع الحكمة الإلهية، فنحن نقول"صدفة"و"مصادفة"وهو سبحانه وتعالى يقول:﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾، ولا مكان للصدفة إذا كان كلّ شيء بمقدار.

١- كانت السفارات في باريس يومها تتشدد في مسألة التأشيرات،والصحف والإذاعات تتحدث عن عربي لبناني اسمه جورج عبد الله و تفجيرات حدثت هناك..

في الجامع الأمويّ تعرّفت على شاب من قامشلي، تبادلنا بعدها الحديث الذي يبدأ عادة بأسئلة نتجنّب طرحها نحن في الجزائر غالبا. الأخ من أي بلد؟ سبب وجودك في سوريا، الخ...وحينما علم الشاب أنّني أسافر إلى الهند للدّراسة أخبرني أنّه لا ضرورة للسّفر، فهناك في سوريا مدرسة تقليديّة يشرف عليها شيخ الطريقة النقشبندية[1]، فرحّبت بالفكرة وشكرته، وعددت ذلك من المدد الغيبي، وتهيّأت للسّفر..

١- اسم الشيخ الخزنوي أو الغزنوي .

قامشلي

كان يوما ممطرا، ولليوم الممطر وقع خاصّ عند المسافر حينما يكون غريبا بعيدا عن وطنه. تمتزج ذكريات الماضي بتطلّعات المستقبل، فيفقد الزّمن معناه ويخرج الإنسان من سجن المادّة إلى فضاء الروح، ويعيد قراءة كثير من أحداث عمره، وربّما كانت هناك ولادة مشروع، أو نفحة من عالم الغيب[1]. وبما أنّ المسافة بين دمشق وقامشلي طويلة فإنّنا لم نصل إلى مقصدنا إلاّ بعيد المغرب.

المدرسة قريبة من حدود سوريا مع العراق و تركيا. ولم يكن هناك علاقات دبلوماسية يومها بين سوريا والعراق، مع أنّ البلدين يحكمهما حزب واحد هو حزب البعث، واللغة واحدة والدين واحد، فكانت الحدود بين البلدين مغلقة.

فوجئت في نفس الليلة التي وصلت فيها إلى المدرسة بتداول كلام مفاده أنّ المدرسة النّقشبندية في قامشلي بلغت من المصداقيّة والشّهرة

١- عن محمّد بن مسْلمة الأنْصاريّ قال: قال رسول اللّه ﷺ إنّ لربّكمْ في أيّام دهْركمْ نفحات فتعرّضوا له لعلّه أنْ يصيبكمْ نفْحةٌ منها فلا تشْقوْن بعْدها أبدًا واللّفْظ لإبْراهيمّ بن هاشم[المعجم الكبير،: أبو القاسم الطبراني، ج١٩ص٢٣٣ : مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٣م، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي و المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٣ ص١٨٠: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. و مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، ج ١٠ص٢٣١: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .. كنز العمال، المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ ج ٧ ص ٣١٧ ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

ما جعلها تشدّ إليها الرحال من الجزائر. ومعنى هذا أنّني جئت إلى المدرسة من الجزائر قاصدا إيّاها لا غير، وأنا الذي لم أسمع بها إلا في الجامع الأمويّ منذ يومين. ربّما كانت مبالغة من النّاقل الأوّل، وربّما كان ذلك من باب النّكتة، لكنّه لا يغيّر من الحقيقة شيئا، فإنّ كل ما يخالف الواقع هو داخل في دائرة تزييف الواقع، وخصوصا إذا كان يجري في الساحات العلميّة والدعويّة. وكأنّما كانت تلك العبارة كاشفة عن المستويين العلميّ والخلقيّ، فلم يطل بي الوقت في قامشلي وعدت إلى دمشق، لكن بعد أن اكتشفت شيئا يمكن اعتباره مفتاحا لما تلا الرّحلة.

كان في المدرسة شابّ تونسي اسمه" نور الدين"، وعلى خلاف توقّعاتي كان مقتنعا أنّ تلك المدرسة مهمّة جدّا لمن يريد أن يضع قدمه في الطّريق الصحيح، لأنّها تعلّم الزّهد في الدنيا والإقبال على الآخرة إضافة إلى العلوم والمعارف التقليدية؛ هذا كلام نور الدين. ومن بين ما قال لي يومها: "إن الشيخ يستطيع أن يهيء لنا أفضل الأطعمة والمساكن، لكنّه يتعمّد إسكاننا ما ترى لترويض أنفسنا وتزهيدها في حطام الدنيا"! لكن ما أثار دهشتي هو أنّ منزل الشيخ كان يحيط به سور عال، تظهر وراءه أغصان أشجار مختلفة، وهو ما يشير إلى وجود بستان حول المنزل أو أمامه، والبيت من حيث السّعة أشبه ببيوت الدبلوماسيين. لقد صعب عليّ أن يجمع بين ما سمعته من نور الدين وما رأته عيني.

قال لي نور الدين حين أيقن أنّي منصرف من المدرسة بعد أقلّ من أسبوع من وصولي إليها: أعرف جزائريّا يقيم في دمشق، وبالضّبط في حيّ السيدة زينب عليها السلام[1]، وهو رجل طيّب، يمكن أن يساعدك في سفرك. لكنّي أحذّرك شيئا مهمّا..

١- عبارة " عليها السلام " إضافة من الكاتب، لم يقلها نور الدين.

قلت: وما هو ؟

قال: الرّجل شيعيّ، فكن منه على حذر في هذا الجانب حتى لا يفسد عليك عقيدتك!

في حيّ السيّدة زينب عليها السلام

في حيّ السيّدة زينب عليها السلام سألت عن أبي محمّد الجزائري فدللت على بيت في الحجيرة، قريب من محلّ تصوير شمسي أعلاه لافتة فهمت منها أنّ صاحب المحلّ اسمه"زيد". وللتأكّد من أنّني مقبل على العنوان الصّحيح سألت صاحب المحلّ وأجابني أنّه لا يعرف الأسماء، لكنّه يعلم أنّ البيت يسكنه مجموعة من الطّلبة من المغرب العربي.

أعلمني الطّلبة سكّان البيت أنّ أبا محمّد الجزائري قد سافر منذ أيام إلى إيران. وتأسّفت حين علمت ذلك، لكنّ الطالب المتحدّث أردف قائلا: من أين الأخ؟

قلت: من الجزائر، وأنا في سوريا مؤقّتا، مرحلة من مراحل سفري لا أكثر. وكان المفروض أن أتحدّث مع الأخ أبي محمّد بخصوص السّفر.

قال الطالب: لا بأس، بإمكانك البقاء معنا في هذا البيت حتى تتّضح لك الصورة، نحن من تونس، ندرس هنا في الشام، وهذا البيت يدفع إيجاره بعض المحسنين. ونحن أيضا شيعة مثل الأخ أبي محمّد الذي تبحث عنه.

رحّبت بالفكرة، ورحت أتعجّب مما يجري، فنور الدين التّونسي يحذّرني من شيعيّ جزائريّ، بينما يستقبلني شيعيّ تونسيّ ويعرض عليّ البقاء مع مجموعة من الطلبة التونسيين الشيعة! جزائريّ سنّي في حي السّيدة زينب عليها السلام يبحث عن جزائريّ شيعي يجوب شوارع طهران،

وتونسي سنّي صوفي في القامشلي يدلّ جزائريا سنّيا على تونسيين شيعة وهو لا يدري.

لا بد لي بدّ من تأشيرة باكستان للحصول على تأشيرة عبور من القنصليّة التركيّة. وعليه فقد توجّهت إلى القنصليّة الباكستانيّة في دمشق، وانتظرت دوري للدّخول إلى مكتب المسؤول، وجاءت اللّحظة المنتظرة، وأخبرني المسؤول أنّه يتعذّر عليّ الحصول على التّأشيرة من دمشق وأنا جزائري سائح لا أملك إقامة في سوريا. وألححت، وأخبرته أنّني ذاهب إلى الهند، وأنّ بقائي في باكستان لن يتعدّى يومين أو ثلاثة، وهمّ الرجل أن يضع الختم على ملف طلب التأشيرة، لكنّه تراجع فجأة ورفع يده وقال:" لا، لا، هذا غير صحيح" . وحزنت؛ حزنت حزنا شديدا، لا لرفضه الطّلب، وإنّما لانسداد الأبواب في وجهي وأنا الذي قرأت أكثر من مرّة الحديث الذي يقول: " إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع". والهدف من سفري هو طلب العلم، ولا شيء غير طلب العلم. مع أنّ الدّراسة في المدرسة المقصودة في الهند لا تضمن شيئا سوى الأكل والنّوم، فلا منحة، ولا شهادة، كلّ ما في القضيّة أنّ مستوى الدراسة فيها مرغوب فيه. لماذا كلّ هذه الصّعوبات والعقبات وليس في قضيّتي ما يعود على أحد بالضّرر؟! لم أشكّك في نيّتي طرفة عين، لكنني كنت متحيّرا، لأنّ السفر من الجزائر إلى الهند لطلب العلم لا يكون إلاّ بعد تفكير وتأمّل. وأظنّ أنّني أخذت القرار الصّائب، لأنّني كنت متعطّشا فعلا للعلم، ولم أكن مقتنعا بما كان يجري في البلد. كان الرئيس الشادليّ قد أحضر العطّار "الشيخ الغزالي" ليصلح ما أفسد الدهر، ولم يصلح

شيء؛ وقد كشفت الأيّام بعد ربع قرن أنّ موقفي كان صائبا، ولا يفوتني هنا أن أذكّر وأحدّث بنعمة الله تعالى إذ أدركتني الألطاف ولم أتورّط في الدّماء والأعراض وأموال الأمّة كما فعل جماعات من الإخوان في بلدان عربيّة في المشرق والمغرب. ولا زالت الأيّام ترينا من الإخوان عجبا، ومن العجب ركوبهم ما سمّي ثورات مع أنهم لم يشاركوا فيها، أقول هذا مع احترامي التامّ للمخلصين منهم.

كان المبلغ المالي الذي حملته معي من الجزائر يتناقص، وقد ذهب أكثره في الفنادق للمبيت قبل التّعرّف على الإخوة التّونسيين. وبما أنّ الشتاء في دمشق بارد فإنّه يتحتّم عليّ أن أجد التّوازن بين الإمساك والإنفاق، كما ينبغي ألا أتوانى في حلّ مشكلة التّأشيرة. ويمكن القول إنّ التجربة كانت امتحانا عصيبا لأنني لم أكن أعرف أحدا في المدينة، والجماعة التونسيون الذين تعرّفت عليهم كان بيني وبينهم حاجز كبير يتمثّل في الانتماء المذهبي، وأعجب ما لفت انتباهي هو ذلك الحسّ الإنساني عندهم، إذ يبعد تصوّر استقبال سلفيّين لشيعي بالطريقة التي استقبلني بها الشباب الشّيعة. وهذه شهادة لله تتعلّق بواقعة مرّ عليها أكثر من ستّ وعشرين سنة. ومن عجائب ما تجري به الأقدار أنّ شابّين سلفيّين جزائريّين من العاصمة جاءا بعد أيّام إلى حي السيّدة زينب واستقبلا في نفس البيت، فكان أحدهما يقول لي إذا خلوْنا: " لا تنس أنّهم مشركون"! وكنت أجد هذا التصرّف منه خاليا من الأخلاق منافيا للقيم، إذ ليس من المروءة أن تسكن عند شخص ويقاسمك طعامه، ثمّ تصفه بالشّرك. وإذا كنت متأكّدا أنه مشرك فإنّه لا يليق بك أن تبقى قريبا منه، لأن القرآن الكريم يقول في سورة التوبة﴿إنما المشركون نجس..﴾. ولم نتطرّق إلى شيء في الأيّام الأولى باستثناء كلام عامّ حينما بلغنا نبأ قتل مصطفى بويعلي في الجزائر.

بعد مرور أيّام، فتح بعضهم الحديث حول قضايا واردة في صحيح البخاري لا يقبلها العقل السليم، وأحسست بشيء من الألم لأنّني أنتمي إلى من يعظّمون البخاري وصحيحه، وبناء على كلام المتحدّث لا يكون عقلي سليما! ورحت أدافع عن البخاري وأبي هريرة وأشياء من ذاك

القبيل، وكان من بين الإخوة الحاضرين ليلتها الأسعد بن علي الصفاقسي، وكان لا يزيد على أن يبتسم. وقد تبيّن لي فيما بعد أن الإخوة التونسيين كانوا يريدون لي الخير، لكنّهم لم يكونوا يتعاملون مع الدّليل كما ينبغي، مع أنّهم أبناء مجتمع سنّي. يفترض فيهم أنّهم يعرفون ذهنيّة وخلفيّة وتفكير المسلم السنّي؛ لقد تجاوزوا بعض المراحل، وتعاملوا معي كأنّني خال من التعصّب للمذهب، والحال أنّ غالبية من لا يعرفون مدرسة أهل البيت عليهم السلام يسيئون الظنّ بأتْباعها، لأنّ ابن تيمية وابن كثير وابن القيّم والذهبي ومن سار على نهجهم لم يتركوا هامشا للأخوّة والمحبّة والتّسامح والتّراحم. ولو أنّني لم أطّلع بنفسي على ذلك في كتبهم لشككت وتوقّفت، لكنّ الأمر كذلك؛ بل إنّ لابن الجوزي في كتابه " تلبيس إبليس" عظائم سجّلها وانتشرت في الآفاق مع أنّه لا أساس لها من الصحّة، ولا أدري ما الذي سيقوله لربّ العالمين!
كان الإخوة التونسيون يعلّقون بعبارات ساخرة حينما يذكرون أبا هريرة كأنّما يتحدّثون عن جحا أو هبنّقة، ولم يكن ذلك يعجبني، لكنّ تعليقاتهم لم تكن محض استهزاء، لأنّ كلّ الأحاديث التي ذكروها وعلّقوا عليها موجودة في الصّحاح، فيكون أبو هريرة هو الذي ورّط نفسه، وفي مثل هذه الحال يقول المثل العربي:"يداك أوكتا وفوك نفخ".
ومع ذلك لا يفوتني في هذا المقام أن أذكّر بقضيّة مهمّة في الحوار والمناظرة تتمثل في طريقة الاستفادة من الدليل، فإنّ كثيرا من المناظرين يتعاملون مع الطرف المقابل دون أن يحاولوا الاقتراب من طريقة تفكيره، وطريقة التفكير مهمّة جدّا في الحوار لأنّها تضمن البقاء في الموضوع واحترام أدبيات وأخلاقيات الحوار وتجنّب إثارة الحساسيات واستفزاز الآخرين.
.

مشكلتنا نحن المسلمين في الحوار أنّنا لا نلتزم عمليّا بما نلتزم به نظريّا، فقد تجد الرّجل قادرا على إلقاء محاضرة أو محاضرات في موضوع الحوار، لكنّه إذا ذهب يحاور نسي كلّ ما قاله في المحاضرة وفقد السّيطرة على أعصابه. وسبب هذا ـ في نظري ـ أنّنا لا نتعلّم أدبيّات الحوار، لا في البيت، و لا في المدرسة، ولا في الشّارع.

أمّا بخصوص البيت فلأنّ كثيرا من البيوت عبارة عن محيط تمارس فيه دكتاتوريّة الأب المطلقة، فهو الآمر النّاهي والباقي عبيد، وإذا هذّبنا العبارة نقول هو الرّاعي والباقي رعيّة. ويكتسب الولد الأكبر شيئا من هذه الملكة المباركة فتقلّ حظوظ الحوار الهادئ.

وأمّا بخصوص المدرسة فإنّ آخر ما يفكّر فيه حكّامنا هو أن يعلّموا الأطفال كيف يتحاورون باحترام. وإذا لم يكن لذلك وجود في المنظومات التّربوية القديمة ولا الحديثة فمن أين يحصل عليه الأطفال؟

وقد سنّ مالك ابن أنس سنّة عجيبة حين قال لمن سأله عن الاستواء: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، واخرجْ فإنّي أراك مبتدعا". وكأنّ مالكا لا يعلم أنّ الاستواء كيفيّة من الكيفيّات، ولا يمكن أن يكون الشيء نفسه معلوما ومجهولا في نفس الوقت ومن جهة واحدة! تستّر مالك على جهله باستعمال الإرهاب الفكريّ، وقد كان في وسعه أن يقول " لا أدري " أو " لا أعلم " ويحلّ المشكلة. لكن المشكلة بقيت قائمة.

وأمّا الشارع فلا يحتاج إلى بيان، فهو يعرّف نفسه بنفسه.

كلام بخصوص الحوار

الحوار مبنيّ على قضيّتين: الكلام والإنصات، أو قل الحديث والاستماع. ولكلّ معناه. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾، وهنا استعملت العبارتان كلتاهما، " استمعوا " و " أنصتوا "، والآية موجّهة إلى كلّ معاصري النّبيﷺ، لا إلى اللغويين والنحويّين الذين أفسدوا علْم التّفسير وأحلّوا الإبهام والغموض محلّ البيان والتّوضيح. وبما أنّ عطف الشيء على نفسه ينافي البلاغة والفصاحة، فلابدّ أن يكون بين الاستماع والإنصات تغاير.

السّماع غير الاستماع، وإن كان استعمال أحدهما مكان الآخر جاريا عرفا؛ السّماع لا يحتاج إلى إرادة من السّامع، فقد يسمع الإنسان صوت الرّعد أو الأذان القطار أو نعيق الغراب.. يحدث ذلك فجأة. وأمّا الاستماع فلا يكون إلاّ عن إرادة، وأقلّ شرود للذّهن يُذهبه. فالجاسوس يستمع بقصد، ولاستماعه هدف هو الحصول على معلومة. والطالب يستمع إلى الأستاذ ليفهم المطلب ويحفظه، والقاضي يستمع إلى المتّهم ليشخّص حدود التّهمة ويبدد الغموض،.. وهذا يعني أنّ الاستماع مقدّمة التدبّر إن لم يكن التدبّر نفسه.

﴿ قلْ أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الْجنّ فقالوا إنّا سمعْنا قرْآنًا عجبًا يهْدي إلى الرّشْد فآمنّا به ولنْ نشْرك بربّنا أحدًا﴾.

هؤلاء استمعوا وأخبروا أنّهم سمعوا وكانت النتيجة أن آمنوا.

لكنّ كبراء قريش وزعماءها أيضا كانوا يستمعون إلى رسول اللهﷺوهو يقرأ القرآن، ويفهمون ما يقول، فلماذا لم يهتدوا كما اهتدى النّفر من الجنّ؟

الجواب هو أنّ أولئك النّفر من الجنّ لم يكن لديهم أفكار مسبقة بخصوص النبي ﷺ، وكانوا على علم بموسى عليه السلام والتّوراة الصحيحة غير المحرّفة.﴿ قالوا يا قومنا إنّا سمعْنا كتابًا أنْزل منْ بعْد موسى مصدّقًا لما بيْن يديْه يهْدي إلى الْحقّ وإلى طريق مسْتقيم﴾[1]. ولأنّهم أخذوا الأمر بجدّ فإنّهم اهتدوا وأصبحوا دعاة:﴿يا قوْمنا أجيبوا داعي اللّه وآمنوا به يغْفرْ لكمْ منْ ذنوبكمْ ويجرْكمْ منْ عذاب أليم﴾[2].

وأمّا زعماء قريش فإنّهم كانوا يستمعون دون أن يتخلّوا عن كبرهم وخيلائهم، والمتكبّر لا يؤمن﴿قال موسى إنّي عذْت بربّي وربّكمْ منْ كلّ متكبّر لا يؤْمن بيوْم الْحساب﴾[3]، والكبْر نفسه مانع من الهداية، ولا يزال المتكبّر في كبْره حتى يطبع على قلبه.﴿ كذلك يطْبع اللّه على كلّ قلْب متكبّر جبّار﴾[4]. فليس الاستماع مجرّد إعمال حاسّة السّمع التي هي الأذن، بل لابدّ من حضور العقل والقلب والوجدان، واستشعار عظمة الله تعالى، وأنّه عالم بكلّ شيء، وأنّ الإنسان مسئول عمّا يسمع: ﴿إنّ السّمْع والْبصر والْفؤاد كلّ أولئك كان عنْه مسْئولاً﴾[5]. فهل نحن نمارس الاستماع فعلا في حواراتنا؟

إنّ الذي يتابع الحوارات والمناظرات على القنوات الفضائيّة الناطقة باللّغة العربيّة ليعجب من سلوك أولئك المتحاورين الذي يصل أحيانا إلى سوء الأدب. فالمتحدّث لا يبالي بما يقول وما يفعل، المهمّ أن تكون

١- الأحقاف : ٣٠.
٢- الأحقاف :٣١.
٣- غافر : ٢٧.
٤- غافر ٣٥ – .
٥- الإسراء :٣٦ .

الغلبة له! ولا يبالي أن يفتري أحيانا، أو يجحد المسلّمات، وربّما خرج عن الموضوع ليستدرج الطّرف الآخر إلى كمين قد نصبه له منذ البداية! وليس هناك شيء اسمه احترام الطّرف المقابل. وما أكثر الحوارات التي تحوّلت إلى معارك لأنّ أحد المتحاورين قال الكلمة غير المناسبة في الوقت غير المناسب. وبخصوص أدب الحوار تحضرني خاطرة تعود إلى أيام الثانوية، أيام كان لديّ نهم للمطالعة. فقد قرأت يوما في سيرة ابن هشام ما يلي:

عن محمّد بن كعب قال: حدّثت أنّ عتبة بن ربيعة كان سيّدا حليما، قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى هذا فأكلّمه أمورا لعلّه أن يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنّا، وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم فكلّمه. فقام عتبة حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنّك منّا حيث قد علمت من السّطة[1] في العشيرة، والمكان في النّسب، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاستمع منّي أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلّك أن تقبل منها

١- يقال: هو من أوسط قومه أي خيارهم . وفي الحديث: أنه كان من أوسط قومه أي من أشرفهم وأحسبهم.[لسان العرب، ابن منظور المصري الوفاة: ٧١١ هـ ج ٧ ص ٤٣٠ : دار صادر، بيروت، الطبعة : الأولى].
وسط قومه في الحسب يسطهمْ سطةً حسنةً ومرْعى وسطٌ خيارٌ، [المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الوفاة: ٤٥٨هـ – ج ٨ ص ٥٩٦ ـ : دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الحميد هنداوي].

بعضها. فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع. فقال: يا ابن أخي، إن كنت إنّما تريد بما جئت من هذا القول مالا جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالا! وإن كنت إنّما تريد شرفا شرّفناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملّكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع أن تردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك منه، فإنّه ربّما غلب التّابع على الرّجل حتّى يداوى منه، ولعلّ هذا الذي يأتي به شعر جاش به صدرك فإنّكم لعمري يا بني عبد المطّلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد، حتّى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع منّي. قال: أفعل. فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم﴿حم تنزيل من الرّحمن الرحيم. كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيّا﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلمّا سمعها عتبة أنصت له وألقى بيده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه، حتّى انتهى رسول الله ﷺ إلى السّجدة فسجد فيها ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أنّي والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشّعر ولا بالسّحر ولا الكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرّجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم كنتم

أسعد الناس به. قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[1].

استوقفتني هذه القصّة، ونحن أيّامها في دولة هواري بومدين الذي لا يزال يخيف كثيرين وهو في قبره. لا معنى يومها لشيء اسمه الحوار لأنّه ليس هناك موضوع مهمّ للحوار أصلا. لم يكن هناك موضوع يتحاور النّاس حوله إلى أن جاءت مسألة الميثاق الوطني التي تلاها اغتيال الرئيس بومدين، وهذا الموضوع أيضا الخوض فيه شبه محرّم إلى اليوم. وعلى خلاف ما يروج له الإعلام الجزائري فإن الرئيس الشادلي بن جديد كان ـ في نظري ـ نقمة على الشعب الجزائري، غيّب حضورُه كثيرا من القيم والطموحات المشروعة، والله العالم بحقائق الأمور.

وأعود إلى القصة فأقول: رسول الله ﷺ يستمع إلى مشرك، ولا يقاطعه حتّى ينهي كلامه ويتوقّف من تلقاء نفسه! ويتأكّد النبي ﷺ من انتهاء حديث الرّجل فيقول له: أفرغت يا أبا الوليد؟ ومعنى هذا أنّه يكنّيه، والمخاطبة بالكنية في لغة العرب تتضمّن الاحترام. فرسول الله ﷺ على جلالة قدره عند الله تعالى قبل الناس يستمع إلى مشرك، والمشركون نجس، لكنّ المقام مقام حوار، فيظهر له النّبي من أخلاقه العظيمة، ويعامله بما يليق، ويحتفظ كلّ بمقامه، فلا مقام رسول الله ﷺ يتأثّر بشيء، ولا المشرك يخرج عن نجاسة الشّرك. وللأمانة فإنّ عتبة أيضا احترم رسول الله ﷺ في المقام واستمع إليه وتأثّر بما سمع، وأخذ موقفا

١- سيرة ابن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار الوفاة: ١٥١هـ معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق : محمد حميد الله.

سجّلته له الكتب. فهو مشرك لا ريب، لكنّه من المشركين الذين يحترمون أنفسهم.

وللأمانة أيضا فإنّ كثيرا من الوهّابيّين الموحّدين ـ على حدّ زعمهم ـ لا يرقون إلى مستوى هذا المشرك في الحوار، لأنّهم لا يكتفون باحتقار الطّرف المقابل والاستخفاف به، بل ينسلخون من الأخلاق والقيم وينزلون إلى الحضيض ويتفوّهون بعبارات يترفّع عن النّطق بها اللّصوص والصعاليك والأوباش. ولست أتعجّب من ذلك ما دام قدوتهم يقول الكلام الفاحش بمحضر رسول الله ﷺ، لكنّني أتعجّب من رضاهم بذلك والتبجّح به، حتى إنّهم ليتّصلون بالفضائيّات أثناء البرامج الحيّة ليقولوا ما يقولون. في النهاية لا بدّ للإنسان من احترام نفسه، حتى لو لم يكن في الأرض شخص واحد يحترمه.

لا يخفى أن كلام عتبة بن ربيعة لم كن خاليا من المغالطات، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يبحث لا عن الثروة ولا عن الحكم، فضلا عن أن يكون همه جمال النساء. ومع ذلك لم يناقش رسول الله ﷺ كلامه،وإنما تلا عليه القرآن ليتبين ما بين الخطابين من فرق.

وحين يفكّر المرء قليلا باحثا عن أسباب غياب أدبيّات الحوار لدينا، وخصوصا عند المثقّفين على اختلاف مشاربهم، يجد نفسه مقابل سلسلة من الأسباب المباشرة وغير المباشرة، ويجد منظوماتنا التربوية لا تقيم للمسألة وزنا لأنها في شغل شاغل عنها، وربما لا تخطر هذه القضية ببال المسؤولين أصلا لأنهم يرون كثيرا من الأمور الحيوية التي لا تدخل في

إطار خصوماتهم وتنافساتهم مجرد تداعيات يفرزها الترف الفكري. وربّما كان الأمر كذلك.

والذي جرّب الحوار مع مثقّفين غير مسلمين يعجب من احترام كثير منهم للطرف الآخر أثناء الحديث، والكلام لا يشمل المثقّفين المتصهينين الذين يسخرون من الديانات والأنبياء والكتب السماوية، أولئك لا يعدون أن يكون أحدهم بهيمة في صورة آدمي، وإنّما أعني المثقّفين الذين يحترمون أنفسهم ويعون أنّ كلّ ما ينطقون به محسوب عليهم، وهم يسعون لتكون صورتهم دائما مقبولة محترمة في المجتمع. هؤلاء لا يملّ الإنسان محاورتهم لأنّه أثناء ذلك يتعلّم أمورا، ويطّلع على أشياء ترتبط بعمق الإنسانية، ويكتشف مدى النعمة التي من الله بها عليه إذ هداه إلى الإسلام.

بقينا كذلك أيّاما، وكأنّما فهم الإخوة التّونسيون أن الحوار معي قد يؤدّي إلى صدام فآثروا تركه، والخير في ما وقع. ومثل هذا السّلوك حقيق أن يحفظ للمختلفين احترام بعضهم لبعض، لأنّ بعض القضايا المختلف فيها تثار في أوقات غير مناسبة فتهيّج المشاعر وتوتّر الأعصاب، وقد يكون المرء مشغولا بقضيّة من قضايا الحياة اليوميّة لم يتمكن من حلّها كما يريد، فيزداد التّوتّر، وتصعب السّيطرة على الأعصاب، ويحدث ما لا ينبغي أن يحدث؛ وكثيرا ما تكون النّقاشات والحوارات ذريعة للدّخول في مناقشات أخرى حسّاسة لا علاقة لها بالتّاريخ ولا بالعقائد، وإنّما هي اختلافات بين أشخاص أو جماعات أو قبائل، ويختلط الحابل بالنابل، وهذا ما يكشف عن حاجتنا الملحّة لتعلّم أدبيات الحوار.

استأذنت الإخوة في اختيار كتاب من الكتب المرتّبة على الرفوف، وأنا متأكّد أنني سأجد من بينها شيئا مهمّا، لأنّ مستوى الطلبة وإقبالهم على دروسهم مطالعة ومباحثة أشعرني أنّهم لن يقتنوا ما لا يرون فيه فائدة، اللهم إلاّ أن تكون المكتبة ملكا لشخص آخر..

رحت أقرأ عناوين الكتب، وجذب انتباهي من بينها كتاب يختلف عما تعوّدت قراءته. كنّا نسمع عن كتب شيعيّة ونحذّر من قراءتها، كما كنّا نعرف الكتب السنّية التقليديّة ونقبل عليها إقبال الظمآن على الماء البارد. أما الكتاب الذي يكون عنوانه مركبا من التيّارين جميعا فلم يكن لي به سابق معرفة.

عنوان الكتاب: ″ الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة ″. والإمام الصّادق إليه ينسب المذهب الجعفريّ، وإن كان في هذا التّعريف تضييقٌ للواسع، لأنّ الإمام الصادق هو أستاذ زعماء المذاهب. فالعنوان إذاً يشير إلى حديث يتناول التيّارين جميعا، ولم أكن أعرف شيئا الأستاذ ″أسد حيدر″ مؤلف الكتاب، وقد بلغني فيما بعد أنّه كان من تلاميذ مرجع الشيعة في العراق

السيد الخوئي ﵀، وأنّه كان خطيبا محترما . والكتاب من ثلاثة مجلّدات بخطّ واضح، فأخذت المجلد الأول منه، وجلست في زاوية من الغرفة، وشرعت أقرأ..

كلمة حق للأستاذ أسد حيدر

يقول الأستاذ أسد حيدر في مقدمة كتابه:

" في ساعة من ساعات الفراغ أويت لمكتبتي، أروّح النفس من عناء الدراسة الشاقّة بمطالعة كتب السّير والتاريخ، وكلّ كتاب تناولته لم أجد فيه بغيتي، ورغبت عن مطالعته من دون أن أعرف السبب الحقيقي لذلك، حتى وقعت على مقدّمة ابن خلدون بدون مقدّمة، وكأنّه كان هو المطلوب دون غيره. فطالعته وما كنت مستوفيا أبحاثه من قبل، فراقني أسلوبه، وجذبني تعبيره،ولم أستوف الغرض من مطالعته حتى فوجئت بهذه الكلمة القاسية والقول المؤلم: "وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به"[1]. فأخذتني الدهشة استغرابا؛ إنّها لجرأة على مقام أهل البيت، أصبحت عند ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وهناك نسيت ترويح نفسي وتجرّدت عن العوامل التي دعتني إلى ملاقاة هذا الرجل والاجتماع به، وشعرت أنّ الرجل كان منقادا للعاطفة العمياء في هذه الجرأة، وجعلت أعلّل نفسي في البحث عن المذاهب الإسلامية وتكوينها، وبيان مذهب أهل البيت ومكانته في التشريع الإسلامي. (انتهى كلام أسد حيدر).

---

١ – العبارة بتمامها :شذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنـوه علـى مذهبهمفي تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخـلاف عنأقوالهم وهي كلها أصول واهية [تاريخ ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٤٤٦ دار إحيـاء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الطبعة : الرابعة ـ العنوان علـى الغـلاف مقدمـة ابـن خلدون].

لم يكن الأستاذ أسد حيدر وحده مصدوما من كلام ابن خلدون، ولا أبالغ إن قلت إنّ صدمتي لا تقل عن صدمته حينها وإن كنت على مذهب ابن خلدون، لأن الأخير عاش على مذهب مالك، ومات وهو مالكي! ولم يكن منشأ استغرابي جرأة الرجل على مقام أهل البيت عليهم السلام وقد سبقه إلى ذلك الجوزجاني و٣٤البربهاري وابن تيمية والذهبي.. وإنما استغربت جرأته على القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فالقرآن الكريم يصرح بطهارة أهل البيت عليهم السلام، وابن خلدون يدّعي شذوذهم، وبين المطهّر والشاذ ما بين السماء والأرض. ووجدتني فجأة أتساءل عن وجود مثل هذا التفكير في المذهب المالكي الذي أنتمي إليه، إضافة إلى أنني لم أجد فيما قرأت أحدا ردّ على ابن خلدون في هذه المسألة ولو على استحياء. من هنا كانت بداية الطريق، وبدأت فكرة مواصلة السّفر على الهند تأخذ لونا آخر..وفي هذا المقام لا بدّ لي من التّعريف بابن خلدون حتى لا أظلمه، لأنني أصبحت فيما بعد أصنّفه في صغار النّفوس الذين يخفون ضعفهم باستصغار من يخالفهم.

من هو ابن خلدون:

قال الشوكاني في كتابه(البدر الطالع) ما يلي:

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ولى الدين الاشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ولد في أول رمضان سنة (٧٣٢ هـ) اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو، وتفقّه بجماعة من أهل بلده، وسمع الحديث هنالك وقرأ في كثير من الفنون ومهر في جميع ذلك، لاسيما الأدب وفن الكتابة. ثم توجه في

سنة (٧٥٣ هـ) إلى فاس[1] فوقع بين يدي سلطانها ثمّ امتحن واعتقل نحو عامين، ثمّ ولي كتابة السر وكذا النظر في المظالم، ثمّ دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة(٧٦٤هـ)، وتلقّاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج باشبيلية فقام بالأمر الذي ندب إليه. ثم توجه في سنة(٧٦٦هـ) إلى بجاية ففوّض إليه صاحبها تدبير مملكته مدّة، ثم استأذن في الحجّ فأذن له فقدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة ٧٨٤ فحجّ، ثمّ عاد إلى مصر فتلقّاه أهلها وأكرموه وأكثروا من ملازمته والتودّد إليه وتصدر للإقراء في الجامع الأزهر مدّة، ثمّ قرّره الظاهر برقوق في قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٧٨٦، وفتك بكثير من الموقّعين وصار يعزّر بالصفح ويسمّيه الزجّ، فإذا غضب على إنسان قال زجّوه فيصفع حتى تحمر رقبته، وعزل ثمّ أعيد وتكرّر له ذلك حتى مات قاضيا فجأة في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة(٨٠٨) ثمان وثمان مائة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.دخل مع العسكر في أيّام انفصاله عن القضاء لقتال تيمور فقدّر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوّده. قال بعض من ترجمه: إنّه كان في بعض ولاياته يكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث[!] وقال آخر: كان فصيحا مفوّها جميل الصّورة حسن العشرة إذا كان معزولا، فأمّا إذا ولي فلا يعاشر بل ينبغي أن لا يرى[!]. وقال ابن الخطيب إنّه رجل فاضل جمّ الفضائل، رفيع القدر أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمّة، قويّ الجأش، متقدّم في فنون عقليّة ونقليّة متعدّد المزايا، شديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصوّر، بارع الخطّ، حسن العشرة، وأثنى عليه المقريزي.

---

١ – مدينة من مدن المملكة المغربية.

وكان الحافظ أبو الحسن الهيثميّ يبالغ في الغضّ منه؛ قال الحافظ بن حجر فلمّا سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنّه بلغه أنّه قال في الحسين السّبط رضي الله عنه إنه قتل بسيف جدّه، ثمّ أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي. قال ابن حجر: لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن، وكأنّه كان ذكرها في النّسخة التي رجع عنها[!] قال والعجب أنّ صاحبنا المقريزيّ كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحّة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطّعن في نسبهم ويقول إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي، وكان المقريزي ينتمي إلى الفاطميّين كما سبق، فأحبّ ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم وجهل مراد ابن خلدون فإنّه كان لانحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم؛ فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطّعن. هكذا حكاه السخاوي عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة. وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممّن أضلّه الله على علم وقد صنف تاريخا كبيرا في سبع مجلدات ضخمة أبان فيها عن فصاحة وبراعة وكان لا يتزيّى بزى القضاة بل مستمر على زى بلاده وله نظم حسن فمنه:

أسرفن في هجري وفي تعذيبي　　　وأطلن موقف عبرتي ونحيبي

وأبين يوم البين وقفة ساعة　　　....لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوّه بلسانه سيف المحاضرة، كان يسلك في إقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي

والفخر الرازي، مع الإنكار على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من التوغّل في المشاحّة اللفظية، والتسلسل في الحدّية والرسميّة اللتين أثارهما العضد وأتباعه في الحواشي عليه، وينهى الناقل غضون إقرائه عن شيء من هذه الكتب مستندا إلى أن طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفنّ على خلاف ذلك، وأن اختصار الكتب في كلّ فنّ والتقيّد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين، والعلم وراء ذلك كله. قال: وله من المؤلفات غير الانشاآت النثرية والشعرية التي هي كالسّحر التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر حوت مقدمته جميع العلوم[1].

هذا هو ابن خلدون كما يعرّفه الشوكاني. وكما عرّفه بعض من ترجم له: "كان في بعض ولاياته يكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث " !

هذا ذوقه وهذه سيرته!

لا عجب إذاً أن يكون موقفه من أهل البيت عليهم السلام ذلك الموقف.

لا بد من الوقوف عند العبارات التي تشبه عبارة ابن خلدون، لأنها من الخطورة بمكان. ولا يمكن القبول بما يخالف القرآن الكريم أيّاً كان القائل؛ وقد تسامح علماء المسلمين في هذا الباب، وسبّب ذلك التسامح حرجا كبيرا أمام غير المسلمين، وفتح الأبواب للطاعنين، والحديث في هذا يطول؛ وعلى كلّ حال فإنّ ابن خلدون بعبارته تلك أيقظني من نوم ونبّهني من غفلة.

١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،: العلامة محمد بن علي الشوكاني الوفاة: ١٢٥٠هـ ج١، ص٣٣٧ إلى ٣٣٩ : دار المعرفة، بيروت، الطبعة : بلا، تحقيق : بلا.

كنت حين قراءة الكتاب على مذهب مالك كما هو شأن جميع أبناء المغرب العربي، وابن خلدون من فقهاء المالكيّة، وقد كان قاضي قضاة في زمانه ومات وهو على القضاء، ولكن، هل هذا يخوّل له أن يردّ محكم القرآن الكريم؟! كيف سمحت له نفسه أن يسمّي المطهّرين شاذّين؟! ولو أن ابن خلدون قال: " وشذ أتباع أهل البيت.." أو " وشذ شيعة أهل البيت.." لكان في سعة من أمره، لكنه نسب الشذوذ إلى أهل البيت أنفسهم، فخالف القرآن الكريم، وهذا أمر غير مقبول، وفيه من الغفلة عن تدبّر القرآن الكريم ما لا يخفى، بل فيه كفْر بالقرآن الكريم مهما هذّبت العبارة. وعلماء المسلمين لا يختلفون في موقفهم ممّن يكذّب شيئا من القرآن الكريم آيةً فما فوقها..هنا كانت لحظة التّأمّل التي جعلتني أعيد النظر في ما ورثته من تراث لا يبالي أصحابه بتكذيب القرآن الكريم انتصاراً منهم لشيوخهم ومذاهبهم..

كانت البداية، وكانت بعدها ألطاف إلهيّة و أسرار ربّانية يشير إليها قوله تعالى" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق..."

لم يكن يخطر ببالي أنّ عالما من علماء المالكية يسمح لنفسه بمثل هذا الكلام وآية التّطهير واضحة بيّنة.. وهكذا تضاءل ابن خلدون أمامي وبدأت بعض الخطوط تتّضح، وترتّبت عليها آثار دفعتني إلى مطالعة تاريخ حياة الرّجل، وكان لي هناك مفاجآت أشرت إلى بعضها فيما بعد في كتاب " معاوية ". ولا يفوتني هنا أن أسجّل أنّ أمثال ابن خلدون في مجتمعنا كثيرون، يظهرون على الفضائيات، ويهذرون في الإذاعات، ويخطّون في المواقع الإلكترونية والجرائد والمجلات، وإن لم يبلغوا مستواه العلمي.

وقد لاحظت أثناء البحث في أقوال ابن خلدون ما يكشف عن انحراف فكريّ خطير، كأنّما يردّ فيه أحاديث النّبيّ بخصوص الإمام المهدي (عج) ؛ وأقول " كأنما" كيما يبقى مجال لمن يلتمس له العذر، فهو يقول: فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمّة في شأن المهديّ وخروجه آخر الزّمان، وهي كما رأيت[!] لم يخلص منها من النّقد إلاّ القليل، والأقلّ منه، وربّما تمسّك المنكرون لشأنه بما رواه محمّد بن خالد الجنديّ عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن النّبيّ ﷺ أنه قال: لا مهديّ إلاّ عيسى بن مريم[1]. اهـ هذا مع أنّ قضيّة الإمام المهدي من المسلّمات عند المسلمين منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

وبخصوص الموقف من ابن خلدون، لا بأس بإيراد كلمة للمفكّر الأديب عبّاس محمود العقاد قال فيها:

[. . فالدولة الأمويّة في الأندلس أنشأت للشّرق الإسلاميّ تاريخا لم يكتبه مؤرّخوه ولا يكتبونه على هذا النّحو لو أنّهم كتبوه، وجاءت تلك الدّولة الأندلسيّة بمؤرّخين من الأعلام ينصبون الميزان راجحا لكلّ سيرة أمويّة لا يقصدونها بالمحاباة، ولكنّهم لا يستطيعون أن يقصدوها بالنّقد والملامة لأنّهم مصروفون بهواهم عن هذا الطّريق. من هؤلاء أناس في طبقة ابن خلدون يضع معاوية في ميزانه فيكاد يحسبه بقيّة الخلفاء

١- لا شكّ أنّ ابن خلدون يقصد نفسه فإنّه لم يعرف من الأعلام في زمان ابن خلدون وقبله من ينكر المهدي. وقد ذكر في زماننا أيّام قصّة الجهيمان في الحرم المكّيّ أنّ الشيخ عبد العزيز بن باز استدلّ بحديث الجيش الذي يغزو مكّة من تبوك، وهذا دليل على إيمانه بحديث المهدي .

الرّاشدين و يتمحّل المعاذير له في إسناد ولاية العهد إليه مع فسوقه وخلل سياسته وكراهة النّاس لحكمه حتّى من أبناء قومه. ولا يهولنّ قارئ التّاريخ اسم ابن خلدون فيذكره وينسى الحقائق البديهيّة التي لا تكلّفه أكثر من نظرة مستقيمة إلى الواقع الميسّر لكلّ ناظر في تواريخ الخلفاء الراشدين وتاريخ معاوية. فما في وسع ابن خلدون أن يخرج من هذه التّواريخ بمشابهة بعيدة تجمع بين معاوية والصّدّيق والفاروق وعثمان وعليّ في مسلك من مسالك الدّين أو الدّنيا، وفي حالة من أحوال الحكم أو المعيشة، وإنّه لفي وسع كلّ قارئ أن يجد المشابهات الكثيرة التي تجمع بين معاوية ومروان وعبد الملك وسليمان وهشام، فلا يفترقون إلا بالدّرجة والمقدار، أو بالتّقديم والتّأخير. وإذا كان هذا شأن ابن خلدون، فقل ما شئت في سائر المؤرخين وسائر المستمعين للتواريخ، من مشارقة شهدوا زمان الدّولة ومشارقة لم يشهدوه، ومن مغاربة عاشوا في ظلّ تلك الدّولة، وتعلّقت أقدارهم بأقدارها، وأيقنوا أنّهم لا ينقصون منها شيئا ثمّ يستطيعون تعويضه من الأندلس بما يغنيهم عنه، وما زال العهد بالمنبتّ عن أرومته أن يلصق بها أشدّ من لصوق القائمين عليها[1].

هذا الكلام من الأديب المفكّر عبّاس محمود العقاد جدير بالتأمّل والتدبّر، لأنّه يمثّل شهادة من خبير، ولا ينبّئك مثل خبير.

١- موسوعة أعمال عباس محمود العقاد، المجلد الرابع ص٣٢٥ /٣٢٦، دار الكتاب اللبناني .

الكلام الذي نقله الشوكاني عن بعض من أخذوا عن ابن خلدون يشير إلى قضيّة مهمّة يمكن أن يستنبط منها نفاق ابن خلدون، وإن كان يثقل على بعض المثقّفين سماع مثل هذا، لأنّ ابن خلدون في نظرهم من المتديّنين. فعبارة "وجهل مراد ابن خلدون فإنّه كان لانحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم" تشير إلى أنّه كان منحرفا عن الإمام علي عليه السلام، وإن كان هذا ثابتا في حقّه من طرق أخرى، ومعلوم أنّ الانحراف عن الإمام علي عليه السلام علامة انحراف عن الدين ورسوخ في النّفاق، وذلك بمقتضى الحديث الذي رواه أصحاب السنن، والذي يجعل المنحرف عن الإمام علي عليه السلام منافقا.

عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق[1].

١- مصنف ابن أبي شيبة الوفاة: ٢٣٥ -، ج ٦ ص ٣٦٥: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت و مسند الحميدي الوفاة: ٢١٩-، ج ١ص٣١، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي - بيروت ، القاهرة، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.و، ومسند أحمد بن حنبل، الوفاة: ٢٤١ -، ج ١ ص٨٤ وج ١ ص ٩٥ و ج ١ ص ١٢٨ : مؤسسة قرطبة - مصر و سنن ابن ماجه القزويني الوفاة: ٢٧٥ -، ج ١ ص ٤٢ : دار الفكر - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي و سنن الترمذي، الوفاة: ٢٧٩ هـ-، ج ٥ ص ٦٤٣ : دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون و خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي الوفاة: ٣٠٣ هـ -، ج ١ ص ١١٨ و ج ١ ص ١١٩: مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦ هـ الطبعة : الأولى، تحقيق : أحمد ميرين البلوشي، و المجتبى من السنن،النسائي، الوفاة: ٣٠٣ هـ -، ج ٨ ص ١١٥ وج٨ص١١٧ : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، و السنن الكبرى، النسائي، الوفاة: ٣٠٣ هـ -، ج ٥ ص ٤٧ : دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، و مسند أبي يعلى الموصلي التميمي الوفاة: ٣٠٧ هـ-، ج ١ص ٢٥٠و ج ١ ص ٣٤٧ دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ -

هذا الحديث يكشف حقيقة بالغة الأهمية، تفسّر هي بدورها ما جرى للإمام علي عليه السلام بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله، وما بقي يلاحقه بعد استشهاده. وابن خلدون لا يصرّح ببغضه للإمام علي عليه السلام، لكنّه يمدح أعداءه وخصومه الذين سبّوه على منابر شيّدها بسيفه، ويتحامل على ذرّيته كما مرّ ذكره فيما نقله الشّوكاني. والهيثمي ـ صاحب مجمع الزوائد ـ كان معاصرا لابن خلدون، فينبغي أخذ كلامه بعين الاعتبار. وقد كنت أتساءل في كثير من الأحيان عن سرّ ذلك التعظيم لابن خلدون من طرف مسلمين وغير مسلمين، مع أنّه لا أثر للتّقوى في نفسه، إلى أن عثرت على نصوص ومواقف له رفعت كلّ غموض.

لا يتوقّع من ابن خلدون وأمثاله الوقوف إلى جانب الحقّ عند المواجهة، فالمرء محكوم بكثير من القضايا التي تسيطر على تفكيره في آخر الأمر إذا هو لم يجاهد نفسه، وهذا الأمر معلوم في زماننا بشكل خاصّ بعد ما رأيناه من تصرفات وعّاظ السلاطين وعلماء الثروة والجاه. وليس من السّهل مواجهة الإغراءات وما يكتنفها من الكسل والارتخاء، والركون إلى الترف الفكري الذي يعدّ لكل مشكلة وصفة من المعاذير والمبرّرات، حتى حينما يتعلّق الأمر بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : حسين سليم أسد.وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الوفاة: ٣٥٤ هـ -، ج ١٥ ص ٣٦٧،مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرنئوط، والمعجم الأوسط، الطبراني الوفاة: ٣٦٠ -، ج ٢ ص ٣٣٧: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. و المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٥ ص ٨٧، دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني والمعجم الكبير، الطبراني ج ٢٣ ص ٣٧٥: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

توقفت عند عبارة الشوكاني بخصوص ابن خلدون، وتمنّيت أن يكون لها أخوات في تراثنا نحن المسلمين، وإن كنت قد عثرت على واحدة لابن حجر الهيتمي سأذكرها في محلها إن شاء الله تعالى بخصوص ابن تيمية. فالشوكاني يقول: " وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب التّرجمة فهو ممن أضلّه الله على علم "، والشّوكاني ليس متّهما على ابن خلدون في شيء، وهو متأخّر عنه زمانا، والحكم في العبارة مشروط بصحّة صدور الكلمة، ومع ذلك قلّما نجد التفاتة في مثل هذا المستوى! لأنّ المواقف من العلماء وأقوالهم باتت مذهبيّة، وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة. والأدلّة على ذلك كثيرة لا بأس بإيراد واحد أو اثنين منها.

رزية الخميس في نظر النووي

قال النووي في شرح صحيح مسلم:

قوله (عن ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس) معناه تفخيم أمره في الشدّة والمكروه فيما يعتقده ابن عبّاس وهو امتناع الكتاب، ولهذا قال ابن عباس الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب هذا الكتاب. هذا مراد ابن عبّاس وإن كان الصواب ترك الكتاب كما سنذكره إن شاء الله تعالى! قوله ﷺ حين اشتدّ وجعه (ائتوني بالكتف والدّواة أو اللّوح والدّواة أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا، فقالوا إنّ رسول الله ﷺ يهجر) وفي رواية فقال عمر (رض) إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، ثمّ ذكر أنّ بعضهم أراد الكتاب وبعضهم وافق عمر، وأنّه لمّا أكثروا اللّغو والاختلاف قال النبي ﷺ قوموا. اعلم أنّ

النبيﷺمعصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشّرعية في حال صحّته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهّد من شريعته، وقد سحرﷺحتى صار يخيّل إليه أنّه فعل الشّيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منهﷺفي هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قرّرها؛ فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي همّ النبيﷺبه فقيل أراد أن ينصّ على الخلافة في إنسان معيّن لئلاّ يقع نزاع وفتن، وقيل أراد كتابا يبيّن فيه مهمّات الأحكام ملخّصة ليرتفع النّزاع فيها ويحصل الاتّفاق على المنصوص عليه، وكان النبيﷺهمّ بالكتاب حين ظهر له أنّه مصلحة أو أوحى إليه بذلك، ثمّ ظهر أنّ المصلحة تركه أو أوحى إليه بذلك[1] ونسخ ذلك الأمر الأوّل. وأمّا كلام عمر(رض)فقد اتّفق العلماء المتكلّمون في شرح

١- انظر إلى هذا التناقض ـ رحمك الله ـ كيف يتبجح به هذا الشيخ، يزعم أن الوحي نزل بشيء ثم نزل وحي آخر ينقضه، والفاصل بين الوحيين ثوان أو دقائق لا أكثر. كيف يمكن أن يكون هذا وحيا، وأين المصلحة في هذا التصرّف؟ أليس هذا هو العبث بعينه؟ فكيف يصدر من العليم الحكيم؟! إذا كان الوحي الأول صحيحا فأين محلّ الثّاني من الإعراب؟ وإذا كان غير صحيح فإنا لله وإنا إليه راجعون! هذا إضافة إلى أن الشيخ النووي يقطع على الله تعالى بالظنون لأن استنباطاته مبنيّة على ما قيل، وأصحاب القول ليسوا معصومين؛ لكن بما أنّ كلمة " قيل " تخدم مذهب الشيخ النووي فقها واعتقادا فلا بأس أن ينزل " قيل " منزلة الوحي، بل أعلى. المهمّ هو تصحيح بيعة السّقيفة ولو على حساب الله والرسول والقرآن ! لا أدري بم يجيب الشيخ النووي يوم القيامة حين يسأل عن كلامه هذا، وهو مسؤول عن ذلك قطعا. ولا أدري بم يجيب اليوم أتباع النووي إذا التزموا الموضوعيّة والإنصاف. لكنها عبادة المذهب، ولا يزال الهوى بصاحبه حتى يخرجه عن حدّ الاعتدال إلى التطرّف.

الحديث على أنّه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنّه خشي أن يكتبﷺأمورا ربّما عجزوا عنها واستحقّوا العقوبة عليها لأنّها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها[1]، فقال عمر حسبنا كتاب الله لقوله تعالى﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾وقوله﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضّلال على الأمّة، وأراد التّرفيه على رسول الله ﷺ فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه[!] قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أواخر كتابه دلائل النبوة إنّما قصد عمر التّخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع، ولو كان مرادهﷺ أن يكتب مالا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره[2].

تعليق على كلام النووي:

يقول النووي: "هذا مراد ابن عباس وإن كان الصّواب ترك الكتاب"، ومعناه أنّ الصواب في مخالفة رسول الله ﷺ، لأنّه دعا بدواة ليكتب لهم كتابا، وقد أشار إلى أن الهداية التامة التي لا يحتمل معها أدنى ضلال في التمسّك بالكتاب الذي يكتبه لهم " لن تضلّوا بعده أبدا، لكنّ النّووي يرى الهداية في ترك الكتاب، وهذه تخطئة صريحة للنبيﷺ، وتصويب للضّلال. ومع ذلك لا أحد يشنّع على النووي فيما جاء به. من أين عرف النّووي أنّ الصّواب في مخالفة النبيﷺ، والقرآن الكريم يقول:﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة و يصيبهم عذاب أليم﴾؟!

١- يفهم من هذا الكلام أنه يمكن التحايل على النصوص بالتنصل منها.

٢- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الوفاة: ٦٧٦ هـ ، ج ١١ ص٨٩/ ٩٠ دار إحياء التراث العربي ، بيروت - ١٣٩٢، الطبعة : الطبعة الثانية.

وكيف يقول النووي " فأمن الضّلال على الأمّة " والحال أنّ الأمّة إلى يومنا هذا يقتل بعضها بعضا، ويسبّ بعضها بعضا، ويلعن بعضها بعضا؟! أين الأمن من الضلال؟ وهل الفتنة والضّلال إلا ما نحن فيه؟!

وفي الرواية قولهم: " فاختلف أهل البيت فاختصموا، ثمّ ذكر أنّ بعضهم أراد الكتاب وبعضهم وافق عمر[!] وأنّه لمّا أكثروا اللّغو والاختلاف قال النبي ﷺ قوموا "! وهذا يعني أنّ الأمّة انقسمت في حياة النبي ﷺ إلى أمّتين: أمّة مع رسول الله ﷺ تريد تطبيق أمره دون نقاش، عملا بكتاب الله سبحانه وتعالى، وأمّة تريد مخالفة رسول الله ﷺ يتزعّمها عمر، وهي تدّعي أنّها تستند في مخالفتها لرسول الله ﷺ إلى كتاب الله عز وجل. وهذا يعني أنّ رسول الله ﷺ أصبح في جهة وكتاب الله تعالى في الجهة المقابلة، مع أنّه أنزل عليه ولم ينزل على عمر. فاختلاف الأمّة لم يبدأ بعد وفاة النبي ﷺ كما هو رائج عند الخطباء وإنّما بدأ في حياته. وقولهم "حسبنا كتاب الله" ينطوي على دهاء كبير، لأنّه يتضمن إقصاء عترة النبي ﷺ وهو حيّ، فمن يتجرأ بعد ذلك على ذكر الشرعيّة إذا كانت قد صودرت والنبي ﷺ حيّ؟!

لقد أرادوا أن يجرّدوا رسول الله ﷺ من عنوان النبوّة وهو حيّ، لأنّه إذا كان نبيّا معصوما حال المرض والصحّة كما يقول النووي" معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشّرعية في حال صحّته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه " فكيف يخشى منه أو عليه إذا غلبه الوجع؟ والأمور التي زعموا

أنّهم خشوا أن يكتبها ويعجزوا عنها هل هي من عند الله تعالى أم هي من عند النبيﷺ؟

إن كانت من عند الله تعالى ـ وهي قطعاً كذلك ـ فإنّه ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾[1]. فإذا ادّعوا الخيرة من أمرهم كانوا عاصين لله ورسوله وضلوا ضلالا مبينا. وهم لم يكتفوا بدعوى الخيرة، بل ادّعوا أن النّبي قد يتقوّل على الله تعالى الأقاويل ويكلّفهم بما لا يطاق. هذا واضح في كلام النووي والعلماء.

من الذي سمح للنّووي أن يتكلّم بتلك الطريقة؟ ومتى كان النّووي يعلم الغيب حتى يعلم مراد الله تعالى ومراد رسولهﷺ؟ وإذا كان ما يراه النّووي صحيحا فلماذا ينفرد به هو وجماعته مع أنّ النبيﷺ كان يتكلّم بلسان عربي مبين؟ هل هناك رموز في كلامهﷺ؟ ولماذا يضع النووي وأمثاله أنفسهم بين رسول اللهﷺوبين أتباعه؟ لماذا يعطون لأنفسهم ما لم يعطهم الله سبحانه وتعالى؟ هل كان يوحى إليهم هم أيضا؟! أليس في ذلك ما يشعر أنّ الحاخامية قد تسلّلت من علماء اليهود إلى علماء المسلمين؟ كيف يقنع النووي الموحّدين المحترمين لنبيّهم بهذا الكلام السمج الذي ينطوي على استخفاف بشخص النبي الكريمﷺ؟ ليحتفظ النووي بتقديسه لقريش، وليس له الحقّ في أن يتكلّم باسم الأجيال، كما أنه ليس له الحقّ في أن يؤول كلام رسولﷺعلى هواه هو.

١- الأحزاب : ٣٦

وانظر إلى قوله:"وأمّا كلام عمر(رض)فقد اتّفق العلماء المتكلّمون في شرح الحديث على أنّه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنّه خشي أن يكتبﷺ أمورا ربّما عجزوا عنها واستحقّوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها[1].

هكذا انتقل النووي من الاستخفاف بالنبيﷺ إلى الاستخفاف بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم كلام الله تعالى، والاستخفاف بالمقول استخفاف بالقائل. يقول النووي: " خشي أن يكتبﷺ أمورا ربّما عجزوا عنها واستحقّوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها "، وهذا الكلام يتضمن اعتقادا بتكليف ما لا يطاق، وهو باطل عند علماء المسلمين الذين يدّعي النووي اتّفاقهم على ما يزعمه! فالقرآن الكريم يصرح أنه:﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[2]وأنه﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾[3] وأنّه ﴿ ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾[4] وأنه ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[5].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها : وقوله﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾أي لا يكلف أحدا فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم وهذه هي

١- صحيح مسلم بشرح النووي،: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الوفاة: ٦٧٦ هـ -، ج ١١ ص٨٩/ ٩٠ دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة : الطبعة الثانية.
٢- البقرة: ٢٨٦
٣- الطلاق: ٧ . وتدبر قوله تعالى بعد ذلك في نفس الآية﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾يتبين لك ما غفل عنه النووي.
٤- المؤمنون: ٦٢ .
٥- البقرة : ١٨٥ .

الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أي هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذّب إلا بما يملك الشخص دفعه فأما ما لا يملك دفعه..[1]

وانظر إلى قول قائلهم: فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضّلال على الأمّة، وأراد التّرفيه على رسول الله ﷺ فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه[!]قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أواخر كتابه دلائل النبوة إنّما قصد عمر التّخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب مالا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره[2].

وهذه مغالطة أكبر من سابقاتها، لأنّه إذا كان قد أراد التخفيف عن النبي ﷺ فإنه يفترض أن يشكره النبي ﷺ على ذلك ويدعو له بخير، لا أن يقول " قوموا عني " . هذا إضافة إلى أنّه لا معنى لكتاب يكتبه بعد أن قالوا "يهجر"، وجميع الشرائع والقوانين الوضعية تشترط في الكتب والوصايا سلامة العقل والحواس حين الكتابة والوصية، وليس من يهجر داخلا في الشرط، لأنه لا يدري ما يقول! على أنّ في قوله " اتّفق العلماء المتكلّمون في شرح الحديث على أنّه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره " تجنيا على الإسلام والمسلمين، وتزويرا وتحريفا للحقائق، لأنّ فئة عظيمة من أهل القبلة لا تشاركهم هذا، بل تعتبره ضلالا محضا. وعلى رأس هؤلاء الإمامية الاثناعشرية الذين يقتدون برسول الله ﷺ ولا

١- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ج١ ص٣٤٣ : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١ هـ

٢- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الوفاة: ٦٧٦ هـ -، ج ١١ ص٨٩/ ٩٠ .: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢، الطبعة : الطبعة الثانية.

يقفون في وجهه. والعلماء عندهم يأتون في التّرتيب وفق ما حدّده النبيﷺ، فإنّه جعل أهل بيته عليهم السلام أعلم النّاس، وقرنهم بالقرآن الكريم، وجعل الهداية في طاعتهم والضلال في مخالفتهم. فإن كان النووي لا يعتبرهم من المسلمين فإنه يكون مكذّبا لرسول اللهﷺ، وإن كان يعتبرهم مسلمين فما باله لا يلتفت إلى موقفهم بخصوص الواقعة المذكورة ويقول " اتّفق العلماء المتكلّمون في شرح الحديث". والذين يهمّشون أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، إن كانوا لا يعتبرونهم مسلمين فعليهم أن يتذكروا أن اليهود والنصارى لا يعتبرون نبينا ﷺ رسولا! فإن أصروا على موقفهم لزمهم أن يقبلوا موقف اليهود والنصارى! لأنّ الموقفين متشابهان عينا بعين، وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد. تعسّف اليهود والنصارى في إنكار نبوّة نبيناﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وتعسّف وكابر من أهل القبلة من أنكر أعلميّة وأفضليّة أهل بيت النبيﷺ.

هذه نظرتي إلى ما جرى يوم الخميس، وإن لم أكن في مستوى النووي في الحفظ والسّرد، لأنّه هو بدوره على مستوى ضحل من الوعي وحضور العقل عند التّحليل.

رسول اللهﷺ يدعو بدواة وكتف ليكتب كتابا يضمن النجاة من الضلال. والحاضرون مأمورون من قبل الله تعالى بطاعة الرسولﷺ دون قيد أو شرط. فالمفروض أن يستجيبوا ولا يناقشوا.

مجرّد مناقشتهم وفتح باب النقاش هو ردّ على الله تعالى. فكأنّهم يقولون: لنا الحقّ في مناقشة كلام رسولك ومخالفته يا رب العالمين،

وأمرك إيّانا بطاعته من دون قيد أو شرط غير صالح في كل المواطن. ومن شأن نبيّك أن يهذي إذا غلبه الوجع، فيقول أو يفعل ما لا ينسجم مع القرآن، ونحن نخشى أن يمزج القرآن بشيء من عنده حال هذيانه فيفسد علينا ديننا!

هذا مرادهم الذي فرّ من التصريح به النّووي وهو يعلم، وخلَط الأمور، وراح يتسكّع في التأويل والتبرير؛ وكان عليه أن يقف إلى جنب رسول الله ﷺ لا إلى جنب مخالفيه، لكنّه مسلوب التّوفيق، لا يهمّه من الدين إلا الدّفاع عن الماضي، وحتى لا يكون في الحديث ظلم للرجل، لنتخيّل المحاسبة يوم القيامة. أليس في القرآن الكريم:﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾؟ فلنتخيّل المحاسبة.

رسول الله ﷺ و الجماعة الذين حضروا المجلس، وملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ماذا قلتم حين أمركم النبي ﷺ بإحضار دواة وكتف ليكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده؟

يقولون: خشينا أن يكون قد غلبه الوجع!

يقال لهم: ثمّ ماذا إذا غلب عليه الوجع؟

يقولون: قد يقول كلاما لا ينسجم مع القرآن؟!

يقال لهم: وعلى فرض أن يحدث شيء من ذلك ـ والعياذ بالله ـ هل يتخلى الله تعالى عن نبيه ﷺ؟ اذكروا لنا اسم نبي من أولي العزم أو غيرهم هذى وهجر؟

ثمّ هل هذا الذي خشيتموه يقين أم ظنّ؟

يقولون :هو ظنّ!

فيقال لهم: أليس في القرآن الذي تؤمنون به﴿وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئا﴾ ؟فلماذا قدّمتم الظّن على اليقين.

يقولون : كان ذلك حرصا منا على الدّين!

يقال لهم: هل أنتكم أرأف وأرحم بالمؤمنين من رسول الله ﷺ؟

فإن قالوا : " نعم" كفروا، لأنّ الله تعالى يقول:﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾. ولم يقل مثل هذا فيهم.

وإن قالوا: " لا "، تمّت الحجّة عليهم!

ثم يقال لهم: هل كذب عليكم رسول الله ﷺ يوما من الأيّام؟

فإنْ قالوا: " نعم " كفروا، وإن قالوا " لا " قيل لهم: فهو إذاً صادق في قوله لن تضلّوا بعده أبدا؟

فإن قالوا: " لا " كان تناقضا وكفرا، لأنهم قالوا قبلها في جواب هل كذب عليكم يوما من الأيام:" لا ". وإن قالوا : "نعم" قيل لهم: فأنتم إذاً لا تريدون الهداية والأمن من الضّلال، ومن كان كذلك فهو يريد الضّلال، ومن يرد الضّلال فمأواه جهنّم.

فإن قالوا: "نعم" لا نريد الهداية، شهدوا على أنفسهم بالضّلال.

وإن قالوا: " لا، بل نريد الهداية " قيل لهم: فما بالكم تردّونها؟!

ثم يقال لهم: هل عندكم تفويض من الأمّة تتكلّمون باسمها؟

فإن قالوا: " نعم " كانوا من المفترين لأنّه لم يدّع هذا إلى اليوم أحد من المفسّرين أو الفقهاء أو الأصوليّين أو المحدّثين، وإنّما تحدّثوا عن شيء اسمه **أهل الحلّ والعقد** ، ولم يبيّنوا للنّاس من أين جاء الحلّ والعقد؟

ولم يكن عل عهد رسول الله ﷺ جماعة اسمهم أهل الحلّ والعقد، بل نهى الله تعالى عن التقديم بين يدي الله ورسوله كما هو واضح في بداية سورة الحجرات.

وإن قالوا: "لا" كانوا أصحاب دعوى باطلة، وما يترتّب على الباطل باطل.

ثمّ يقال لهم: إذا لم يكن لديكم تفويض من الأمّة تتكلّمون بمقتضاه باسمها، فمن الذي سمح لكم بمواجهة النّبي ﷺ؟

ثمّ، كيف تزعمون أنّه قد يهذي وهو يقول "لن تضلّوا بعده أبدا"؟ هل في هذه العبارة ما يدلّ على الهذيان؟! كيف يميّز من غلب عليه الوجع بين الهداية والضّلال؟

كيف يميّز من دخل في الهذيان بين الهداية والضلال؟

وعلى فرض أنّ الأمّة أعطتكم تفويضا، فإنّها تعطيكم فيما تملك لا فيما لا تملك؛ فهل تملكون تفويضا من الأجيال التي تأتي فيما بعد.

ثمّ ينادى في المحشر في ذلك الموقف المهيب والأنبياء في مقدمة الشهود: من كان موافقا على كلام وموقف الجماعة يوم الرزيّة [رزية يوم الخميس] فليمتز[1].

ولا ريب أنّ الذين لا يقبلون ما جرى يومها في هذه الدّنيا لن يقبلوه يوم القيامة.

وهكذا يكون النّاس يوم القيامة مجموعتين:

مجموعة تؤمن بطاعة النّبي ﷺ في الدّنيا في كلّ الأحوال من دون قيد أو شرط، وترى مخالفته في الصّغير كمخالفته في الكبير[2].

١- هكذا العبارة في سورة يس: ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾.

٢- ليس المقصود بالمخالفة المعصية العملية التي تصدر من الإنسان، فإن العاصي الذي يشرب الخمر أو يمارس القمار ..لا يعتقد بحلية ذلك، بل يقر بحرمته، ويقر

ومجموعة ترى أنّه يمكن مخالفته والردّ عليه، لأنّه بشر، يخطئ ويصيب، وقد يخطئ في أمر يصيب فيه غيره، كما صرّح به النووي في قوله: " وإن كان الصواب ترك الكتاب كما سنذكره إن شاء الله تعالى ". وذكر النووي بعد ذلك أمورا نعوذ بالله تعالى من تبنّيها والموافقة عليها.

يومها لن يكون هناك خليفة ورئيس جمهورية وملك وأميرا! تتلاشى الأسماء والألقاب والمناصب والمراتب، ويكون الناس بأسماء وألقاب أخرى: موحّد ومشرك، مخطئ ومصيب، مطيع وعاص، ثابت ومرتدّ...ولن يكون هناك يومها سياط وسيوف مسلّطة على الأفكار والمعتقدات..

لن يكون هناك أموال نفطيّة وجماعات إرهابيّة وتخطيطات بريطانيّة أمريكيّة.

يبدو أنّ للعناد نصيبه في ثقافتنا، ويبدو أنّ الرغبة في علاجه لا تحظى بالموافقة المطلوبة، موافقة الأكثرية؛ ربما كان ذلك لأن الأكثرية في مسألة الحقّ مذمومة، فأكثر النّاس لا يشكرون، وأكثرهم لا يعقلون، وأكثرهم لا يعلمون، وأكثرهم لا يؤمنون.

لو كان منشأ العناد في ثقافتنا أناساً بسطاء لهان الأمر، لكنّ الأمر مختلف تماما، فالذين يحتضنون العناد محسوبون على دعاةالإسلام، وهم من طبقة عالية عند الناس، ولا يعلم شأنهم عند الله..

هؤلاء العالون تعلّموا القرآن والحديث واللّغة.. وهم يزعمون أنّ عندهم ما ليس عند رسول الله ﷺ، وأنّه في وسعهم أن يقدّموا بديلا للمشروع

أنه عاص ومخالف، وأنه يستحق العقاب. إنما المقصود بالمخالف هنا هو ذلك الذي يعتقد أن رسول الله ﷺ يخالف الحق أو يأتي بشيء من عنده.

الإلهي، وأنّه في وسعهم قيادة البشريّة، وأنّهم وحدهم على هدى وأنّ كل من خالفهم على ضلال .

قضيت وقتا طويلا في البحث عن سبب العناد، ولا زلت أبحث، وأقصد بالعناد عناد العلماء لا عناد الصبيان والنّساء؛ ولا أستبعد أن يكون أحد أسباب ذلك الخذلان، وربّما كان أقوى الأسباب وأرسخها. فقد قصّ علينا القرآن الكريم قصّة من آتاه الله تعالى الآيات فانسلخ منها، وقالوا في تفسير الآية كلاما كثيرا، واختلفوا كعادتهم في سبب النّزول، لكنهم اتّفقوا على أنّ المعني بها انسلخ من الآيات اختيارا، وأخلد إلى الأرض اختيارا، وهذا يعني أنّ العناد أمر اختياريّ. وإذا نظرنا إلى الأمور من هذه الزاوية تزول كثير من المبهمات. تقول الآية الكريمة: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾.

تتابعت الأيام والليالي بعد ذلك يتلو بعضها بعضا، وأنا أتأمّل كلّ يوم وأتدبّر، وكأنّ كتاب الأستاذ أسد حيدر كان قاموس أسرار، وتدحرج السّفر إلى الهند ليصبح في الرتبة الرابعة أو الخامسة من اهتماماتي، دون أن ألغيه. وبدأت أتحرّر من الموروث التّلقيني شيئا فشيئا، وأظنّه كان أصعب ما مررت به، لأنّ الانسلاخ من أشياء كانت جزءا منك سنين طويلة ليس بالأمر الهيّن، ولا يفهم هذا وأمثاله إلا من جرّبه.

كان يمرّ بي اليوم كلّه وأنا أفكّر في قضيّة واحدة، أتناولها من زوايا عديدة، وأخلص في الأخير إلى أنّ هناك لعبة كبيرة جدّاً في تاريخنا، وأنّنا كنا حطب وقودها لا أكثر، وأنّ من تدركه العناية الإلهيّة يحتاج إلى وعي كبير حتى يحافظ على توازنه. وعلى كل حال كنت أقضي أيّامي في التّفكير، وهذه حالة جيدة، لأن تفكيري قبلها كان دائما مقيّدا. ومن حسن الحظّ أنّني كنت بعيدا عن الأهل والأصدقاء والأساتذة والزّملاء، فهؤلاء عادة ما يصرفون المرء عن أخذ قرار أو تبنّي قضيّة، أمّا حينما يكون الإنسان بعيدا عنهم جميعا فإنّه يكون سيّد الموقف بلا منازع، ويتحمّل تبعات عزمه ونتائج اختياره، ويتصرف بحريّة فعلا.

في اعتقادي أن الله تعالى يعطي فرصة الهداية لجميع الناس، وهذا مقتضى عدله، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في الآية الشريفة ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾. كلّ ما في الأمر أنّ من الناس من يحتضن هذه الفرصة ويجعلها أهمّ شيء في حياته، بينما ينظر إليها آخرون كأنها شيء

ثانويّ لا يستحقّ كثير اهتمام. وهكذا يضيّعون الفرصة بعد أن قامت عليهم الحجّة. ومن الناس من تتكرّر في حياته الفرصة إلا أنّه لشقائه يتجاهلها مرّة أخرى، وربّما ثالثة ورابعة، إلى أن يسدّ في وجهه الباب. والحقّ أنّه هو الذي سدّ على نفسه الباب، لأنّ الإنسان في الواقع هو أعظم ما في هذا الوجود، وكلّ الوجود مسخّر له، فإذا سخّر نفسه لشيء لم يعد مستحقّا لتلك العظمة، ولا أهلا للتّبجيل. لكنّ الإنسان ليس وحده في الميدان، فهناك عدوّه القديم الذي لا ييأس ولا يكسل، والذي أقسم أن يضلّه ويلعب بمصيره، لكن الإنسان يتجاهل ذلك أيضا كما يتجاهل فرص الهداية.

بدأت أحضر بعض الدروس مع الإخوة التونسيين، ومهما نسيت فلست أنسى درسا من كتاب شرائع الإسلام ذكرت فيه خصائص النبي ﷺ المهملة في كثير من كتب الحديث والفقه التي يفوح منها النفس الأموي.

بعدها بأيام صحبت أحدهم إلى مجلس؛ كان الخطيب فيه يتكلّم على غير الطريقة المعهودة عندنا، وفي آخر الحديث تكلّم الخطيب بصوت حزين عن قتل الإمام الحسين، وقرأ شيئا من الشعر، وأبكى الحاضرين..

نقلني هذا المشهد إلى أيام الدراسة في المتوسطة، وكان عمري يومها لا يتجاوز الرابعة عشرة.. أيّامها كانت كتب جورجي زيدان تباع في المكتبات، ومن بينها كتاب عنوانه" غادة كربلاء".

الكاتب جورجي زيدان مسيحي محض، والقصّة إسلاميّة محضة، ومع ذلك أشهد أنّه تجاوز العقبة ووفّق إلى ربط القارئ بالقصّة ربطا وثيقا،

وإن كان قد أدخل فيها بعض ما ليس منها، ولا يتوقّع من مسيحيّ أن يروي قصّة إسلاميّة بنفس إسلامي كامل، فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

أذكر أنّني تأثّرت كثيرا بالقصّة بعد قراءتها، ولا أريد الخوض في التّفاصيل، وأذكر أنّه داخلني يومها شعور لا يوصف، فإنّني لم أهضم أن يجري على الإمام الحسين ما جرى دون تدخّل إلهي ينهي القصّة كما نتمنى لها بسذاجتنا أن تنتهي. أليس الله تعالى على كلّ شيء قديرا؟ فلماذا تـرك الإمام الحسين يقتل بتلك الطريقة البشعة، ومعه إخوته وأبناؤه وأصحابه جميعا، في صبيحة واحدة ؟ لم أكن أعلم يومها أنّ الإمام الحسينعليه السلام لم يهزم، وإنما هزم قاتلوه. لم أكن أعلم يومها أنّه لو انتصر الإمام الحسين في المعركة لغدت النبوّة هدفا لكل مشكّك، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلمأخبر أن الإمام الحسين يقتل في كربلاء ولم يخبر أنّه ينتصر في المعركة، وإذا خالفت النبوءة الواقع فعلى الإسلام السلام.

هذه المرّة كنت أستمع إلى بعض ما جرى على الإمام الحسين والمتحدّث مسلم، وتلك المرّة كنت أتابع القصّة في كتاب، والكاتب مسيحيّ، ومع ذلك بكيت هناك، ولم أبك هنا ! أثّر فيّ مسيحي فأبكاني، وذكر القصّة نفسها مسلم فلم يهتزّ وجداني! لماذا؟ لا بد أن تكون الأدران التي غرسها ابن تيمية وابن كثير وابن القيّم وابن الجوزي في فكري هي التي حالت بيني وبين التّجاوب، وإلاّ فلماذا بكى الحاضرون ولم أبك أنا؟! وكلّنا نؤمن بإله واحد ونبيّ واحد وقرآن واحد؟!

كان ذلك أوّل مجلس حسيني حضرته، لأنّ ما سمعته عند ضريح رقيّة عليها السلامغداة وصولي إلى دمشق كان باللغة الفارسية فلم أفهم منه يومها

شيئا. واليوم، بعد مرور سنين طويلة، عليّ في هذا المقام أن أعبّر عن بعض ما فهمته بخصوص البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

البكاء على الحسين

مواقف المسلمين من البكاء على الإمام الحسين متباينة، فبعضهم يعدّه تعبّدا، ويرجو بذلك الأجر والثّواب، وبعضهم يراه بدعة، على صاحبه أن يتوب. وهناك من يرى في الأمر مبالغة من الطّرفين، ويعتقد أنّ المسألة لا تستحقّ كل ذلك العناء. لكن، إذا صحّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على الحسين، وأبكى أصحابه في المسجد، يغدو من يعتقد البدعة في ذلك على خطر عظيم؛ لأنّه لا يصحّ عند موحّد عاقل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصحاب البدعة، وهذا أوّل الغيث.

هل البكاء على الحسين مجرد تقليد يتوارثه الأجيال؟ أم أن له مدلوله المعنوي الذي هو من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد؟

ماذا يقول المعارضون للبكاء على الحسين(ع)؟

يقول قائلهم: ما هذا البكاء على الحسين والحال أن قتله حدث منذ ألف وأربعمائة سنة؟ والنّياحة على الأموات بدعة! فأنتم تتعبّدون بالبدعة، وتعلّمونها أولادكم. لماذا لا تستفيقون؟!

ثمّ ماذا تريدون منّي أن أفعل مع قاتلي الحسين عليه السلام وهم غير موجودين في هذه الدّنيا اليوم؟

صاحب هذا الكلام سواء كان يدري أم لم يكن يدري هو يسفّه سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنّته. بل هو يسفّه القرآن الكريم، وجدير بمن تربطه به صلة أن يدعو له قبل أن يخرج من هذه الدنيا، لأنّ من يخرج من الدّنيا

وهو يعتقد أنّ البكاء على الحسين بدعة، بعد أن تبيّن له أنّ رسول الله ﷺ أوّل من بكى على الحسين يخرج منها مختوما له بسوء العاقبة والعياذ بالله. وهو في مشكلة كبيرة ولا يعي ذلك.

هل البكاء على الحسين(ع) بدعة؟

هل البكاء على صالحي المؤمنين بدعة؟

رسول الله ﷺ بكى على الحسين، ولم يكن الحسين عليه السلام يومها قد استشهد. وعليه فبين بكاء النبي ﷺ على الإمام الحسين عليه السلام وبين شهادة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من خمسين سنة. فما معنى ذلك؟ إذا كان الحسين عليه السلام حيّا يرزق، صبيّا يلعب، فعلام يبكي رسول الله ﷺ؟ وعليه فرسول الله ﷺ يبكي لشيء لم يقع لكنّه حتميّ الوقوع. إذا كان المقصود بقول قائلهم ألاّ يبكى على الحسين بعد الواقعة فما ظنّك بمن يبكي قبل وقوعها؟! ـ كما يذهبون إليه ـ أنّ البكاء تبعٌ للقتل.

لم يكن عند رسول الله ﷺ إلا علْم بقتل الحسين عليه السلام مظلوما، أمّا نفس القتل فلم يكن قد حدث.

علم النّبي ﷺ بقتل سبطه الحسين قبل وقوع الحادثة بخمسين سنة، ونحن علمنا بذلك لكن بعد ألف وأربعمائة سنة؛ نتج عن علْم النبي ﷺ بقتل الحسين التأثر و الحزن والبكاء، ونحن أيضا نتج عن علْمنا بقتل الحسين عليه السلام التأثر والحزن والبكاء، فنحن على خطى النبي ﷺ وهديه، نشاركه عملا واحدا، ومن رضي بفعل قوم شركهم فيه، فكيف إذا كان الفاعل سيد الخلق ﷺ!

لا بأس إذاً أن ننسب إلى البدعة والانحراف والخرافة، لكن ماذا يفعلون مع رسول الله ﷺ؟ بكاؤه في نظرهم عبث وبدعة! فهو يبكي على شيء لم يقع. وعزّ عليهم أن يعترفوا أنّهم ليسوا في مستوى مواساة رسول الله ﷺ، فراحوا يتنصّلون من الحقيقة ويشنّعون على محبّي الحسين عليه السلام بكاءهم عليه، فإذا جوبهوا ببكاء رسول الله ﷺ خنسوا!
وقد كان أوّل الصحابة اقتداء برسول الله ﷺ في البكاء على الحسين عليه السلام جابر بن عبد الله الأنصاري، وهو ثقة عدل عند جميع المسلمين بلا خلاف. فهل كان جابر بن عبد الله مبتدعا؟!
أهكذا يتعامل المؤمن مع الحقّ؟ أين النزاهة والأمانة؟
هذا، وقد سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز يبكي بكاء حارا وهو يقرأ قصة أصحاب الإفك!! مع أن رسول الله ﷺ لم يبك بخصوص قصّة أصحاب الإفك، وعائشة بنت أبي بكر زوج النبي ﷺ في كتب الحديث والتفسير هي المصدر الوحيد لتفاصيل القصة.
الراسخون في الإيمان لا يتعاملون مع الحقائق بالزمن، بحيث يكون البكاء على الميت في الأيام الأولى من وفاته جائزا، فإذا طال العهد صار بدعة، وإنّما يتعاملون بالقيم والمعايير الإنسانية والمثل العليا والإرشادات الإلهية والهدي النبوي الشريف، وكل أهل القبلة مأمورون بمودة أهل بيت النبي ﷺ كما هو مبيّن في الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى.

وهذا لا يخصّ معاصري النبيﷺدون غيرهم، وكان النبيﷺيقول وهو على فراش الموت: " أنشدكم الله في أهل بيتي "[1].

بعد هذا يفترض في المسلمين أن يرعوا حرمة أهل بيت النبي ﷺمهما حدث، وذلك لوجه رسول الله ﷺحتى لو صدر منهم ـ وحاشاهم ـ ما يوجب الانزعاج. هذا من باب الفرض والفرض سهل المؤونة، وإلا فإن القرآن الكريم أخبر بطهارتهم.

ماذا يريد الذي يقول: انسوا أو تناسوا قتل الحسين؟! لا بدّ أن يكون وراء هذا الكلام قصد.

إذا نسينا قتل الحسين فإننا نكون قد أعنّا على الظلم. ووظيفتنا جيلا بعد جيل أن نمرّر المظلومية، كما مرّرها النبيﷺ على الجيل الأوّل. لا بدّ أن

١- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني الوفاة: ٣٦٠ هـ - ج ٥ ص ١٨٣: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي وبحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار،أبو بكر الكلاباذي البخاري الوفاة: ٣٨٤ هـ ج ١ص ٣٠٣- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي.الكشف والبيان تفسير الثعلبي النيسابوري -، الوفاة: ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥م -، ج ٨ ص ٤٤ : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي والجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي الوفاة: ٨٧٥ هـ -، ج ٨ ص ٤٤: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت.وجامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير-، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الأولى / ٩١١هـ ج ١٩ ص ٤٦٨ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي الوفاة: ٩٤٢هـ ج ١٢ ص ٣٩٧: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ الطبعة : الأولى، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ج ١٣ ص ٢٧٦: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.

تعلم الأجيال أن رسول الله ﷺ ظلم في أهل بيته من طرف أمّته. أمته ﷺ عاهدته عل أن تحفظه في أهل بيته لكنّها غدرت ونكثت عهدها وقتلتهم، ونحن نريد أن نتبرّأ من هذا العمل.

قصدنا من إحياء المجالس والمحاضرات وإنشاد القصائد وغير ذلك إنّما هو لإثبات البراءة ممن آذى رسول الله ﷺ وقتل أهل بيته واحداً واحداً. نريد أن تشهد لنا هذه الأعمال أنّنا لم نكن في صفّ قتلة أهل بيت النبي ﷺ لحظة فما فوقها. وهذا يفيد أن الذين يتبرأون ممن قتل الحسين وبينهم وبين ذلك ألف وأربعمائة عام لو كانوا في عهد الإمام الحسين ﷺ لنصروه، وعليه فإنهم ينالون رتبة أنصاره ﷺ، لأنّ المانع لهم من نصره فعلا يوم كربلاء هو أمر خارج عن إرادتهم وليس إليه سبيل، فقد كانوا في الأصلاب والأرحام، والله لا يحاسب من هو في الصلب، وإنما يحاسب من هو في نشأة الدنيا بعد سنّ التكليف.

فالذي يبكي اليوم على الحسين لو كان في عهده لنصره بالسيف، والذي يعترض اليوم على البكاء على الإمام الحسين ﷺ لو كان في زمانه لشهر السيف في وجهه الشريف.

أين المشكلة، وما الذي يخسره المعترضون على إقامة العزاء والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام؟!

هناك سلوك فطري عند من لم يفقدوا إنسانيتهم، وهو أنّهم يعظمون من يضحّي لأجلهم، والإمام الحسين عليه السلام قام بأعظم تضحية في تاريخ البشرية. لم يكن مستحيلاً ـ عقلاً ـ على الإمام الحسين أن يفعل كما فعل عبد الله بن عمر، ويسالم يزيد بن معاوية، لكن هل يفعله؟ لو فعل

ـ وحاشاه من ذلك ـ لكان مشابهاً لمن أقرّوا الظّلم وهادنوا الطغاة وأعانوا على هدم الدين، ولكان في خط من أعلنوا الحرب على القيم والديانات، وإنّما أرسل الله تعالى الرسل بالبينات ليقوم الناس بالقسط، وليس يزيد وأبوه من أهل القسط.

نحن لا نعيش كربلاء اليوم إلا بقلوبنا ووجداننا، لكنّنا نعيشها بشكل يصعب وصفه وتحليله. فنحن لا نحزن حينما نصاب في أهلنا وذوينا إلا لمدّة قصيرة. أمّا حينما يتعلّق الأمر بالإمام الحسين عليه السلام فإن الأوضاع تختلف وتأخذ بعدا آخر. لأن الذي يبكي لمصاب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله في كل سنة يحسّ كأنّها أوّل مرّة يبكي فيها لأجل تلك المصيبة، وأنّه لو بكى آلاف السنين لما وفى الإمام الشّهيد حقّه. لقد أمر نبي الله تعالى إبراهيم عليه السلام في عالم الرؤيا بالتّضحية بابنه، واستجاب إبراهيم عليه السلام للأمر الإلهي، وهو نبيّ من أولي العزم من الرّسل، لكنّه أيضا أبٌ كبقية الآباء، فليس من السهل عليه أن يصبر على ذلك المنظر، ولم يستطع أن ينظر إلى وجه ابنه وهو يفارق الدنيا فتلّه للجبين[1]، وأدركت العناية الإلهية إبراهيم فلم يذبح ابنه، لكن الإمام الحسين(ع)كان ينظر إلى إخوته وأولاده وبني عمومته وأصحابه يقتلون ويذبحون أمام عينيه واحدا بعد الآخر في يوم واحد! ويتحمّل ذلك ولا يظهر جزعا. ولم يبق بعده إلا زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

١- قال ابن كثير : والمعنى تله للجبين أي ألقاه على وجهه قيل أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه. قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك [البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ج١ ص ١٥٨ : مكتبة المعارف، بيروت].

قال ابن مسكويه في تجارب الأمم: قال عبد الله بن عماد : فلقد رأيته وهو يحمل على من في يمينه فيطردهم، وعلى من في شماله فيطردهم، وعليه قميص خزّ وهو معتمّ، فوالله، ما رأيت مكثورا قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشا منه، ولا أمضى جنانا، ولا أجرأ مقدما. والله، ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجّالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب[١].

وجاء ابن كثير فحذف من النص ما لم يعجبه، وتلك عادته، والشيء من مأتاه لا يستغرب؛ لكن قبيح أن يصل التعصّب بشيخ في مستوى ابن كثير إلى درجة أن يغدو إماما في التّحريف والتّزوير، ثمّ هو في نفس الوقت يتّهم خصومه بقلة الأمانة! وسيجمع الله تعالى بيننا وبين من حرّفوا تراثنا ويحكم بيننا بالعدل، وخسر هنالك المبطلون. قال ابن كثير: قال عبد الله بن عمار: رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى انذغروا عنه، فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشا منه ولا أمضى جنانا منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله[٢].

١- تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي، الوفاة : ٤٢١- الجزء : ٢ ص٨٠، دار سروش للطباعة والنشر سنة الطبع ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : الدكتور أبو القاسم إمامي، وأنساب الأشراف، البلاذري المتوفى : ٢٧٩هـ- ج ٣ ص ٤٠٨ . دار الفكر بيروت ١٤١٧ هـ١٩٩٦ م تحقيق د. سهيل زكار و د. رياض زركلي.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، الوفاة : ٧٧٤ - ج : ٨،ص٢٠٤، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م . تحقيق وتعليق : علي شيري. و ج ٨ ص ١٨٨، مكتبة المعارف، بيروت.

عزّ على ابن كثير أن يشبّه قتلة الإمام الحسين(ع) بالمعزى فحذف النص، وله بعد ذلك هنات كثيرة في التحريف والتزوير.

كتبت أيديهم

كتبت مجلة الراصد على صفحة موقعها في العدد٢١ غرة ربيع الأول١٤٢٦ هـ ما يلي:

كنا قد تناولنا في العدد الحادي عشر قضيّة المتشيّعين من أهل السنّة والذين يطلقون عليهم "مستبصرون" وأطلقنا عليهم لقب فقاعة الصّابون، ذلك أن المتشيّعين يشابهون فقاعة الصابون في كبر الحجم وجمال المنظر لكن اقل[كذا] نسمة هواء تحيلها إلى هباء! والذي دعانا إلى تناول موضوعهم مرة أخرى ليس أهميته عندنا وإنما تعرفنا على نموذج جديد من (فقاقيع الصابون) يدعى عبد الباقي الجزائري مقيم في قمّ اتّصل على قناة المستقلّة وعرض على الناس عقله ودينه والتشيّع الذي اقتنع به! وذلك في حلقات سيرة الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي شارك فيه الدكتور ناصر الحنين والدكتور محمد العريفي. والفقاعة الجديدة (عبد الباقي) اخرج[كذا] من المستودع بعد فشل الفقاعة الرئيسية (التيجاني) في المناظرات الأولى حيث قدم نفسه للناس كـ(كلب آل البيت)حاشاهم الحاجة للكلاب. والهدف هو إيهام الناس أنّ التشيّع ينتشر ويتوسّع ولكن الحقيقة هي أن التشيّع يكسب أنصاراً من فئات معيّنة ومحدّدة ينطبق عليها قول الله تعالى في المحرّمات من البهائم وهي(المنخنقة و الموقوذة والمتردية والنطيحة)، و(عبد الباقي) هو آخر ما كشفت عنه معامل التشييع في قمّ أكبر شاهد على مستوى المتشيعين. وهذه الفقاعة الجديدة(عبد الباقي) إحدى الفقاقيع التي سبق أن شاهدنا نماذج منها (فقعت) دون أن يأبه بها كائن، مثل (هشام قطيط)

في سوريا أو(أحمد يعقوب) في الأردن أوفي مصر[كذا] (حسن شحاته) أو في فلسطين (محمد شحادة) إلي بقية الفقاقيع التي قيد (التفقيع) أو التلاشي.

وفقاعتنا الجديدة (عبد الباقي)يصلح أن يكون نموذجا عمليّا لما يعتنقه المتشيّع من أهل السنّة من عقائد فاسدة وأكاذيب سخيفة وغلوّ ممقوت، ومن جهة ثانية يكشف حقيقة الفكر الشّيعي المعاصر في قمّ وغيرها، وأنّه فكر حاقد مبني على الكراهية بعيد كل البعد عن دعاوي الوحدة والتقريب ويظهر ما هو المقصود من النشاط الشيعي الإيراني وغيره في أوساط أهل السنة. و(الفقاقيع)مهما تنوّع تحصيلها الجامعي من عيّنة واحدة(المنخنقة و الموقوذة والمتردّية والنطيحة)ولهذا نشرنا في باب جولة الصحافة مقالا للفقاعة المصري الدكتور أحمد راسم النفيس فراجعه تري[كذا][1] فيه مستوى عقل ودين هؤلاء الفقاقيع المتشيعة. و في سياق ذكرنا لحلقات سيرة الفاروق نحيي الشيخ العريفي على جمال أسلوبه الذي عرى ضلال الشيعة و مكرهم باللطافة وسعة الصدر حيث أن الحق عليه نور ويزيده نور حسن الخلق فإنه أقوى في الحجة، فبارك الله في العريفي و جعل أسلوبه طريقة تتبع. وختاماً نسأل الشيعة ومعامل (تفقيعهم)أليس لديكم رجل رشيد تقدمونه للناس؟؟ (انتهى).

أقول: لا أريد مناقشة صاحب المقال في أخلاقيّاته، وأكتفي في المقام بقول الشاعر:

١- الفعل المضارع المعتل إذا كان مجزوما يحذف منه آخره وهو حرف العلة، وهو هنا مجزوم باعتباره جواب الطلب، لكن صاحب المقال لا يرى لزوما لذلك، ومن عبث بالفقه والحديث والتفسير لا يضره أن يعبث بالنحو والصرف.

ولا غرو فيما بيننا من تفاوت * فكلّ إناء بالذي فيه ينضح[1]

لكنني مع ذلك ملزم بالردّ على من يكون كلامهم مجانبا للصواب حينما يوجهون إليّ أو إلى من أحبّهم التّهم. وعليه، سأردّ على صاحب المقال بما يمكن، متوخّيا الصواب ما استطعت،وأترك الحكم للقارئ.

كان على صاحب المقال أن يأتي بمثال يقوّي به مدّعاه، لا أن يتكلّم بعموميّات شاخت وهرمت. وليس من الحكمة والتعقّل أن أتّهم غيري بشيء ولا آتي بدليل أو شبه دليل على ما أقول، بل إن ذلك لن يكون إلا عبثا في نظر العقلاء. لكنّنا تعوّدنا على هذه الأساليب من طرف أناس يدّعون أنّهم أشدّ تمسّكا بسنة رسول الله ﷺ، وهم يهدمون سنّته في كل يوم، وفي كلّ ساعة. فعلى صاحب المقال أن يرجع إلى المعاجم والقواميس ليفهم معنى " التفنيد".

١- جاء في بغية الطلب في تاريخ حلب ما يلي:
قرأت بخط أبي غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين في تاريخه وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمود بن هبة الله بن النجار عنه قال حدثني الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمخزن وكان من الثقاة الأمناء أهل السنة قال رأيت في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطفّ ما تمّ، فقال لي علي عليه السلام: أما سمعت أبيات الجمال ابن الصيفي في هذا فقلت لا فقال اسمعها منه ثم استيقظت فباكرت إلى دار الحيص بيص فخرج إلي فذكرت له الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطّي إلى أحد وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه:

ملكنا فكان العفو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسير وطالما   غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
ولا غرو فيما بيننا من تفاوت   فكل إناء بالذي فيه ينضح

[بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة الوفاة: ٦٦٠، ج ٦ ص ٢٦٥٦ - : دار الفكر، تحقيق : د. سهيل زكار] .

الصّرخة على قدر الوجع. هكذا يقول المثل عندنا، فإذا رأيت الرّجل يصرخ صراخا شديدا فهذا يعني أنّ وجعه يتزايد، والمعترضون على التشيّع في أيّامنا من أصحاب الوجع المتزايد، وصراخهم في تزايد.

يقول كاتب المقال:"وهذه الفقاعة الجديدة(عبد الباقي)إحدى الفقاقيع التي سبق أن شاهدنا نماذج منها (فقعت) دون أن يأبه بها كائن.." وهذا عجيب، اللهمّ إلاّ أن يكون هو بالذات لا يعتبر نفسه كائنا، وإلاّ فكيف يفسّر كتابته المقال الخاصّ بالفقاقيع وهو لا يعبأ بها؟!

أليس في هذا تضييعٌ لوقته؟ هو ذا يملأ مساحة من موقعه الإلكتروني بموضوع الفقاقيع، ويدّعي في نفس الوقت أنّه لا يأبه بها!

ويقول: "وفقاعتنا الجديدة (عبد الباقي)يصلح أن يكون نموذجا عمليا لما يعتنقه المتشيّع من أهل السنّة من عقائد فاسدة وأكاذيب سخيفة وغلوّ ممقوت، ومن جهة ثانية يكشف حقيقة الفكر الشيعي المعاصر في قمّ وغيرها، وأنه فكر حاقد مبني على الكراهية، بعيد كل البعد عن دعاوي الوحدة والتقريب.. "

لكنه لا يأتي بمثال واحد يفنّد به العقائد الفاسدة والأكاذيب السخيفة.

يقول صاحب المقالة "وفقاعتنا الجديدة "، وهو يعلم أنه يتحدّث عن بشر حملته أمّه وهنا على وهن، وكلّف الله ملائكة بنفخ الرّوح فيه، وقدّر فهداه، وأذن له أن يدخل المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، ووقف حيث وقف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وذريّتهما فيما بعد!

لا يرى فيه أزيد من فقاعة! أمّا هو، فمن المكرّمين.

لا يمكن أن يصدر مثل هذا التّعبير إلا من قلب امتلأ كبْرا حتى فاض، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنّه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبْر.

إذا كان الإنسان سيسأل عن كلّ ما قال وكلّ ما كتب، فلا ريب أنّ صاحب المقال سيسأل، وعليه يومها أن يجيب!

يقول الله تعالى﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، ويقول صاحب المقال: "نحن الأتقياء ومخالفونا فقاقيع"!

هكذا يكون أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة. لكن لا عجب، فقد سبقه إلى هذا أناس في زمن النبيﷺ و قالوا " لو كان خيرا ما سبقونا إليه".

منذ أكثر من ربع قرن وأنا أبحث عن حاكم أو فقيه من مدرسة السّقيفة تعامل مع غيره بتواضع صادق، ولا زلت أبحث إلى اليوم. وهذا يفسّر لي سبب الكبر عند الأتباع، والشيء من مأتاه لا يستغرب، مع أنّني لا أريد أن أفتح بابا لنقد الصحابة والتّابعين الذين أرادوا أن يجعلوهم أفضل من الملائكة مع أنّهم يعلمون يقينا أنّهم عبدوا الأصنام عشرات السنين. هكذا ينظر المتكبّر إلى غيره؛ لا يرى في نجاسة الشرك شيئا، لكنه يرى في مخالفه فقاعة!

إذا كان صاحب المقال دون سنّ االخمسين فهذا يعني أنه لم يسبقني إلى تبنّي نهج الإخوان المسلمين والسلفيّة وجماعة الدعوة والتبليغ أيّام كانت عقولنا مخدّرة بشيء اسمه عدالة الصحابة. وإذا كان قد تجاوز الخمسين فإن مستواه الفكري دون المتوسط بكثير .

ماذا علّموهم في مدرسة الصحابة؟

علّموهم السبّ والشّتم ورمْي مخالفيهم بالعظائم.

علّموهم التّناقض، فهم ينزعجون من نقد علمي لصحابي متأخّر الإسلام، لكنّهم لا ينزعجون من لعن سيّد الصحابة على عشرات آلاف المنابر

طيلة تسعين سنة، واللاعنون صحابة وتابعون! وهم عن ذلك مسؤولون يوم تبلى السرائر.

هذه هي النّزاهة والأمانة، وهذا هو الإنصاف!

علّموهم احتقار ذريّة رسول الله ﷺ وهم يرومون احتقار رسول الله ﷺ ولكن لا يستطيعون التّصريح بذلك مخافة التشنيع!

علّموهم التّهوين من شأن فاطمة الزهراء عليها السلام واعتبارها امرأة كسائر النّساء كما يقول شيخهم ابن تيمية، مع أنّ النبي ﷺ صرّح في أكثر من موطن أنّها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة! أي سيدة نساء العالمين. وإذا كانت مريم بنت عمران عليها السلام مطهرة مصطفاة وهي في الجنة، وفاطمة عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة، ففاطمة عليها السلام تملك السيادة على مريم عليها السلام فمن بعدها.

علّموهم الاعتراض على سلوك سبط رسول الله ﷺ أبي الأحرار حين فضح الكفر المتلبّس بالإسلام!

علّموهم الكيل بمكيالين مع أنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد في كل الثقافات والشرائع والملل!

علموهم أن طاعة امرأة تركب جملا أولى من طاعة الله تعالى ورسوله، وكيف لا وقد فروا وتركوا رسول الله بين الأعداء، لكنهم دافعوا عن الجمل وهم يقولون " بعر جمل أمّنا، ريحه ريح المسك"!

علموهم قطع الرؤوس والطواف بها في البلدان!

علموهم كيف يفتخرون بالتفاهات!

علّموهم التحريف والتزييف والفرار من الحق إلى الباطل تحت مسمّيات تأبى النّفوس الكريمة أن تتلبّس بها لحظة واحدة، حتى فضّلوا التختّم باليسار مخالفة للرافضة بعد أن صرّحوا أن رسول الله ﷺ كان يتختّم بيمينه.

وأما بخصوص مداخلة قناة المستقلة أيام استعراض سيرة الخليفة عمر بن الخطاب فالأمر لا يستحقّ كل ذلك التّهويل، وقد تابع الناس ما جرى، وكلّ يحكم بما يسمح له به ضميره.

كلّ ما في القضية أنّني ذكرت للهاشميّ الحامدي صاحب البرنامج وضيفيه العريفي والحنيني أن رسول الله ﷺ قال للمسلمين " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" . وقد ذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ يخطب فاطمة عليها السلام، فردّه! ثم ذهب عمر أيضا بنفس القصد فرده رسول الله ﷺ. أما عمر فقد ردّه المسلمون مرّة بعد أخرى فلا عجب أن يرده رسول الله ﷺ أيضا، لكن أن يردّ أبا بكر بعد أن قال " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فهذه مشكلة. أليس أبو بكر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟ فكيف يرده؟! يفترض أن تنزل﴿ عبس وولى﴾ أخرى تعاتب رسول الله ﷺ وتبين منزلة أبي بكر، لكن لم يحدث شيء.

هذه القضية حيّرت كثيرين عبر التاريخ، كما حيّرت العريفي والحنيني وإن كانا قد حاولا إخفاء ذلك.

ماذا قال المحدّثون والفقهاء بخصوص هذه القضية؟

قال ابن حجر: " وروى الطبراني من طريق موسى بن قيس عنه قال خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال النبي ﷺ هل لك يا علي؟ قلت واتّفقوا

على أن حجر بن العنبس لم ير النبي ﷺفكأنه سمع هذا من بعض الصحابة "[1]. أقول: وهذا يعني أن رسول اللهﷺ لم يلتفت إلى طلبهما واقترح على علي الزواج من فاطمة(ع)!

وأما ابن حبان فروى في صحيحه عن الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه[2]. وهذا مقام تعجب يجل عنه رسول اللهﷺ، إذ كيف يقول عنها صغيرة ثمّ يزوجها مباشرة بعد ذلك، فإن الفاء في العبارة لا تدلّ على التراخي والمدة الطويلة. كيف كبرت فاطمة (ع) فجأة؟!

قال الألباني في التعليقات الرضية:

فائدة: وينبغي أن لا يزوج صغيرته – ولو بالغة – من رجل يكبرها في السنّ كثيرا بل ينبغي أن يلاحظ تقاربهما في السنّ لما روى النسائي بسند صحيح عن بريدة بن الحصيب قال خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة فقال رسول اللهﷺإنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه. قال السندي فيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها أقرب

١– الإصابة ص٢ص١٦٨– دار الجيل بيروت ١٤١٢ هـ.

٢– صحيح ابن حبان ج١٥/ص٣٩٩ الحديث رقم٦٩٤٨ : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.و سنن النسائي الكبرى ج٣/ص٢٦٥ :دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .و سنن النسائي الكبرى ج٥/ص١٤٣ :دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .و سنن النسائي المجتبى– ج٦/ص٦٢ : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦ هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، و خصائص علي ج١/ص١٣٦ .

إلى الألفة؛ نعم، قد يترك ذلك لما هو أعلى منه كما في تزويج عائشة (رضي الله عنها)[1] .

ماذا يقصد الألباني بقوله هذا؟ وإذا كان أبو بكر بن أبي قحافة أفضل الخلق بعد رسول اللهﷺفي هذه الأمة، ألا يكون مصداقا لقوله:" قد يترك ذلك لما هو أعلى منه " ؟ فلماذا لم يترك رسول اللهﷺذلك لما هو أعلى منه؟ لماذا خالف الأولى، وخلاف الأولى لدى العقلاء معيب.

وأما صاحب مرقاة المفاتيح فقد كان همّه ألا تتزعزع عقيدة القارئ والباحث في منزلة أبي بكر؛ قال: عن بريدة قال خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول اللهﷺإنها صغيرة وفي رواية فسكت ولعلها محمولة على مرة أخرى، ثم خطبها علي فزوّجها منه يوهم أنّه مما يدلّ على أفضليّة علي عليهما وليس كذلك، أو يحتمل أنها كانت صغيرة عند خطبتهما ثمّ بعد مدة حين كبرت[!] ودخلت في خمسة عشر خطبها علي، أو المراد أنها صغيرة بالنسبة إليهما لكبر سنهما وزوجها من علي لمناسبة سنه لها،أو لوحي نزل بتزويجها له[2]، ويؤيده ما في الرياض أنه قال لأبي بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها لم ينزل القضاء بعد فارتفع الإشكال واندفع الاستدلال. رواه النسائي. وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن أنس بن مالك قال خطب أبو بكر إلى النبيﷺ ابنته فاطمة فقال ﷺيا أبا بكر لم ينزل القضاء ثم خطبها عمر مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لأبي بكر فقيل لعلي لو خطبت إلى النبي

١- التعليقات الرضية على الروضة الندية ج٢/ص١٥١: ناصر الدين الألباني: دار ابن عفان – القاهرة – ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي حسين الحلبي.

٢- لاحظ ـ حفظك الله تعالى ـ كيف أخر الحديث عن الوحي مع وجود ما يؤيده!

ﷺفاطمة عسى أن يزوجكها[!] قال وكيف وخطبها أشراف قريش فلم يزوجها فخطبها فقالﷺ قد أمرني ربي بذلك.. [(١)].

إذاً فقد أمر الله تعالى نبيهﷺ ، وارتفع الإشكال واندفع الاستدلال على حدّ قوله فلم يبق لقائل أن يقول! لكن الذي حدث هو خلاف ذلك، فقد قالوا في ذلك وانتقدوا رسول اللهﷺ في فعله، مع أنه وليّها، وللأب أن يزوّج ابنته ممن شاء متى شاء! في نظري أن من يتدبر هذه القصة بعين بصيرة منزّها نفسه عن التعصب مراعيا حرمةنبيهﷺ يطلع على أشياء وأشياء، ويكتشف مستوى التعامل مع النبيﷺ من طرف معاصريه.

وأما بخصوص المستبصرين الذين يسخر منهم صاحب المقال فهذه قائمة لبعض من عُرف منهم:

وأما بخصوص المستبصرين الذين يسخر منهم صاحب المقال فهذه قائمة لبعض من عُرف منهم:

البلد	المذهب	الاسم واللقب	
غينيا	مالكي	ألفا عمر باه	١
غينيا	مالكي	إبراهيم احمد باه	٢
ملاوي	شافعي	إبراهيم تمبو	٣
كونغو كينشاسا	بروتستاني	إبراهيم زنكو	٤

١ – مرقاة المفاتيح، علي القاري، ج١١/ص٢٥٩ الحديث رقم ٦١٠٤، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ – الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني .

ساحل العاج	مالكي	إبراهيم كوليبالي	٥
مالي	مالكي	إبراهيم مختار ساماكي	٦
كونغو كينشاسا	مسيحي	إبراهيم مونتو بيتو	٧
ساحل العاج	مالكي	إبراهيم وترى	٨
بنغلاديش	وهابي	أبو القاسم محمد انور كبير	٩
غينيا	مالكي	أبو بكر صديق سيلا	١٠
بنغلاديش	حنفي	أبو جعفر مندل	١١
تونس	مالكي	أبو حسن التونسي	١٢
العراق	حنفي	الشيخ ابو حيدر الكبيسي	١٣
الاردن	شافعي	د. ابو علي الحياري	١٤
روسيا	مسيحي	ابوان (أبا ذر)	١٥
جزر القمر	شافعي	أتوماني محمد	١٦
غانا	وهابي	أحمد ابراهيم عبد المؤمن	١٧
بنين	مالكي	أحمد ابو بكر	١٨
ساحل العاج	مالكي	أحمد التيجاني كان	١٩

تونس	مالكي	أحمد الحزامي صالح	٢٠
اليمن	زيدي	**السيد احمد بن علي محمود شرف الدين**	٢١
اليمن	زيدي	أحمد حسن العنتري	٢٢
الهند	حنفي	مولانا احمد حسين خان	٢٣
الاردن	شافعي	د. أحمد حسين يعقوب	٢٤
مصر	شافعي	د. أحمد راسم النفيس	٢٥
مالي	مالكي	أحمد عاقب كوليبالي	٢٦
كندا	مسيحي	أحمد كواسي حنيف	٢٧
اندونيسيا	شافعي	أحمد مرزوقي امين	٢٨
المغرب	مالكي	السيد ادريس الحسيني	٢٩
نيجيريا	مالكي	إدريس حام التيجاني	٣٠
امريكا	مسيحي	أدنا (فاطمة)	٣١
ايطاليا	كاثوليكي	د. إدواردو آنيلي	٣٢
اليونان	كاثوليكي	أريستيديس كارلاس (محمد علي)	٣٣
تنزانيا	وهابي	أسامة حسين سالم	٣٤

امريكا	يهودي	استيفز اسكلر	٣٥
تونس	مالكي	الأسعد بن علي	٣٦
فلسطين	حنفي	د. أسعد وحيد القاسم	٣٧
اليمن	زيدي	إسماعيل الحسني الشامي	٣٨
موزمبيق	شافعي	إسماعيل بن صالح	٣٩
العراق	شافعي	أكرم يونس البرزنجي	٤٠
باكستان	بريلوي	أمير حسين ساقي	٤١
روسيا	مسيحي	أنتون وسنين	٤٢
تايلاند	حنفي	أنصار لمبان	٤٣
ألمانيا	بروتستاني	إينغريد (سعيدة)	٤٤
أمريكا	مسيحي	باربارا دولاجي (مريم)	٤٥
ساحل العاج	مالكي	بامبا عثمان	٤٦
ألمانيا	مسيحي	باولا كورنيليا (مريم)	٤٧
أمريكا	مسيحي	باولاتوتل (زهراء)	٤٨
ألمانيا	مسيحي	بربارا سيبلر (فاطمة)	٤٩
ألمانيا	مسيحي	برجيت جونتهر (جيتي)	٥٠

اسبانيا	مسيحي	برسن بوايو	٥١
بريطانيا	كاثوليكي	برناديت كاهل	٥٢
الهند	حنفي	برهان نظام شاه	٥٣
ألمانيا	مسيحي	بريجيت (جميلة)	٥٤
موزمبيق	شافعي	بشير سليم	٥٥
أفغانستان	اسماعيلي	بي بي آرزوجل	٥٦
أوكرانيا	مسيحي	تاتانيا فاليريفنا	٥٧
ألمانيا	مسيحي	تانيا بولينغ	٥٨
موزمبيق	شافعي	ترسيسيو بون علي (حسين)	٥٩
اليابان	بوذي	توهي هيا (امير رضا)	٦٠
النيجر	مالكي	التيجاني مالم لغوي	٦١
مالي	مالكي	تيرنو بو بكر بارو	٦٢
العراق	حنفي	جبار لطيف العزاوي	٦٣
أمريكا	مسيحي	جرترو دربيكا	٦٤
غينيا	مالكي	جرنو ابراهيم باه	٦٥
الجزائر	مالكي	جعفر الحسيني	٦٦

ألمانيا	مسيحي	جليكه تركائى (زهراء)	٦٧
ألمانيا	مسيحي	جوا اشميث	٦٨
اسبانيا	كاثوليكي	جون تشارلز (يحيى بونر)	٦٩
أمريكا	مسيحي	جيري لي	٧٠
بيرو	مسيحي	د. جيساس (علي)	٧١
أمريكا	مسيحي	جينا ايجز	٧٢
نيجيريا	مالكي	حافظ محمد سعيد	٧٣
نيجيريا	مالكي	حبيب الله علي	٧٤
تونس	مالكي	حسن بن شقرا	٧٥
اليمن	زيدي	السيد حسن علي العماد	٧٦
بوركينا فاسو	مالكي	حسن كوني لاسينا	٧٧
العراق	حنفي	حسن هادي عليوي الجبوري	٧٨
أوغندا	شافعي	حسين سليمان كاكايره	٧٩
بوركينا فاسو	سني	حسين سنكري	٨٠
بوركينا فاسو	مالكي	حسين سورابي	٨١
العراق	حنفي	حسين شريف رستم اليوزبكي	٨٢

رواندا	مسيحي	حسين شهيد هاتيمانا	٨٣
اندونيسيا	شافعي	حسين محمد الكاف	٨٤
اليمن	زيدي	حسينة حسن الدريب	٨٥
تونس	سني	حفيظ بالخيرية	٨٦
رواندا	شافعي	حمادي ناجي	٨٧
الأردن	شافعي	خالد محمود خليفات	٨٨
مصر	سني	الشريف خالد محيي الدين الحليبي الحسيني	٨٩
لبنان	شافعي	خضر خضر العموري	٩٠
لبنان	شافعي	خليل ابراهيم هاشم	٩١
ملاوي	شافعي	خليل عثمان	٩٢
العراق	مسيحي	خوشابا شمعون حنا الشيخ (علي الشيخ)	٩٣
ملاوي	شافعي	داود مصطفى	٩٤
كونغو كينشاسا	مسيحي	داود ومبرا	٩٥

٩٦	المستشار الدمرداش بن زكي العقالي	حنفي	مصر
٩٧	دورا جهويج	مسيحي	ألمانيا
٩٨	دورتا (هدى)	مسيحي	ألمانيا
٩٩	ديبوار سميث	مسيحي	أمريكا
١٠٠	ديواني سنكوه (محمد حسن قتيل)	سيخي	الهند
١٠١	الشيخ ذاكر حسين طاهري	حنفي	باكستان
١٠٢	راشد صادق سنزي	شافعي	تنزانيا
١٠٣	رامي عبد الغني اليوزبكي	حنفي	العراق
١٠٤	رمضاني عمار	وهابي	رواندا
١٠٥	رناته ترنس (مريم)	مسيحي	ألمانيا
١٠٦	روزماري ماك (مريم شريفي)	مسيحي	ألمانيا
١٠٧	زرفاوي عبد الدائم	مالكي	الجزائر
١٠٨	زكية حبيبي (طاووس)	اسماعيلي	أفغانستان
١٠٩	سالم بن ديرا	شافعي	تنزانيا
١١٠	سالم سعيد الراجحي	اباضي	تنزانيا
١١١	سالي ساليو	علوي	بلغاريا

١١٢	سامعي الأزهر	مالكي	الجزائر
١١٣	ساندرا جونسون (سارا)	مسيحي	امريكا
١١٤	سجاد حسين انقلابي	بريلوي	باكستان
١١٥	سعيد السامرائي	حنفي	العراق
١١٦	سعيد أيوب	سني	مصر
١١٧	سعيد زكريا علي	مالكي	غانا
١١٨	د. سعيد يعقوب	شافعي	فلسطين
١١٩	الشيخ سليم البشري	مالكي	مصر
١٢٠	سناء خليفات	شافعي	الأردن
١٢١	سوسن خليفات	شافعي	الأردن
١٢٢	السيدي محمد سانكارا	مالكي	بوركينا فاسو
١٢٣	الحافظ سيف الله حفيظ الله	ديوبندي	الهند
١٢٤	سيلفيا روكيش (مريم)	مسيحي	ألمانيا
١٢٥	شادية علي خليفة	حنفي	العراق
١٢٦	شارلين كمارك (شيرين)	مسيحي	امريكا
١٢٧	شريف احمد	شافعي	بوروندي

الجزائر	مالكي	شكيم علي الفردي	١٢٨
السودان	مالكي	شوقي ابراهيم عثمان	١٢٩
العراق	حنفي	صائب عبد الحميد	١٣٠
كشمير	حنفي	السيد صادق حسين النقوي	١٣١
مصر	شافعي	د. صالح الورداني	١٣٢
تونس	مالكي	صالح بلقاسم الطيب	١٣٣
العراق	شافعي	صباح علي البياتي	١٣٤
مصر	سني	صبري احمد علي موسى	١٣٥
السودان	مالكي	طارق زين العابدين	١٣٦
اندونيسيا	شافعي	طه مهدي بن يحيى	١٣٧
لبنان	مسيحي	طوني ابو غانم (حيدر)	١٣٨
الأردن	شافعي	د. عادل عفيف شحادة	١٣٩
أفغانستان	اسماعيلي	عالية مهدوي	١٤٠
غانا	مالكي	عباس عثمان شعبان	١٤١
غانا	مالكي	عبد الجليل عيسى ناوي	١٤٣
أوغندا	شافعي	عبد الحكيم ساجد	١٤٤

ساحل العاج	مالكي	عبد الرحمن وترى	١٤٥
المغرب	مالكي	عبد العاطي	١٤٦
كونغو كينشاسا	مسيحي	عبد العزيز أتيك	١٤٧
النيجر	مالكي	عبد العزيز يوسف ميغا	١٤٨
السودان	مالكي	عبد القادر الصقري	١٤٩
اليمن	وهابي	السيد عبد الله احمد العسيري	١٥٠
غينيا	مالكي	عبد الله جوكو باه	١٥١
ساحل العاج	وهابي	عبد الله دوسو	١٥٢
اليمن	زيدي	عبد الله علي مطهر الديلمي	١٥٣
اوغندا	شافعي	عبد الله موكر	١٥٤
بنين	وهابي	عبد المؤمن عمر	١٥٥
أفغانستان	اسماعيلي	عبد المعبود عطائي	١٥٦
السودان	مالكي	عبد المنعم الحسن	١٥٧
اليمن	وهابي	د. السيد عصام علي يحيى العماد	١٥٨
اندونيسيا	شافعي	علي ابو بكر الحبشي	١٥٩

بوركينا فاسو	وهابي	علي تراروي	١٦٠
اوغندا	شافعي	علي حسن تبنكني	١٦١
الأردن	شافعي	علي طه	١٦٢
الأردن	شافعي	علي عبابنة	١٦٣
الجزائر	سني	علي مباركية	١٦٤
باكستان	حنفي	الشيخ علي محمد فتح الدين	١٦٥
تنزانيا	شافعي	عمار جمعة	١٦٦
العراق	يزيدي	عمر راشد	١٦٧
بوركينا فاسو	مالكي	عيسى ترنغدي	١٦٨
ألمانيا	مسيحي	فاطمة هيرين	١٦٩
الجزائر	مالكي	فريد الهيول	١٧٠
اوغندا	شافعي	قاسم عبد السلام كتمبو	١٧١
تركيا	سني	قدري جليك	١٧٢
ألمانيا	مسيحي	كاترينا فورستنبرغ	١٧٣
اليابان	بوذي	كاتسومي سوددو (حسن)	١٧٤
امريكا	مسيحي	كارول (مريم)	١٧٥

العراق	حنفي	كامران صابر هوارمي	١٧٦
العراق	شافعي	كامل حمة عزيز	١٧٧
ألمانيا	مسيحي	كرستينا روبرغ (زهراء)	١٧٨
امريكا	مسيحي	كريستين (عطية)	١٧٩
ألمانيا	مسيحي	كريستينا (فاطمة)	١٨٠
روسيا	مسيحي	كريشا باباليان	١٨١
اليونان	مسيحي	الكساندر تام (علي طاهر)	١٨٢
ألمانيا	مسيحي	كلاوس بيتر (علي رضا)	١٨٣
ألمانيا	مسيحي	الكه اشميت (فاطمة)	١٨٤
ساحل العاج	مالكي	كوليبالي سياكا	١٨٥
امريكا	مسيحي	كي سيلان	١٨٦
ساحل العاج	سني	لاسين تودي	١٨٧
امريكا	مسيحي	لتيسيا (ليلى)	١٨٨
امريكا	مسيحي	ليسا باتون	١٨٩
امريكا	مسيحي	لينا كابل	١٩٠
العراق	حنفي	ماجد محمد احمد رشيد	١٩١

امريكا	كاثوليكي	ماري ستاينهوف	١٩٢
امريكا	مسيحي	ماري لورين	١٩٣
امريكا	مسيحي	ماري لوكاستر	١٩٤
امريكا	مسيحي	ماريا نالوا	١٩٥
ألمانيا	مسيحي	ماريون فالنيس (طاهرة)	١٩٦
ألمانيا	مسيحي	ماريون فرتل	١٩٧
العراق	حنفي	مازن محمد احمد رشيد	١٩٨
أفغانستان	اسماعيلي	ماهرة عليزاده	١٩٩
تونس	مالكي	الشيخ مبارك بعداش	٢٠٠
الأرجنتين	سني	محسن علي	٢٠١
الجزائر	مالكي	محمد ابو النجا	٢٠٢
إثيوبيا	شافعي	محمد احمد ابراهيم	٢٠٣
السودان	مالكي	السيد محمد احمد النور الزاكي	٢٠٤
ساحل العاج	مالكي	محمد إسحاق كوني	٢٠٥
الهند	ديوبندي	محمد اسماعيل ديوبندي	٢٠٦
تونس	مالكي	د. محمد التيجاني السماوي	٢٠٧

تونس	مالكي	محمد الرصافي المقداد	٢٠٨
السودان	مالكي	الشيخ محمد الريح حمد النيل	٢٠٩
تونس	مالكي	محمد الصغير السندي	٢١٠
المغرب	مالكي	محمد الكثيري	٢١١
اندونيسيا	شافعي	محمد باقر الحسني	٢١٢
اليمن	زيدي	السيد محمد بن حمود العمدي	٢١٣
غينيا	مالكي	محمد بيلو باري	٢١٤
مصر	سني	د. محمد بيومي مهران	٢١٥
ساحل العاج	مالكي	محمد جارا	٢١٦
غينيا	وهابي	محمد حبيب سو	٢١٧
اوغندا	شافعي	محمد داود مكاسا	٢١٨
نيجيريا	مالكي	محمد زبير	٢١٩
بنغلاديش	حنفي	محمد شفيق الإسلام	٢٢٠
بنغلاديش	شافعي	محمد عبد الجبار	٢٢١
مصر	مالكي	محمد عبد الحفيظ	٢٢٢
بنغلاديش	شافعي	محمد عبد القيوم	٢٢٣

بنين	مالكي	محمد عبد الله	٢٢٤
مصر	سني	محمد عصمت بكر	٢٢٥
السودان	مالكي	محمد علي المتوكل	٢٢٦
غينيا	مالكي	محمد علي جلو	٢٢٧
السنغال	مالكي	محمد علي حيدرة	٢٢٨
غانا	وثني	محمد كراووما لاغيسا	٢٢٩
تركيا	شافعي	محمد كوزل الحسن الآمدي	٢٣٠
امريكا	كاثوليكي	د.محمد لكنهاوسن (Gary Legenhausen)	٢٣١
اوغندا	شافعي	محمد مرشد مسنا	٢٣٢
بنغلاديش	حنفي	محمد معين الدين	٢٣٣
السنغال	مالكي	مختار كونتا	٢٣٤
تركيا	شافعي	مراد بزكين	٢٣٥
اوغندا	شافعي	مرشد يوسف مسنا	٢٣٦
الاردن	شافعي	مروان خليفات	٢٣٧
السودان	شافعي	معتصم سيد احمد	٢٣٨

مصر	شافعي	معروف عبد المجيد	٢٣٩
الهند	حنفي	مقبول أحمد بن غضنفر علي	٢٤٠
تونس	مالكي	منصف الحامدي	٢٤١
البوسنة والهرسك	حنفي	موريس جل	٢٤٢
إسبانيا	مسيحي	د. مونتسدات روفيرا	٢٤٣
أستراليا	ماروني	ناتالية	٢٤٤
أمريكا	مسيحي	نان لاوسون	٢٤٥
امريكا	مسيحي	نبيورث (زهراء)	٢٤٦
العراق	شافعي	نجم الدين محمد ثابت هورامي	٢٤٧
موزمبيق	وهابي	نرسيسو اتونيو	٢٤٨
إثيوبيا	شافعي	نصرة شفارة	٢٤٩
الامارات	سني	نوال سالم	٢٥٠
العراق	حنفي	نوزاد طاهر شريف	٢٥١
استراليا	كاثوليكي	نيكول اينزورث (زينب)	٢٥٢
تنزانيا	شافعي	هاشم رمضان	٢٥٣

تونس	مالكي	الهاشمي بن علي رمضان	٢٥٤
امريكا	مسيحي	هالي ديجن (زهراء)	٢٥٥
اليونان	مسيحي	هري اسبيلي (محمد)	٢٥٦
امريكا	مسيحي	هلن كاثلين (زهراء)	٢٥٧
فرنسا	مسيحي	وارتون كرباسي (حسين اثنا عشري)	٢٥٨
الجزائر	مالكي	وداد باي العقون	٢٥٩
ألمانيا	مسيحي	ويرنر الفريد	٢٦٠
ساحل العاج	مالكي	الياس حسن محمد تيكان	٢٦١
اليمن	زيدي	السيد يحيى طالب مشاري	٢٦٢
امريكا	مسيحي	يوجينا	٢٦٣
اوغندا	شافعي	يوسف زبير سر نجوجي	٢٦٤
كونغو كينشاسا	مسيحي	يوسف سيمبا	٢٦٥
نيجيريا	مالكي	يونس محمد الثاني	٢٦٦

كل هؤلاء في نظر صاحب المقال فقاعات!

أما هو فبشر سوي على بينة من ربه وبصيرة من أمره، وإن كان يقتدي بمن عبدوا الصنم عشرات السنين، المهمّ أن يكون في خط من تربّع على عرش الحكم، ولو كان على شاكلة يزيد ومعاوية ومروان والحجّاج وتلك الأشباه والنظائر.

وعلى إيقاع صاحب المقال عزف أحد شيوخ السلفية، وكانت له مداخلة على القناة عرض فيها شريطا صوتيا مبتورا، وزعم أنني من عبّاد القبور، وأنني أقرّ ذلك وأعترف به وأدعو إليه!! وكتب بعد ذلك على موقع شبكة الدفاع عن السنة ما يلي:

شبكة الدفاع عن السنة - المنتديات الخاصة((منتدى مقالات الشيخ عبد الرحمن دمشقية))عبد الباقي أم عبد الفاني/دمشقية. بتاريخ ٢٦-٠٣-٢٠٠٥:

تكلم عبد الباقي الجزائري أسأل الله له الهداية في قناة المستقلة وأورد شبهة حول آية قرآنية تم الرد عليه فيها.ولكن:أتساءل: كيف جاز عندك يا أستاذ عبد الباقي أن تصرّح بأنّك من عباد القبور وتكررها مرات عديدة بأنه لا مشكلة عندك من عبادة القبور.هكذا مطلقا من غير قرينة أخرى يتبين من خلالها أنه قصد معنى آخر. أيجوز مثل هذه العبارة يا أستاذ عبد الباقي هداك الله؟

هل تجوز عبادة القبور في مذهب الشيعة وعلى مثل هذا التصريح الغير مسئول والذي تم إعلانه على مسمع الملايين من الناس؟؟؟؟

أسأل الله أن يهدي عبد الباقي وأن لا يميته إلا على الدين الحقّ.

والسلام عليكم.

هذا ما كتبه عبد الرحمن الدمشقية، بعد أن بتر من الشريط ما يلغي تأويله الباطل؛ ويلاحظ أنه سأل الهداية لي فقط، أما هو فهدايته مفروغ منها، مع أنّ القرآن الكريم يقول: وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، ولم يقل " وإنا لعلى هدى وإنّكم لفي ضلال مبين "!

إن الذين عجزوا أن يقتدوا بالإمام الحسين عليه السلام ويهتفوا بشعار"هيهات منا الذلة " لم يجدوا أمامهم إلا الخطة الثانية على شاكلة عبد الله بن عمر الذي أبى أن يبايع الإمام عليا عليه السلام فابتلي بمبايعة الحجاج بطريقة مذلّة مخزية،فقد مدّ الحجاج رجله إليه وقال له: إن يدي في شغل، هذه رجلي فبايع! والشغل الذي كانت يد الحجاج فيه لم يكن سوى الأكل، وكان أكولا نهماً.

هؤلاء الذين لا يؤمنون بحرية التعبّد واختيار الهدف والموقف في الحياة لم يفهموا الإسلام ولن يفهموه حتى يغيروا ما بأنفسهم.

مفهوم التشيع عند المخالفين

يفترض عند العقلاء أننا إذا أردنا أن نتعرف على شخص فإننا نتوجه إليه و نطلب منه أن يعرفنا بنفسه، ونقبل كلامه ما لم يتبين لنا خلافه، وهذا جار أيضا في التعرّف على القبائل و الأمم والثقافات. غير أن هذا المسلك العقلائي يغيب حينما يتعلّق الأمر بالتعرّف على شيعة محمد و آل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فإنّنا نجد أعداءهم وخصومهم هم الذين يتولّون تعريفهم إلى الناس، ويتوارث الأجيال ذلك عنادا ومكابرة وهم مع ذلك يدعون أنّهم يتوخّون النّزاهة و الأمانة العلميّة والإنصاف في الحكم. ولقد كان من نتائج ذلك أن وقع أولئك المعرّفون في أخطاء فاحشة نقض بعضهم بها بعضاً ووضعوا أنفسهم في وضعية محرجة أمام الباحثين من المسلمين وغير المسلمين. ولو أنهم توخّوا الصّدق والأمانة من البداية وتوجّهوا إلى أهل الذّكر وحاولوا أن يأتوا البيوت من أبوابها لكان خيراً لهم و أحسن تأويلا.

التشيع:

في تاج العروس: شيعة الرجل أتباعه و أنصاره وقد غلب هذا الاسم على كلّ من يتولى عليّاً وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين حتى صار اسما خاصا لهم و أصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.

شيعة الرجل وأشْياعه – أصْحابه وأتْباعه وقد شيّعته على ذلك الأمْر وشايعْته – تابعْته وتشايعْت في هواه – استهلكْت والشّيعة – قوم يتشيّعون – أي يروْن هوى قوم ويتابعونه[1].

---

١ – المخصص، علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي الوفاة: ٤٥٨هـ ج ١ ص ٣٢٠ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل إبراهم جفال.

وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى عليا وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسما خاصا فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم . وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم . وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة.

و شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، وتشيع الرجل ادعى دعوى الشيعة[1].

الشيعة : شيعة الرجل، بالكسر : أتباعه وأنصاره والفرقة على حده وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصة[2].

كان الناس في زمن علي (ع) ثلاثة أصناف، وهم:

متابع شيعي..و مخالف..و محايد (لا متابع ولا مخالف).

وكان جماعة من الصحابة في زمن النبيﷺيسمون شيعة لمتابعتهم عليا (ع).وفي الدر المنثور ج٦ص٣٧٩ لما نزل قوله تعالى (هم خير البرية) قال النبيﷺ لعلي (ع) هم أنت و شيعتك.

وهؤلاء الذين كانوا يتابعون الإمام علياعليه السلام كانوا يفعلون ذلك بأمر من رسول اللهﷺ ، وكان يفضلونه على جميع من سواه من الصحابة، وهم:سلمان و أبو ذر و المقداد بن الأسود وخباب بن الأرت، و جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري .

---

١ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي الوفاة: ٧٢١ هـ ج ١ص١٤٨: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،١٤١٥هـ - ١٩٩٥، الطبعة : طبعة جديدة، تحقيق : محمود خاطر.

٢ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب الحسيني الكفومي، الوفاة: ١٠٩٤ هـ ج ١ ص٥٤٠ : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.

قال الذهبي: وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام : أهل سنة، وهم أولو العلم، وهم محبون للصحابة كافّون عن الخوض فيما شجر بينهم، كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأمم، ثم شيعة يتوالون وينالون ممن حاربوا عليّا ويقولون : إنهم مسلمون بغاة ظلمة، ثم نواصب : وهم الذين حاربوا عليا يوم صفّين، ويقرون بإسلام عليّ وسابقيه، ويقولون : خذل الخليفة عثمان . فما علمت في ذلك الزمان شيعيّا كفّر معاوية وحزبه، ولا ناصبيّا كفّر عليّا وحزبه، بل دخلوا في سبّ وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفّرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً، ويتعدّون إلى الصّدّيق، قاتلهم الله . وأمّا نواصب وقتنا فقليلٌ، وما علمت فيهم من يكفّر عليّا ولا صحابيّاً[1].

وهذا الكلام من طرف الذهبي لا يخلو من مغالطة ودجل،فإنه يعلم يقينا أن الأمّة كانت تلعن الإمام علياعليه السلام في كل مسجد ومحفل، ومنهم من كان يذكر الكفرة الصلعاء.

التشيع لا يضرّ بوثاقة الراوي عند ابن حجر:

قال ابن حجر العسقلاني :أما التشيع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ و الأداء لا يضرّه.

خالد بن مخلّد القطواني من كبار شيوخ البخاري.قال العجلي ثقة وفيه تشيّع،وقال ابن سعد كان متشيّعا مفرطا، وقال صالح جزره ثقة إلا أنّه يتشيع، وقال أبو حاتم يكتب حديثه و لا يحتج به. [ما الفائدة من كتابته إذاً؟]

---

١ – سير أعلام النبلاء ، الذهبي، ج ٥، ص ٣٧٤ .

قال يحيى بن معين : وخرج حفص بن غياث إلى عبادان وهو موضع رباط، فاجتمع إليه البصريون، فقالوا : لا تحدثنا عن ثلاثة ؛ أشعث بن عبد الملك، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن محمد . فقال : أما أشعث فهو لكم، وأما عمرو فأنتم أعلم به، وأما جعفر فلو كنتم بالكوفة لأخذتكم النعال المطرّقة[1].

وقال الذهبي: من زعم أن الشافعي يتشيّع فهو مفتر،لا يدري ما يقول... لو كان شيعيّا- وحاشاه من ذلك- لما قال: الخلفاء الراشدون خمسة بدأ بالصدّيق و ختم بعمر بن عبد العزيز[2].

وقال:(وكيع بن الجراح فيه تشيع يسير)، لأنه ذكر عليا عليه السلام في المرتبة بعد عمر وقبل عثمان[3].

وقال: (كان في أبي نعيم) تشيّع خفيف) لقوله حبّ عليّ عبادة و خير العبادة ما كتم[4].

وقال: في ترجمةأبي غسان النّهدي :قلت: حديثه في كل الأصول وفيه أدنى تشيّع. اخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف المقرئ اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا يحيى بن محمود اخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن عقيل اخبرنا محمد بن عبد الله اخبرنا أبو القاسم الطبراني اخبرنا محمد بن أحمد بن النضر الازدي حدثنا مالك بن اسماعيل النهدي

---

١ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٦، ص ٢٥٧، مؤسسة الرسالة بيروت١٤١٢ .

٢ - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ،ج١٠ ص٥٨.

٣ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٩ص١٥٤.

٤ -سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج١٠ص١٥١.

حدثنا اسباط بن نصر عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد ابن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم[١].

وبما أنّ عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وجماعة قد حاربوا الإمام عليا وأبناءه فالحديث يشملهم، وبذلك يكون هؤلاء حربا للنبيﷺ. لكن الأمّة ترفض الإقرار بذلك مع وضوحه!

﴿وحجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾[٢]. قال البخاري في أبي غسّان النّهديّ : هو على مذهب أهل بلده[٣]، ولو رأيتم عبيد الله بن موسى و أبا نعيم وجماعةً من مشايخنا الكوفيّين لما سألتمونا عن أبي غسّان.قال الذهبي قلت وقد كان أبو نعيم وعبيد الله معظّمين لأبي بكر وعمر وإنّما كانا ينالان من معاوية...رضي الله عن جميع الصحابة.

أقول: في قول الذهبي "رضي الله عن جميع الصحابة" تكذيب صريح للقرآن العظيم، فإنالله تعالى يقول:﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين﴾[٤] وهذا في معرض الحديث عن أناس يعيشون مع رسول اللهﷺفي المدينة، ينطبق عليهم عنوان الصحابة. وقد وصف

---

١ – سير أعلام النبلاء ،: الذهبي الوفاة: ٧٤٨ ، ج ١٠ ص ٤٣٢: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

٢ – النمل : ١٤ .

٣ – يعني بمذهب أهل بلده التشيع.

٤ – التوبة : ٩٦

القرآن الكريم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ب"الفاسق"، وشرب الوليد الخمر وهو وال على الكوفة في خلافة عثمان، وصلى بالناس الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم التفت إليهم وقال لهم أأزيدكم؟! لكن ابن حجر أورد ما يلي:

٤٤٤ - حدثنا يحيى عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال (صلى الوليد بن عقبة (رضي الله عنه) بالناس فأعاد عبد الله بالناس وأعاد الصلاة)[1]. هكذا بكل وقاحة يحدث التلاعب بالعبارة وتغييب سبب الإعادة! ومن حقّ كل مطّلع أن يتساءل عن سبب الإعادة. أصل القصة" صلى الوليد بن عقبة رضي الله عنه بالناس سكران "، لكن ابن حجر لا يريد أن يتفطن الناس إلى أن من الصحابة من يدخل المسجد سكران ويصلي بالناس في المحراب سكران!

هذا مبلغ ابن حجر من الورع والتقوى! هل يجوز لنا أن نأخذ ديننا من أمثال هذا الحاخام؟!

الفاسق الذي أمّ الناس في صلاة الصبح في المسجد سكران لا يتورّع المحدّثون والمؤرّخون عن التّرضي عنه بكل وقاحة وصلافة . انظر :[المعارف ، ابن قتيبة الدينوري، (الوفاة: ٢٧٦هـ)،ج ١ص ٣١٨: دار المعارف، القاهرة ، تحقيق : دكتور ثروت عكاشة.و معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير الجزري (الوفاة: ٥٤٤هـ)، ج ٤ ص٧٤٦، مكتبة الحلواني ، نشر مطبعة الملاح / مكتبة دار البيان،١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م

---

١ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني الوفاة: ٨٥٢ هـ ، ج ٣ ص ٨٢٣، دار العاصمة/ دار الغيث، السعودية، ١٤١٩هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري.

. و الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم المنذري (الوفاة:٦٥٦هـ)،ج١ص٧٤، وج٣ص١٦٦، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤١٧ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ومختصر كتاب الوتر، المقريزي (الوفاة: ٨٤٥ هـ)، ج١ص٦٥: مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ١٤١٣ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم محمد العلي ، محمد عبد الله أبو صعليك. و المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني الوفاة: ٨٥٢ هـ ، ٨٥٢،ج٣ ص٨٢٣ و ج٩ص٥٧٢ وج١٦ص٤٥ دار العاصمة/ دار الغيث ، السعودية ، ١٤١٩هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري. وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد الله الحميري الوفاة: بعد ٨٦٦ هـ ، ج ١ص ٢١ وص٢٥، دار الجيل – بيروت / لبنان – ١٤٠٨ هـ ـ – ١٩٨٨ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : إ . لافي بروفنصال.و جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) ، السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الاولى / ٩١١هـ ، ج ٢ص ٣٣٦ وج١٠ص١٥٢ . وج٢١ص١٥٠ .وج٢١ص٢٤٦ و تاريخ مدينة دمشق علي بن الحسن الشافعي الوفاة: ٥٧١ هـ ، ج ٦٣ ص ٢٣٤: وج٨ص٨٣ دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥ ، تحقيق : محب الدين عمر بن غرامة العمري.و مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي الوفاة: ٨٠٧ هـ ، ج ٤ ص ٣٣٢: دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي – القاهرة بيروت – ١٤٠٧. و جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) ، جلال الدين السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الاولى / ٩١١هـ ، ج ١٦ ص

٣٠٣ و ج ٢١ ص ٢٤٦ ، و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المتقي الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ، ج ١٣ ص ٢٥٩: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

وجاء في آخر الحديث في كنز العمال[1] تعليق تافه، يكشف عن سوء أدب مع النبيﷺ دفاعا عن الفاسق الذي سمّاه القرآن فاسقا. قال صاحب التعليق: ولعلّ هذا الحديث الذي أورده المصنف قبل إسلامه وهذا واضح من آخر فقرة من الحديث دعوة النبيﷺ[2].

هل يعقل أن يجير النبيﷺ امرأة من مشرك لا يؤمن به؟! والمرأة مؤمنة تخاطب النبيﷺ فتقول : يا رسول الله! فكيف تكون في عصمة مشرك وهي مؤمنة. ثم كيف يقول النبيﷺ عن مشرك أثم بي؟! وعلى فرض

---

١ - الحديث بتمامه : عن علي أن امرأة الوليد بن عقبة أتت النبي ﷺفقالت : يا رسول الله إن الوليد يضربها قال : قولي له: إن رسول اللهﷺقد أجارني ، فلم تلبث إلا يسيرا حتى رجعت فقالت : ما زادني إلا ضربا ، فقطع النبي ﷺ هدبة (هدبة : هدب الثوب وهدبته وهدابه: طرف الثوب مما يلي طرته . وفي الحديث (ما من مؤمن مرض إلا حط الله هدبة من خطاياه) أي قطعة منها وطائفة . النهاية ٥ / ٢٤٩ . ب) من ثوبه فدفعها إليها وقال : قولي له : هذه هدبة من ثوبه ، إن رسول الله ﷺقد أجارني ، فلم تلبث إلا يسيرا حتى رجعت فقالت : ما زادني إلا ضربا ؛ فرفع يديه وقال : اللهم عليك الوليد أثم بي مرتين أو ثلاثا . ش) ومسدد ، (عم ، ع) وابن جرير وصححه [كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٣ص ٢٥٩].

٢ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ، ج ١٣ ص ٢٥٩: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي

أن القصة قبل إسلامه وهو غير معقول، أليس قد نزل في حقه بعد إسلامه قرآن يسميه فاسقا؟!

ربما كان التحريف من غير ابن حجر من الوراقين والكتبة، لكن ابن حجر بارع في فن التحريف، له في ذلك صولات وجولات، منها قوله في تهذيب التهذيب:" وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غاليا وتوهينهم الشيعة مطلقا ولا سيما أنّ عليا ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلى منافق **ثم ظهر لي**[!] في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺلأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بعكسه وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو أنه إله تعالى الله عن إفكهم والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاقه وبالعكس فكذا يقال في حق علي وأيضا فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الإخبار والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن عليا رضي الله عنه قتل عثمان أو كان أعان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي"[(١)].

١ – تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني الشافعي (الوفاة: ٨٥٢) ، ج ٨ ص ١:
دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى

فنّد هذا الكلام محمد بن عقيل رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) ببيان وبرهان لا يملكالمنصف إلا الإذعان لهما، ومع ذلك لا بأس أن أَضيف كلمة بهذا الخصوص شهادة لله تعالى أن ابن حجر دجال على طريقة شيخه ابن خلدون. أقول هذا لأنه يحز في نفسي أن أري الرجل يستخف بعقول أجيال من المسلمين، ويحاول إيهامهمأنه يتلقى شيئا من الوحي، وإلا فما معنى قوله: "ثم ظهر لي"؟! وما يدرينا لعل الذي ظهر له من وحي الشيطان ﴿ شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾[1]. وهل هذا الظهور خاص بابن حجر أم أنه يجوز أن يظهر لكل مسلم شيء ويتخذ ذلك الظهور دليلا شرعيا؟! ثم هو يكذّب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيقول عمن يبغض الإمام علياعَلَيْهِ السَّلَامُ " مشهور بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة" بينما يقول عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ " منافق". أين كلام ابن حجر من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟! لا سبيل إلى الجمع بين القولين،ولم يثبت أن ابن حجر تاب من هذا الكلام، وهذا يعني أنّه خرج من الدنيا مصرّاً على تكذيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انتصاراً منه لمذهبه. على أن الأدلّة على كذبه كثيرة مهما عاند وكابر ، فإنّ من مبغضي الإمام علي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي صلى بالناس في المحراب سكران، وجلده الإمام علي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِبعد أن خاف بقية الصحابة م القيام بذلك رعاية لمقام الخليفة عثمان. هل يقال عن مثل هذا " مشهور بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة". ومن أعداء الإمام عليعَلَيْهِ السَّلَامُ ومبغضيه عمرو بن العاص الذي كشف عورته بين

---

١ – الأنعام : ١١٢ .

جيشين وهو في سن الشبعين، فهل يقال عن مثل هذا " مشهور بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة"؟! ومن مبغضيه مروان بن الحكم وأبناؤه المشؤومون أصحاب الفضائح؟ ومن مبغضيه أيضا المغيرة بن شعبة الثقفي الذي شهد عليه بالزنا ثلاثة من الصحابة الذين يترضى عنهم الذهبي وابن حجر ومن سلك سبيلهما، منهم أبو بكرة نفيع! الذي لا يشكون في ورعه وتقواه. و ما دامت الجزئية السالبة تنقض الكلية الموجبة فإنه يصح الاكتفاء بهذه النماذج، مع أن القائمة طويلة لمن تتبع أحداث العهدين الأموي والعباسي.

قال الحافظ ابن حجر في "" التشيع في عرف المتقدمين : هو اعتقاد تفضيل . عليّ على عثمان، وأنّ عليّا كان مصيبا في حروبه، وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشّيخين وتفضيلهما، وربّما اعتقد بعضهم أنّ عليّاً أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، وإذا كان معتقد ذلك ورعاً ديّناً صادقاً مجتهداً، فلا تردّ روايته لاسيّما إنْ كان غير داعية وأما التشيع في عرف المتأخّرين فهو الرّفض المحض فلا تقبل رواية الرافضيّ الغالي ولا كرامة[1].

أقول:اعتقاد تفضيل علي على عثمان كلام يتجاهل الواقع، لأن المسلمين رفضوا أن يدفن عثمان في مقابر المسلمين، وفعلا دفن في حش كوكب، وحينما تأمّر معاوية على الناس ألزمهم بدفن موتاهم بين البقيع وحش كوكب فدخل قبر عثمان في قبور المسلمين.فهل يقال لمثل هذا إنّه أفضل؟وفرار عثمان من المعارك لا يخفى على من يطالع السيرة.وليس له قتيل واحد، وقد عيّره ابن عوف بالفرار وهو خليفة وفعل الصحابي عند إخواننا حجّة، فلو كان تعييره موجبا للفسق لكان عبد الرحمن بن عوف فاسقا، وساعتها لا يكون من المبشرين ولا من المرضي عنهم لأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين.

وأما اعتقاد أن عليا كان مصيبا في حروبه : وهذه أشد من الأولى، لأن النبيﷺقال في حق الإمام عليعليه السلام: "يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل". إذاً فهي معركة واحدة على مرحلتين، مرحلة التنزيل و يتولاها رسول اللهﷺ، ومرحلة التأويل و يتولاها الإمام عليعليه السلام.

١- تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني، ج ١ ص٨١ /٨٢ :دار الفكر ١٤٠٤ هـ

وقال له أيضا : " تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين" . وتبيّن من هم الناكثون ومن هم المارقون و من هم القاسطون. فالمتردّد في تشخيص الطّوائف الثّلاث إنّما أُتي من قصوره لا من غموض في المعنى. وقد كان سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر و عمران بن حصين وغيرهم يصرّحون بأنّ جماعة معاوية هي الفئة الباغية، وحديث "عمار تقتله الفئة الباغية " معروف عند الخاص و العام، فهل يحتاج بعد ذلك إلى اجتهاد؟ أضف إلى ذلك قول النبيﷺ: " علي مع الحق و الحق مع علي يدور معه حيث دار" .

وقولهﷺ "علي مع القرآن و القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض". وقوله "أقضاكم عليّ "وقوله ﷺ "أنا مدينة العلم وعلي بابها".

فهل يستحق من وهو مع الحقّ لا يفارقهأن يصّوّب فعلَه غيرُه؟

وأما تقديم الشيخين منقوض بأمور منها:

رفض النبي تزويجهما من فاطمةعليها السلام.

تأمير النبيﷺعليهما أسامة بن زيد وغيره من الصحابة في السّرايا.

عن حماد بن سلمة عن ثابت، عن عمر بن أبي سلمة، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : " إذا أصابت أحدكم مصيبة، فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها، وأبدلني خيرا منها " . فلما احتضر أبو سلمة، قلت ذلك، وأردت أن أقول : وأبدلني خيرا منها، فقلت : ومن خير من أبي سلمة ؟ فلم أزل حتى قلتها، فلما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردته، وخطبها عمر، فردته،

فبعث إليها النبيﷺ، فقالت : مرحبا برسول الله ﷺ ! وبرسوله ، وذكر الحديث[1] ..

أقول لو كان الرجلان بالمنزلة التي تصوّر لهما لما ردّتهما أم سلمة واحدا بعد الآخر، ولما ردّهما رسول الله ﷺ بخصوص فاطمة واحدا بعد الآخر...

وأما قولهم اعتقاد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺفكلام ينطوي على مغالطة، لأن هذا اعتقاد رسول الله ﷺ لا اعتقاد بعضهم! فقول النبيﷺ أنت مني بمنزلة هارون من موسى يقطع الطريق على كل متأوّل، لكن ابن حجر لا يبالي أن يضرب بالأحاديث عرض الحائط طالما سلم له المذهب.

وقد سبقه إلى التعصب المذهبي أبو الحسين الكرخي رئيس الفقه الحنفي في العراق، المتوفى سنة ٣٤٩ هـ . قال سيد سابق وقد بلغ الغلوّ

---

١ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ١٥١.(أخرجه مسلم (٩١٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة . من طرق عن عمر بن كثير بن أفلح، عن ابن سفينة - مولى أم سلمة - عن أم سلمة . وأخرجه أحمد ٦ / ٣١٣، وأبو داود (٣١١٩) في الجنائز : باب في الاسترجاع، والنسائي ٦ / ٨١ في النكاح : باب إنكاح الابن أمه، كلهم من طريق : حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه، عن أم سلمة، قالت : قال أبو سلمة . وأخرجه الترمذي (٣٥٠٦) في الدعوات : باب الدعاء عند المصيبة وابن ماجه (١٥٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة، والحاكم ٣ / ٦٢٩ كلهم من طريق : عمر بن أبي سلمة، عن أمه أم سلمة عن أبي سلمة . وأخرجه مالك ص ١٦٣ في الجنائز : باب جامع الحسبة في المصيبة . من طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن أم سلمة..

في الثقة بهؤلاء الائمة حتى قال الكرخي : كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ[1] .

قال الذهبي : ليس تفضيل عليّ برفض و لا بدعة بل ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين. فكلّ من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولعلّهما في الآخرة متساويان في الدّرجة، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنْهما، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي وإليه نذهب . والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما بلا شكّ أبو بكر وعمر، من خالف في ذا فهو شيعيّ جلْد، ومنْ أبغض الشيخين واعتقد صحّة إمامتهما فهو رافضيّ مقيت، ومن سبّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هدىً فهو من غلاة الرافضة، أبعدهم الله[2].

ما أبعد قول الذهبي "ليس تفضيل عليّ برفض و لا بدعة بل ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين" من قوله "، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي "!!

ولو أنه صرّح بأسماء الصحابة والتابعين الذين يفضلون عليّا لأراح واستراح، ولكن ذلك يفسد عليه ما يريد، ومع ذلك فليس في ما ذكره عن عثمان ما ينفعه عند أولي الألباب. وتفنيد مدعياته لا يحتاج إلى التوسّع في البحث و التنقيب، وأول سؤال يوجه إليه:

---

١ – فقه السنة ، الشيخ سيد سابق ج ١ ص ١٣ .

٢ – سير أعلام النبلاء /شمس الدين الذهبي /ج١٦ص٤٥٧ .

أين فضل عثمان وسابقته وجهاده؟ [البينة على المدعي]، فليذكر لنا حمارا أو حصانا قتله عثمان في الحروب فضلا عن ذكر الفرسان!
ثم أين التقارب في العلم و الجلالة؟أين علم عثمان؟
وأما التساوي في الدرجة في الآخرة تردّه الأحاديث النبوية التي تثبت للإمام عليّ عليه السلام أنّه الساقي على الحوض وحامل لواء الحمد وأوّل من يكسى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.فهل يقول عاقل إن صاحب هذه الخصائص ومن ليس له منها شيء سواسية؟
وأما قوله "هما جميعا من سادة الشهداء" قول يلزم منه تكفير عائشة وطلحة والزبير لأنّ الشهيد إنّما يقتله كافر، وقد اشترك هؤلاء في دم عثمان.
وأمّا جمهور الأمّة فلا يعبأ به إذا كان منشأ الحكم الهوى ومخالفة النبي صلى الله عليه وآله،وجمهور الصّحابة مقدّم على غيرهم عند الذهبي وأضرابه، وقد رأى جمهور الصحابة ألاّ يدفن عثمان في مقابر المسلمين.
فما يذهب إليه الذهبي غير ما يذهب إليه النبي صلى الله عليه وآله والأحاديث النبوية شاهدة بذلك ناطقة.
وأما قوله"والأفضل منهما بلا شكّ أبو بكر وعمر" فكلام ناشئ عن المزاج لا عن الدليل، وعليه فلا عبرة به، و إلاّ فكيف يقال إنّ من تكرّر منه الفرار من الزّحف- الذي هو من الكبائر - أفضل من الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص؟
كيف يسوغ لعاقل أن يتفوه بهذا وأمثاله؟! ولن يستطيع الذهبي أن ينفي فرار الشيخين ولو كان الجنّ و الإنس له ظهيرا.

بخصوص الجمل وصفين

وفي سير الذهبي عن الحسن قال : لما ظفر عليّ بالجمل، دخل الدار والناس معه، فقال علي : إني لأعلم قائد فتنة دخل الجنة، وأتباعه إلى النار ! فقال الأحنف : من هو ؟ قال : الزبير . في إسناده إرسال، وفي لفظه نكارة، فمعاذ الله أن نشهد على أتباع الزبير، أو جند معاوية أو علي بأنهم في النار، بل نفوض أمرهم إلى الله، ونستغفر لهم . بلى : الخوارج كلاب النار، وشرّ قتلى تحت أديم السماء، لأنّهم مرقوا من الإسلام، ثم لا ندري مصير هم إلى ماذا، ولا نحكم عليهم بخلود النار، بل نقف[1].

وهنا يقال للذهبي :إن الذي قاتل الخوارج وقتلهم هو نفسه الذي قاتل أصحاب الجمل وقتلهم، وكل ذلك بعهد من رسول الله ﷺ الذي سمّى الطائفة الأولى مارقين و الثانية ناكثين والثالثة قاسطين، وحكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد! لكن الخوارج لم يصلوا إلى الحكم، فلا بأس بتكفيرهم ولا ضرر؛ أما من وصل إلى الحكم فإنه يحصل على حصانة لا تخترق، له ولأهله. ولذا فإن معاوية لا يضرّه أن يلعن من يحب الله ورسوله و يحبه الله و رسوله، لأنه صار خليفة، فشفع له وصوله إلى الحكم وصار أمينا مؤتمنا صاحب سنة وجماعة مفترض الطاعة لا تحل مخالفته. وعائشة بنت أبي بكر لا يمكن تخطئتها حتى لو شبهها القرآن بامرأة نوح التي ضرب بها المثل في الكفر، لأن أباها خليفة، فلا يضرها أن تخالف القرآن الكريم وتهتك ستر رسول

---

١ – سير أعلام النبلاء – الذهبي ج ١ص ٦٣.

الله ﷺ وتضرب المسلمين بعضهم ببعض. فالقضية تدور مدار الوصول إلى الحكم لا أكثر.

وقال الذهبي: وبكل حال فلو تأخر عبد الرحمن عن رفاقه للحساب، ودخل الجنة حبوا على سبيل الاستعارة، وضرب المثل، فإن منزلته في الجنة ليست بدون منزلة علي والزبير، رضي الله عن الكل[1].

وقال بخصوص بخصوص سعد:

قلت : اعتزل سعد الفتنة، فلا حضر الجمل ولا صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلا للإمامة، كبير الشأن، رضي الله عنه[2]

ورووا عن ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين أن سعد بن أبي وقاص طاف على تسع جوار في ليلة، ثم استيقظت العاشرة لما أيقظها، فنام هو، فاستحيت أن توقظه[3]. وهو كما ترى! أهم الإنجازات عندهم أن يطوف أحدهم على تسع في ليلة واحدة!

وروى عن حماد بن سلمة : عن سماك، عن مصعب بن سعد أنه قال : كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي . فبكيت، فرفع رأسه إلي، فقال : أي بني ما يبكيك ؟ قلت : لمكانك وما أرى بك . قال : لا تبك فإن الله لا يعذبني أبدا. وإني من أهل الجنة[4].

ويقول:قلت : قاتل طلحة في الوزر، بمنزلة قاتل علي[5].

---

١ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ٧٧ .

٢ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ١٢٢ .

٣ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ١٢٢.

٤ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ١٢٢ .

٥ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١ ص ٣٦

أقول: إذا كان الذهبي صادقا فيما يقول فعليه أن يقول إن مروان بن الحكم بمنزلة عبد الرحمن بن ملجم، لأن قاتل طلحة هو مروان، وهو نفسه ينقل ذلك فيقول: قال خليفة بن خياط : حدثنا من سمع جويرية بن أسماء، عن يحيى بن سعيد، عن عمه، أن مروان رمى طلحة بسهم، فقتله، ثم التفت إلى أبان، فقال : قد كفيناك بعض قتلة أبيك[1].

والذهبي بعد ذلك كله يجزم بكفر أبي طالب رحمه الله.

أما أتباع أهل البيت فإنهم يشهدون أن أبا طالب أشرف و أصدق من الذهبي والنووي والعسقلاني والقسطلاني وألوف من الذين آمنت أفواههم ولم تؤمن قلوبهم. وسيجمعهم الله تعالى به يوم القيامة لتهمتهم إيّاه بالكفر، وخسر هنالك المبطلون. وقد علم العقلاء أن الإمام علياعليه السلام كان ينسب أبا سفيان وأولاده إلى الكفر، فلو كان أبو طالب كافرا كما يدعي هؤلاء لما فوّت معاوية الفرصة ولردّ على الإمام عليّعليه السلام طاعنا في إيمان في أبي طالب رحمه الله ،بل إن الإمام عليا عليه السلام يصرّح بنفي

[1] – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي الوفاة: ٧٤٨هـ ج ٣ ص ٤٨٧ : دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري.و سير أعلام النبلاء، الذهبي الوفاة: ٧٤٨، ج ١ص ٣٦: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة : التاسعة، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي والخبر في : تاريخ خليفة بن خياط، الوفاة: ٢٤٠ هـ ج ١ ص ١٨٥: دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت – ١٣٩٧، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري، و تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري البصري الوفاة: ٢٦٢هـ ج ٢ ص ٢٢١: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، تحقيق : علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، اسم المؤلف: عبد الملك العاصمي المكي الوفاة: ١١١١هـ ج ٢ص ٥٦٦ : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض

المقابلة بينهما (ليس أبو طالب كأبي سفيان).وإنما ظهرت فكرة تكفير أبي طالب ﵀ على عهد العباسيين تمويها على البسطاء و السذّج، يريدون أن يقولوا من وراء ذلك إن أبا طالب مات ـ والعياذ بالله ـ على غير الإسلام وأن العباس أسلم، وليس العم المسلم كغير المسلم؛ ومعناه أن العباس أولى برسول ﷺمن أبي طالب ﵀محاولين بذلك إضفاء الشرعية على ملكهم العضوض، ولله در أبي فراس الحمداني حيث يقول: تتلى العبادة في أبياتهم سحرا...وفي بيوتكم المزمار والنغم

ما الذي جرى؟

يعترف الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة على فراش الموت أنه كشف بيت فاطمة فيقول: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب[1]..

لكن الحديث لم يعجب محبّي الخليفة فتكلّموا فيه جريا على عادتهم حين يتعلق الأمر بكبار قريش. وقد حاول ابن تيمية توجيهه فجاء بعذر أقبح من ذنب. ومع ذلك فقد قال السيوطي في جامع الأحاديث:[رواه] أبو عبيد في كتاب الأمْوال عق وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي في فضائل الصحابة طب كر ص) وقال إنّه حديث حسن إلاّ أنّه ليس فيه شيء عن النبي وقد أخرج (خ) كتابه غير شيء من كلام الصحابة. وفي كنز العمال:أبو عبيد في كتاب الأموال عق وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي (خيثمة بن سليمان بن حيدرة، محدث الشام أبو الحسن القرشي الطرابلسي أحد الثقات ولد سنة ٢٥٠ هـ . وقال الخطيب : ثقة،

١- تاريخ الطبري، الوفاة: ٣١٠ هـ ج ٢ ص ٣٥٣: دار الكتب العلمية — بيروت. وتاريخ مدينة، ابن عساكر، الوفاة: ٥٧١، ج ٣٠ ص ٤٢٠: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري و شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ-، ج ٦ ص ٣٣ و ج ٢٠ ص ٢٤، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري . وميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي الوفاة: ٧٤٨ هـ -، ج ٥ ص ١٣٦ : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.و: جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير-، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الأولى / ٩١١هـ ج ١٣ ص ١٠١ . و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ج ٥ ص ٢٥٢: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

جمع فضائل الصحابة(رض) وتوفي سنة ٣٤٣ هـ . تذكرة الحفاظ للذهبي (ج ٣ ص ٨٥٩) في فضائل الصحابة (طب كر ص) وقال إنه حديث حسن إلا أنّه ليس فيه شيء عن النبي ﷺ وقد أخرج (خ) كتابه غير شيء من كلام الصحابة .

ما معنى كشف بيت فاطمة؟ وهل بيت فاطمة(ع) غير بيت الإمام علي عليه السلام؟

ههنا شيء لابدّ من الالتفات إليه، فقد جاء في تفسير الثعلبي ما يلي:

وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري قال : حدّثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال : حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني بالكوفة قال : حدّثنا المنذر بن محمد القابوسي قال : حدّثني الحسين بن سعيد قال : حدّثني أبي عن أبان بن تغلب عن نفيع بن الحرث عن أنس بن مالك وعن بريدة قالا : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. ﴾ إلى قوله والأبصار، فقام رجل فقال : أيّ بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال : (بيوت الأنبياء) . قال : فقام إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها لبيت عليّ وفاطمة ؟ قال : (نعم من أفاضلها)[1]. قال الألوسي بعد نقل الرواية:

١- الكشف والبيان تفسير الثعلبي-، الوفاة: ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥م، ج ٧ ص ١٠٧ : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي. و الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الوفاة: ٨٧٥، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت تفسير الثعالبي ج ٧ ص ١٠٧و الدر المنثور، جلال الدين السيوطي الوفاة: ٩١١ هـ - ج ٦ ص ٢٠٣دار الفكر - بيروت – ١٩٩٣ و الجواهر

هذا إن صحّ لا ينبغي العدول عنه[1].

وهذا يعني أنّ أبا بكر كان عالما بحرمة البيت المذكور، ويعجز الناس جميعا أن يجدوا له مخرجا يوم يقوم الأشهاد. ومع ذلك جاء أناس بوجوه من القول لعلّ وعسى، ولكن هيهات. فمن قائل إنّ أبا بكر كبس البيت لأنّه ظن أنّ فيه شيئا من أموال المسلمين[2] ! وفيه من تخوين سيّدة نساء العالمين ما فيه، ولا يصحّ أن يصدر من قلب رجل لرسول الله ﷺ في قلبه حرمة! ونفى آخرون أصل القضيّة حتى يستريحوا ويريحوا أتباعهم، لكن قسما كبيرا من المسلمين بقي يحتفظ بالقصّة ويحيي ذكراها كلّ عام.

والله سبحانه وتعالى سائل الناس عن مودة قربى النبيﷺ، والهجوم عليهم وكبس بيوتهم يتنافى والمودّة المطلوبة. ينبغي على المسلم أن يوقّر أهل بيت النبيﷺ كما يوقّره هو نفسه ﷺ لا ينقص من ذلك شيئا، لأن النبيﷺ جعلهم ونفسه شيئا واحدا، وهو لا ينطق عن الهوى، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. قال ﷺ: فاطمة بضعة

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي الوفاة: ١٢٧٠هـ -، ج ١٨ ص ١٧٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢- قال ابن تيمية : وغاية ما يقال إنه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أنه لو تركه لهم لجاز، فإنه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء. وأما إقدامه عليهم أنفسهم بأذى فهذا ما وقع فيه قط باتفاق أهل العلم والدين، وإنما ينقل مثل هذا جهال الكذابين ويصدقه حمقى العالمين الذين يقولون إن الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى أسقطت، وهذا كلّه دعوى مختلق وإفك مفترى باتفاق أهل الإسلام ولا يروج إلا على من هو من جنس الأنعام[منهاج السنة النبوية، ابن تيمية الحراني الوفاة: ٧٢٨ هـ -، ج ٨ ص ٢٩١: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم] .

منّي، من آذها فقد آذاني، و" قد " في لغة العرب للتّحقيق إذا اقترنت بالماضي، ولم يقلﷺ: من آذاها فكأنّما آذاني حتى يكون هناك تشبيه يراد به التّغليظ، وإنّما قال : " من آذاها فقد آذاني، ومعناه " فقد تحقّق منه الأذى في حقّي" وبين العبارتين بون شاسع. ومصير الذين يؤذون رسول اللهﷺ ولا يتوبون من ذلك معلوم. ولا فرق بين من يؤذي فاطمة الزهراء (ع) بالضّرب وبين من يؤذيها بكلمة، ومن يؤذيها بمحاضرة، ومن يؤذيها بقصيدة، كلّ واحد منهم قد آذى رسول اللهﷺ! وتلك الآيات نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون.

ثم كان اغتيال الإمام عليعليه السلامعلى يد عبد الرحمن بن ملجم الذي سماه رسول اللهﷺ " أشقى الآخرين " . ومع أنّ موقف النبّيﷺ واضح فإنّ ابن حزم الأندلسي أضفى على ابن ملجم صفة المجهتد المأجور وقال: ولا خلاف بين أحد من الْأمّة في أنّ عبد الرحمن بن ملْجم لم يقْتلْ عليًّا رضي الله عنه إلاّ متأوّلا مجْتهدا مقدّرا أنّه على صواب[1]. فكان ابن حزم مكذّبا لرسول اللهﷺعلانية وباسم الإسلام، ولم يقفوا منه الموقف الذي يقتضيه الشّرع. فلينم ابن ملجم قرير العين مجتهدا مأجورا. أمّا قاتل عثمان فلا حظّ ولا سهم له في الإسلام وإن كان من أتقى النّاس، لأنّ عثمان من بني أميّة، ولبني أمية حصانة دبلوماسية لا تقبل الجدل.

ثم قتل الحسن عليه السلام بالسم. وقصّة اغتياله بالسمّ معلومة عند القاصي والداني، لكنّ ابن كثير وابن خلدون لم يستسيغاها، فاستبعدا

١- المحلى، ابن حزم الظاهري الأندلسي الوفاة: ٤٥٦، ج ١٠ ص ٤٨٤، دار الآفاق الجديدة - بيروت، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي.

ذلك. قال ابن كثير: " وروى بعضهم أنّ يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمّي الحسن وأنا أتزوّجك بعده، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت إليه فقال: إنّا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟ وعندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى" [1]. ولا يعجب القارئ من قول ابن كثير "عندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية أولى" فإنّ ما ليس بصحيح عند ابن كثير وافر كثير، والمعيار فيه أن يتضمّن قدحا في بني أميّة، والرّجل شاميّ، وقد كان مفتونا بحبّ شيخه ابن تيمية، وموقف ابن تيمية من عليّ بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام معلوم.

يقول ابن كثير : " وروى بعضهم..

فمن هو بعضهم؟!

قال اليعقوبي: توفّي الحسن بن عليّ سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي ووصّى أن يدفن عند رسول الله إلاّ أن تخاف فتنة فينقل إلي مقابر المسلمين. فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له فلمّا توفّي أرادوا دفنه عند النّبيّ فلم يعرض إليهم سعيد بن العاص وهو الأمير فقام مروان بن الحكم وجمع بني أميّة وشيعته ومنع عن ذلك، فأراد الحسين الامتناع فقيل له إنّ أخاك قال إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين، وهذه فتنة، فسكت وصلّى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين: لولا أنّه سنّة لما تركتك تصلّي عليه [2].وقال: وتوفي الحسن بن علي في شهر ربيع الأول

١- البداية والنهاية، ابن كثير القرشي أبو الفداء الوفاة: ٧٧٤هـ، ج ٨ ص ٤٣، مكتبة المعارف، بيروت.

٢- تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٣١٥.

سنة ٤٩ هـ . ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي، إنّ هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السّمّ ولم أسقه مثل مرّتي هذه. وأنا ميّت من يومي، فإذا أنا متّ فادفنّي مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه منّي، إلاّ أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم[١].

وفي كتاب المقريزي: قد روي أنّ معاوية هو الذي سمّ الحسن[٢].

وقال ابن كثير: [..] عن أمّ موسى أنّ جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السّمّ فاشتكى منه شكاة، قال فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحوا من أربعين يوما. وروى بعضهم أنّ يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمّي الحسن وأنا أتزوّجك بعده، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت إليه فقال: إنّا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟ وعندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحّته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى[٣].

وقال ابن الأثير[٤]: في هذه السّنة توفّي الحسن بن عليّ سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ، ووصّى أن يدفن عند رسول الله إلاّ أن تخاف فتنة فينقل إلي مقابر المسلمين .وقال ابن الجوزي[٥]: قال محمّد بن سلام الجمحيّ عن ابن جعدة قال كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن عليّ فدسّ إليها يزيد أن سمّي حسنا ففعلت. فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنّا لم

١- تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٢٥٨ .
٢- النزاع والتخاصم، المقريزي ص٣٦.
٣- البداية والنهاية K ابن كثير ج ٨ص٤٧ .
٤- الكامل، ابن الأثير ـ ج٣ ص٣١٥ .
٥- المنتظم، لابن الجوزي ج٥ ص٢٢١.

نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟وقال في صفوة الصفوة: وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن بن علي فزعموا أنّها هي التي سمّته[1].

و في وفيات الأعيان: قال القتبيّ يقال إنّ امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته ومكث شهرين وإنّه ليرفع من تحته كلّ يوم كذا وكذا طست من دم. وكان يقول: سقيت السّمّ مرارا ما أصابني ما أصابني في هذه المرّة. وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاما فكان الصّبيان يقولون له يا ابن مسمّة الأزواج[2].

طالع أيضا بخصوص سمّ الحسن : تذكرة الخواصّ ١٩٢،وأنساب الأشراف (الكبير)ج٣ص٤٨-٥٥،وربيع الأبرار ج٤ص٢٠٨،وتاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص١٩٢.والتنبيه والإشراف، المسعودي ج ١ ص ١١٠ و الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة التلمساني المعروف بالبري ج ١ ص ٢٨٢، و شرح نهج البلاغة ج ١٦ص ١٨ وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، السعدي ج ١ ص ١٧٤ وتهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج ١ ص ١٦٢ وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين الطبري ج ١ ص ١٤١، والوافي بالوفيات للصفدي ج ١٢ ص ٦٨ وطرح التثريب في شرح التقريب زين الدين العراقي، ج ١، ص ٣٤.

١- صفة الصفوة، ابن الجوزي، ج١ ص٧٦٢.
٢- وفيات الأعيان ج٢ص٦٦ .

وعليه يكون بعضهم: اليعقوبي وابن خلكان والمقريزي وابن الجوزي والبلاذري والزمخشري والسيوطي والنووي،هذا مع أن ابن كثير نفسه نقل روايات بخصوص اغتيال الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالسمّ.

ثم كانت واقعة كربلاء الغنية عن كل تعليق.

أين احترام قربى النبي صلى الله عليه وآله؟

أين احترام سورة الشورى؟

إذا كان من فعلوا تلك الأفاعيل بقربى النبي صلى الله عليه وآله هم خير القرون فعلى القرآن السلام، وعلى الإسلام السلام، ولا أدري أين تذهب حكمة الباري سبحانه وتعالى بعدها، إذ هو الذي يجعل قتل نفس بغير نفس أو فساد في الأرض بمنزلة قتل الناس جميعا، ثم يكرم ويفضّل من قتلوا المأمور بحبّهم في الذكر الحكيم! هكذا يتناقض ربنا سبحانه وتعالى بكل بساطة ولا يسأل عمّا يفعل، لأنه حين يتعلّق الأمر بقريش عامّة وبني أميّة خاصّة تتعطّل الشّريعة ويتعطّل القرآن الكريم ويتخلّى البارئ عزّ وجلّ عن حكمته وإرادته..

لا أشكّ طرفة عين أن هذه الاعتقادات الفاسدة هي التي هوّنت من شأن المسلمين، لأنّهم عرّضوا أنفسهم لمقت الله تعالى، إذ نسبوا إليه ما لا ينسبونه إلى مجانينهم. نسبوا إليه أنّه يجعل من عبد الأصنام أفضل ممّن لم يعبدها، مع أنّه سبحانه وتعالى يقول:﴿ إنّما المشركون نجس..﴾ فجعلوا من تلوّث بنجاسة الشّرك أفضل ممّن كان دائما موحدا طاهرا ! ونسبوا إليه أنّه يقدم المفضول على الفاضل، ولو كان الأمر كذلك لكان قوله تعالى:﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض..﴾ عبثاً! لأنه يقول بعدها ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ..﴾ ولكان قوله تعالى: ﴿

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ أيضا عبثا! أقول هذا وأنا متيقّن أنّ الذين ينسبون إلى الله تعالى ذلك لا يرضون به حين يتعلّق الأمر بهم وبمصالحهم، فإنّ الاعتراف بالفضل لصاحبه يغدو عندهم أمرا لا يقبل النّقاش، وهذا السّلوك يغلب على الذين في قلوبهم مرض﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾.

على كل حال، لم يحظ أهل بيت النبيﷺ بما يستحقّونه من الاحترام ورعاية الحرمة، مع أن ذلك حقّ ثابت لهم في أعناق المسلمين بموجب الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى. لم يحظوا بالكرامة في أبسط ما يتعلق بالإنسان بعد موته! لم تراع حرمة رسول اللهﷺ فيهم. دفنت فاطمة الزهراء(ع) سرّاً. ودفن الإمام علي(ع) سرّاً. ودفن الإمام الحسن في البقيع بعد أن رمي نعشه بالنبال حتى عاد كالقنفذ. وترك الإمام الحسين على الثرى بلا دفن وبلا رأس.

هنيئا لأمّة فعلت كل ذلك من شدّة محبّتها لنبيّها!

إذا كان البكاء على الحسين مجرد سلوك تقليدي فلماذا لم يبل بمرور الزمن؟ ولماذا تصحبه كلّ سنة آلاف القصائد من الشّعر الشّعبي والشّعر الفصيح؟! ولماذا تتوالى الكتابات حوله مع إقرار أصحابها بعجزهم عن إيفاء المطلب حقه؟!

على أن واقعة كربلاء التي قتل فيها الإمام الحسين عليه السلام لم تسلم من محاولات التحريف والتزوير والتوجيه والتبرير. يقول القاضي ابن العربي الذي يوصي الإخوانُ المسلمون أتباعهم بقراءة عواصمه:

وذكر المؤرّخون أنّ كتب أهل الكوفة وردت على الحسين وأنّه أرسل مسلم بن عقيل ابن عمّه إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في أتابعه فنهاه ابن عباس وأعلمه انّهم خذلوا أباه وأخاه وأشار عليه ابن الزّبيْر

بالخروج فخرج فلم يبلغ الكوفة إلاّ ومسلم بن عقيل قد قتل وأسْلمه منْ كان استدْعاه ويكفيك بهذا عظةً لمن اتّعظ .فتمادى واستمرّ غضباً للدّين وقياماً بالحقّ ولكنّه رضي الله عنه لم يقبلْ نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عبّاس وعدل عنْ رأي شيخ الصّحابة ابن عمر[1].

و قال أيضا : وما خرج إليه أحد إلاّ بتأويل ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرّسل المخبر بفساد الحال المحذّر عن الدّخول في الفتن ! وأقواله في ذلك كثيرة منها ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان فما خرج النّاس إلاّ بهذا وأمثاله[!] ولو أنّ عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله ولوْ جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحقّ وفي جملتهم ابن عبّاس وابن عمر لم يلتفتْ إليهم وحضره ما أنذر به النّبيّ ﷺوما قال في أخيه ورأى أنها قد خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة وكبار الصّحابة ينهونه وينأون عنه وما أدرى في هذا إلاّ التّسليم لقضاء الله والحزن على ابن بنت رسول الله ﷺ بقيّة الدهر ولولا معرفة أشياخ الصّحابة وأعيان الأمّة بأنه أمْر صرفه الله عنْ أهل البيْت وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ما أسلموه أبداً .

وهذا أحمد بن حنبل على تقشّفه وعظيم منزلته في الدّين وورعه قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزّهد أنّه كان يقول في خطبته" إذا مرض أحدكم مرضا فأشفى ثم تماثل فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه "وهذا يدلّ على عظيم منزلته

١– العواصم من القواصم، ابن العربي المالكي،ج١ ص٢٣ .

عنده حتى يدخله في جملة الزّهّاد من الصّحابة والتّابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم ونعم، ما أدخله إلاّ في جملة الصّحابة قبل أن يخرج إلى ذكر التّابعين فأين هذا من ذكر المؤرّخين له في الخمر وأنواع الفجور .ألا تستحيون وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ألا ترعوون أنتم وتزدجرون وتقتدون بالأحبار والرّهبان من فضلاء الأمّة وترفضون الملحدة والمجّان من المنتمين إلى الملّة .هذا بيان للنّاس وهدى وموعظة للمتّقين والحمد لله ربّ العالمين[١].

هذا كلام الشيخ ابن العربي! ونفترض أنه كلام مسلم ناصح للأمة، سليم النية، نقي السريرة، أليس من سوء الأدب مع رسول الله تشبيه سبطه الشهيد بالرعاة من الأعراب الذين يعيش كل واحد منهم " يسعه بيته أو ضيعته أو إبله "! فأين علو الهمّة؟ وأين كلمة حق عند إمام جائر؟ وأين قوله تعالى﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[٢].

كيف يستسيغ عاقل العيش في ظل دولة يحكمها يزيد. وأين يكون قول رسول الله(ص) بخصوص الإمام الحسين وقتله بأرض يقال لها كربلاء؟!

لا يبالي ابن العربي أن يعرّض النبوة للتكذيب دفاعا عن آل أبي سفيان!

إذا عاش الإمام الحسين مع ضيعته وإبله فأين يذهب قوله ﷺبخصوص قتله بأرض يقال لها كربلاء؟

١- العواصم من القواصم، ابن العربي المالكي،ج١ ص٢٤٤ .
٢- المائدة: ٧٩ .

نحن والإعلام

لا شك أنّ مفاهيم ومصطلحات تكتنف حياتنا لم تكن معروفة لدى الأجيال السابقة، وإن كانوا يتداولونها في حديثهم. ومرجع ذلك إلى التقدّم العلمي التّكنولوجي الهائل الذي حقّقه الإنسان اليوم، والذي يجعله أحيانا في حاجة إلى التوسّع في اللّغة ترجمة وابتكارا. ومن تلك المفاهيم والمصطلحات مفردة " الإعلام "، التي لا تتعدّى من حيث البناء اللّغوي مصدر الفعل الرباعي (المزيد بحرف) من مادة علم. بينما هو في الواقع اليوم علم قائم بذاته، وسلطة معترف بها توازي السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية في أكبر البلدان وأعرقها في السياسة والاجتماع. وعليه يمكن الاكتفاء من التعريفات المطروحة بما يجمع القدر المتيقن من تصور ما تشير إليه العبارة عند القدماء والمعاصرين..

قال الراغب الأصفهاني في المفردات:

أعلمته وعلّمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختصّ بما كان بإخبار سريع، والتّعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم . قال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير نحو : ﴿ أتعلّمون الله بدينكم﴾[1].

ونفس النّحو نحاه كلّ من المناوي والكفومي والزبيدي.

-١ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الوفاة: ٥٠٢هـ -، ج ١ ص ٣٤٣، دار المعرفة - لبنان، تحقيق : محمد سيد كيلاني.

قال الكفومي الإعلام : مصدر (أعلم) وهو عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلا بالعلم به ليتحقق إحداث العلم عنده وتحصيله لديه ويشترط الصدق في الإعلام دون الإخبار، لأن الإخبار يقع على الكذب بحكم التعارف، كما يقع على الصدق قال الله تعالى : ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ اختص الإعلام بما إذا كان بإخبار سريع والتعليم بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم[1]. وقال الزبيدي:(وأعلمه إيّاه فتعلّمه)، وهو صريح في أنّ التّعْليم والإعْلام شيء واحد، وفرّق سيبويْه بيْنهما فقال : علّمْت كأذّنْت، وأعْلمْت كآذنْت . وقال الرّاغب : ' إلا أنّ الإعلام اخْتصّ بما كان بإخْبار سريع، والتّعْليم اخْتصّ بما يكون بتكْرير وتكْثير[2].

وهذا التعريف وإن كان يتضمن كلام المحققين إلا أنه في ظل واقعنا يفتقر إلى الدقّة، لأنّنا نلحظ بالوجدان الفرق بين المعنيين في حياتنا؛ فالتّعليم غير الإعلام، ولكلّ واحد منهما وزارته ومخطّطاته ومشاريعه. والإعلاميّ غير المعلّم، وإن كانا يتقاطعان في مواطن؛ وعليه يكون معنى الإعلام أوسع بكثير مما ذهب إليه الزبيدي وسيبويه وغيرهما ممّن لم يشهدوا التقدّم التّكنولوجي.

-١ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي الوفاة: ١٠٩٤ هـ -، ج ١ ص ١٤٨ : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري

-٢ تاج العروس من جواهر القاموس، اسم المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الوفاة: ١٢٠٥ هـ -، ج ٣٣ ص ١٤٨ : دار الهداية، تحقيق : مجموعة من المحققين.

على أنّ في عباراتهم ما يستفاد منه بشكل أساسي في بيان وظيفة الإعلام وهو قولهم : "حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم"، فإنّنا إذا استبدلنا مفردة " المتعلم " بـمفردة " المتلقي" التي هي أوسع دائرة منه يحصل المطلوب، إذ الغاية من الإعلام مهما كانت توجّهاته ومناهجه تتمثّل في التأثير في المتلقّي ودفعه إلى اتّخاذ موقف ما. وهو سلوك لم تخل البشرية منه يوما من الأيام، وإنّما اختلفت الأساليب والوسائل باختلاف مستويات المجتمعات واستعداداتها وتنوع ثقافاتها. وقد استحسن محققون وباحثون تعريف العالم الألماني " توجروت" للإعلام إذ يقول: هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت "[1]، وإن كان كثير من الإعلاميين يمارسون الإعلام ولا يلتفتون إلى تاريخه وتعريفه، والسياقات التي اكتنفته، وما يتوقع له مستقبلا.

لكننا ـ نحن المسلمين ـ بحكم ثقافتنا وارتباط تراثنا بالقيم والمبادئ الإسلامية، وتبعات المسؤولية الشخصية في المجتمع تأثرا وتأثيرا، نفضل أن يكون على التعاريف والبيانات مسحة دينية تذكّر بالمسؤولية التي تحدد المساحات المسموح بها للفرد والمجتمع على حد سواء، ولا ننظر إلى المعرّف في العلوم الإنسانية والاجتماعية بمعزل عن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومن ذلك المنطلق يغدو قول النبي ﷺ :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" ضابطا من أهم

-١ الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الوشلي، ص١٠، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، مصر، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

ضوابط التعبير في المجتمع الإسلامي، لأن كلمة في غير محلّها في وقت غير مناسب قد تجرّ إلى حالة من العنف والهرج، فكيف إذا تناقلتها وسائل الإعلام بسرعة البرق الخاطف! كما أنّ الوصف القرآني للكلمتين الطيّبة والخبيثة هو في نفسه عامل تربويّ يوجّه المسلم إلى وزن كلماته قبل التفوه بها[1]. وبذلك نخلص إلى تعريف إسلامي للإعلام، يشترك مع غيره من التعريفات، وينفرد بالشرط المعنوي الأخلاقي، فلا يكون مجرد نقل معلومة وإن كان في نقلها فتنة للمتحدث والمتلقي، أو هتكا لأعراض مصونة، أو تعديا على حقوق محترمة، أو تجاهلا لحرمات وشعائر مقدسة، كما يحدث في أيامنا باسم حرية التعبير؛ لأن الإسلام يميز بين حرية التعبير وبين الفوضى. لأن حرية التعبير يستفيد منها إنسان محافظ على إنسانيته، ولا تتحقق الإنسانية بمعناها الصحيح الكامل إلا حينما يكون الإنسان ينظر إلى أمثاله في هذه الحقيقة على أساس أنهم " أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلقة". فالذي يهم المسلم من الإعلام هو ما يتصف بصفات وعلائم تتضح فيها معالم المسؤولية وصوت الضمير، لا الذي يكون وسيلة لغاية لا مكان فيها للأخلاق والقيم؛ وقد أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من وسائل الإعلام وأهدافه دون أن يذكر مفردة الإعلام صراحة، والتي لم يكن يومها معروفة بما هي عليه اليوم، فذكر طائفة ينفرون ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم

١- ألمْ تر كيْف ضرب اللّه مثلًا كلمةً طيّبةً كشجرة طيّبة أصْلها ثابتٌ وفرْعها في السّماء تؤْتي أكلها كلّ حين بإذْن ربّها ويضْرب اللّه ٱلْأمْثالً للنّاس لعلّهمْ يتذكّرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتثّتْ منْ فوْق الْأرْض ما لها منْ قرار ٢٦ - يثبّت اللّه الّذين آمنوا بالْقوْل الثّابت في الْحياة الدّنْيا وفي الْآخرة ويضلّ ٱللّه الظّالمين ويفْعل اللّه ما يشاء. سورة إبراهيم ٢٤ - و ٢٥٤ - و ٢٦ - و ٢٧ -.

إذا رجعوا، وذكر المرجفين، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، والفاسق الذي يجيء بنبأ، وكل هؤلاء إنما يمارسون ما يمارسه الإعلاميون في أيامنا، مع تفاوت كبير في الوسائل والمناهج والأساليب.
وتبقى قضية الانتماء أساسية في الإعلام عند المسلم تعريفا وأداء، فهو ـ بصفته ناقلا للمعلومة أو متلقيا لها ـ لابد أن يحافظ على انتمائه إلى الإسلام في التفكير والتعاطي حتى مع غير المسلمين.
لاشك أن رواد الإعلام في تاريخ الإنسانية هم الأنبياء والمرسلون، الذين كانوا يبلغون عن الله تعالى ما فيه سعادة البشر دنيا وآخرة، ولاشك أن وسائلهم ومناهجهم كانت منسجمة مع طبيعة الرسالة وأهدافها، لذلك لم يؤثر أن نبيا أو رسولا تسبب في مشكلة أو أكثر بالنسبة للمجتمع الذي عاش ودعا فيه. وعلى نفس الخط سار النبيﷺ متبعا ما أوحي إليه من الهدى؛ ويبين ذلك ويوضحه قول الله جل جلاله:﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].
والحكمة لا تأتي إلا من حكيم، ولا تهدف إلا إلى أمر محكم مستقيم، والرسالات السماوية كلها حكمة أثبتت التجارب شقاوة البشر كلما ابتعدوا عنها، وعليه فإن ما كان يمارسه الأنبياء عليهم السلام من تبليغ رسالات الله ـ وهم الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ـ لم يكن يتضمن شيئا من هوى النفوس وميولها، وإنما كان نهجا واضح الأهداف والمعالم، غايته التربية والتثقيف لتكوين الإنسان

١- النحل: ١٢٥ .

المتكامل الذي يجمع في تعامله مع أشباهه بين الاحترام والمحبة، وهما العنصران الأساسيان في سلوك الإنسان ليحافظ على إنسانيته، واللذان بغيابهما يتحول الإنسان إلى كائن متوحش مفسد في الأرض. هذا النهج السماوي يعتمد على وسائل وآليات تنسجم مع الفطرة، وتتفادى العنف بشكليه المادي والمعنوي، وتتبنى القيم والمبادئ العليا وتحميها وتدافع عنها؛ لذلك حفظ التاريخ صورا مشرقة للأنبياء وأتباعهم في سلوكهم الدعوي الرسالي، وتعاملهم مع الناس، وترفعهم عن سفاسف الأمور، وتواضعهم وإظهارهم المحبة والخير لغيرهم دون توقع مقابل. وهي أمور يفتقر إليها الإعلام المعاصر الذي يكاد يكون ميكيافيليا بامتياز .

يتحرك الإعلام الإسلامي من منطلق نحول المطلب السامي المتمثل في بث المعلومة الصحيحة بصدق وأمانة ونزاهة، متوخيا نهج التوعية المستمرة والإنصاف حتى مع ألد الخصوم﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى..﴾، وكل هذا في إطار مجموعة من المبادئ لا محيد للإعلامي المسلم عنها، والتي تبقى حيوية لدوام واستمرار النفس الرسالي، وتتمثل في:

- مراعاة الظروف والشروط اللازمة لدى كل من المخاطب والمخاطب، وبعبارة أخرى بين المرسل والمتلقي، إذ تلعب الظروف التي تبث فيها الكلمة دورا مهما سلبا وإيجابا في مستوى ومدى التأثير، وتوقع الاستجابة ورد الفعل.

- التخطيط على المستويين القريب والبعيد، إذ العمل المخطط له يضمن التعامل مع كل جديد غير متوقع، ويسمح بالمراجعة وإعادة النظر

في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، على خلاف الأعمال العفوية يصعب ضبطها وإعادتها إلى سياقها الأصلي إذا تعرضت إلى التلاعب أو التحريف.

- تحديد الأولويات وتقديم القضايا المهمة لدى شرائح المجتمع المختلفة.

- وضوح الأهداف وانسجامها مع مقاصد الشريعة الإسلامية والآداب والأعراف المحترمة.

- استبعاد الإشاعة والدعاية من الخطاب، كون ذلك يؤثر سلبا على المصداقية والسمعة.

- استحضار روح المسؤولية ومحاسبة الضمير على المستويين الفردي والجماعي في كل ما يصدر عن المؤسسة الإعلامية. وهذا المبدأ تظهر قيمته وفائدته عند اتخاذ القرار.

- تجنب كل ما من شأنه أن يهيج المشاعر ويؤدي إلى التوتر والصدام﴿ والفتنة أشد من القتل﴾.

- التركيز على حضور عنصر التوعية في الخطاب، لأن المتلقي غير الواعي قد يخطئ في تفسير أو استعمال الخطاب فيرتكب ما يصعب تداركه ويعمّ ضرره.

- احترام التخصص في التعامل مع المعلومة والخبر، لأن التعميم في غير محله ينعكس سلبيا على الموضوع وصاحبه، وقد يؤدي إلى خلافات تذهب بقيمة المعلومة وتحولها إلى مورد جدال لا طائل تحته.

- ″ الغاية تبرر الوسيلة ″ شعار لا إنساني ولا أخلاقي، من شأنه تدمير المجتمعات ودفعها إلى التّصادم والتّطاحن بمعزل عن الأخلاق والقيم السامية. والذين روّجوا لهذا الشّعار إنّما أقدموا على ذلك بعد أن فشلوا في المنافسة النزيهة.
- الاعتدال والوسطية في الخطاب والتعامل مع الطرف الموالي والطرف المخالف على مسافة واحدة.
- الواقعية في التعامل مع المتلقي والأحداث بال إفراط ولا تفريط.
- تجنب الانتهازيّة وسوء الاستفادة من الظروف الآنية المناسبة لفكرة معيّنة أو خطاب معيّن، استجابة لرغبة جماعة أو حزب سياسي أو نظام...
- الاستشراف وبعد النظر المستقبلي وضبط الخطاب ضمن آفاق لها موقع عند المتلقّي، حتى لا تكون المعلومة من باب الترف الفكري الذي لا يندرج ضمن الإعلام الهادف.

هذه المبادئ ـ وما يحذو حذوها ـ تهيّئ جوا صالحا للعمل الإعلامي الرسالي الهادف، وتمكّن الإعلامي المسلم من أداء وظيفته بحرية وانسجام بين ما يؤمن به وما يؤديه، وهذان العاملان أساسيان في إنجاز العمل ونجاحه، وذلك أن الحرية تؤدي إلى الإبداع، كما أن انسجام المرء مع ضميره يسمح بوضوح الرؤية وراحة البال. أما حين يقوم الإعلامي بعمل لا يؤمن به لا انطلاقا ولا وصولا، فإنه لن يفلت من الاضطراب حين العمل، والندم بعده إذا تبين أنّه كان ينطوي على أمور مبهمة بالنسبة إلى معتقد الإعلامي وثقافته. وقد يتحول مثل ذلك العمل

الإعلامي الخالي من القناعات إلى عادة للتكسّب تترسّخ شيئا فشيئا في نفس صاحبها، وبمرور الزمن يصعب التخلص منها ومن تبعاتها. وهذا الداء منتشر في الأوساط الثقافية العربية بحكم ظروف العمل في الأنظمة الشمولية التي لا تتردد أحيانا في حمل الإعلامي بالقوة على العمل في ساحات ومواقع تتعارض مع قناعاته، وهو ما أدى إلى هجرة كثير من المثقّفين العرب والمسلمين وحرمان مجتمعاتهم من الاستفادة منهم ميدانيّا.

هذه المبادئ حظيت بالرعاية في ساحة الإعلام المحمدي الأصيل المتمثل في خط أهل البيت النبوي الشريف الذي لا يزال يمدّ الإنسانية بالقيم والمثل العليا، وبيان السبل الكفيلة لنشر المودة والوئام بين أبناء المجتمع البشري على أساس القاعدة الرسالية الخالدة: " أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق".

ورغم أن أهل بيت النبيﷺ تعرضوا إلى الظلم والأذى بشكل مستمر، ومن جهات عديدة، إلا أنهم كانوا دائما في موقع دفاع ولم يحاولوا أن يستفيدوا من ظرف معين للانتقام ممن آذاهم بالقول والفعل، بل كانوا دائما ينصحون المسلمين عامة وخاصة، ويحذرونهم من قضايا لا يراها غيرهم،ولم يستعملوا الإعلام إلا في خدمة الخير وأهله؛ لكنهم في نفس الوقت كانوا يقفون في وجه الظلم وأهله بكل شجاعة وثبات، ولا يساومون على شيء من قناعاتهم ومتبنياتهم؛ وقد حفظ لهم التاريخ هذه السيرة وجعلهم قبلة لطلاب العزة والإباء، ومدرسة للتضحية والإباء، فبقيت كلماتهم تدوي في مسامع الزمن، تهدم عروش الباطل وتشيد

صروح الحق، وتنير الطريق لكل من ينشد الحقيقة والحياة الكريمة. وعلى خلاف ذلك تماما كان الإعلام المعادي لهم، لا يتردد في استعمال الغش والكذب والدجل للوصول إلى مبتغاه الذي لم يكن يعدو الغرور وعبادة الذات، والتبجح بالجاهلية. والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلاّ نكدا، كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون.

هذا، وكانت الأساليب المعتمدة في زمن النبيﷺ في دعوته مجتمعة في شخصه الكريم قولا وعملا، فكما كان قرآنا يمشي، كان مصدر أمن وراحة واطمئنان لكل من يراه، لا يقول إلا حقا، ولا يتدخل في أمر لا يعنيه، ويخاطب الناس حسب عقولهم، وينوّع في الحديث والخطاب باستعمال القصة مرة، وضرب الأمثال أخرى، والموعظة أحيانا...

هذا التنويع في الخطاب صالح لكل زمان ومكان، إذا صاحبه صدق من مصدر الخطاب ونزاهة وأمانة، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الجانب، وأكد النبيﷺذلك الاهتمام في أمره أتباعه المعاصرين له بمخاطبة الناس بما يفهمون حتى لا يكون في الخطاب مغالطة أو فتنة. وقد بقيت معالم ذلك الخطاب رغم ما تعرض له تاريخ المسلمين من التحريف والتزييف والتزوير.

مرت على المسلمين فترات تراجع فيها الالتزام بالدين، وتطاول فيها التيار الأموي على الشريعة والآداب، واستعمل الإرهاب لتخويف الناس وصرفهم عن التفكير في الثورة على الباطل. لكن الإسلام الأصيل وقف في وجه هذا التيار، وقاوم وصبر إلى أن ولى زمان القهر الأموي، وبقيت معالم الإسلام واضحة نيرة، تجذب إليها كل من كان له قلب أو ألقى

السمع وهو شهيد. وإنما تمّ ذلك بالتضحية والوفاء لرسول الله ﷺ وآله، ومقاومة الإغراءات والتهديدات على حد سواء، والوقوف في وجه محاولات التزوير صغيرها وكبيرها. وقد استعمل الإسلام المحمدي كل ما وسعه استعماله من الأسباب والوسائل للمحافظة على أصالة الدين الحنيف، وإزالة الشوائب والدخائل عنه، فكان التفسير والحديث والخطب والأشعار، وتكوين الأفراد الصالحين والجماعات الصالحة، وتأسيس منهج جديد في نقل المعلومة الصحيحة إلى الأجيال عن طريق الأصوات صادقة اللهجة.

دور المنبر الحسيني

هذا الموضوع تناوله القدماء والمعاصرون، ولولا أنّه كان محميا من طرف أئمّة أهل البيت عليهم السلام لفاتنا كثير ممّا وقع في السّابق، نتيجة سعي التيّار الأمويّ إلى محو آثار الحقيقة واستبدالها بالزيف. فقد دعا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى إحياء أمرهم على جهة الإطلاق، ولم يحصروا ذلك في شيء معين، فكان لكل متعلق بالنبي ﷺ وآله الفرصة في التعبير بطريقته على ما يريد إيصاله إلى الآخرين. وهكذا فشت القصيدة والتمثيل (قبل أن تعرف أوروبا المسرح والسينما) والأشعار الشعبية ذات الصبغة التقليدية[1]، والمقالة الأدبية، والتحليلات و التحقيقات التاريخية. كل هذا دون دعم مادي أو معنوي رسمي، باستثناء نفس كان في عهد البويهيين؛ ولم يحدث في تاريخ البشرية ثبات معارضة واستمرارها بهذا الشكل رغم الهجوم المتكرر من الحاكمين طورا ومن العوام طورا آخر. والذي

١- ما يعبر عنه في عصرنا بالفولكلور .

يطالع بإنصاف تاريخ العترة النبوية الشريفة وما تعرض له الآل وأتباعهم في كل قرن لا يشك لحظة فما فوقها في المدد الغيبي الذي ساير الإسلام المحمدي الأصيل مرحلة مرحلة، ومحطة محطة؛ فقد عمل الموالون لأهل البيت عليهم السلام بوصية أئمتهم السابقة " أحيوا أمرنا " واجتهدوا في بناء مشروع ثقافي طويل النفس بعيد المدى، مواظبين على إحياء قضية النبي والأئمة من أهل بيته عليهم السلام في قالب علمي سهل بسيط، دون محوه وإتلافه خرط القتاد، وتجمعت المقومات والمواصفات في ما يعبر عنه بـ "المجلس الحسيني " أو " المنبر الحسيني " الذي ليس له نظير في ثقافات الأمم. فهو على بساطته سهل ممتنع، يصعب تصنيفه في شكل ثقافي معين، لأنه أوسع من المحاضرة، وأعمق من الدرس، وأبعد أفقا من الحملات التثقيفية والسياسية، وأرسخ من أقوى القوانين المحمية بالحديد بالنار. وعليه لا يمكن تصنيفه إلا في صنف خارج العادة، لم يزل يحارب منذ قرون، ولم يزده هجوم خصومه المتكرّر إلا قوّة ومتانة. هذا المنبر الحسيني حافظ على أصالته رغم كل ما تعرّض له من طرف الاستعمار وحلفاء الاستعمار من خوارج القرون الأخيرة، والمتغربين من أبناء المسلمين الذين انسلخوا من انتمائهم الديني والقومي، ومن كثيرين ممن وقف التيار المحمدي الأصيل دون تحقيق رغباتهم وأهوائهم، وتحصيل منافعهم على حساب الأخلاق والقيم. وليس بدعا أن يقول قائل: " إن الإسلام المحافظ على أصالته هو ذلك المشروع الرباني الذي لا يزال المنبر الحسيني يذب عنه، ممجدا أولياءه، كاشفا عوار أعدائه. وما نراه اليوم من هجوم شرس على جهات

معيّنة من المسلمين دون غيرهم إنّما هو بسبب الانتماء إلى الإسلام المحمدي الأصيل، الذي حارب التطبيع مع العدوّ الحاقد، وسدّ الباب في وجه اليهود من أول يوم، بينما فتح لهم التيار الأموي الأبواب يعيثون في الدين فسادا تحريفا وتزويرا واختلاقا، وتشويها لصور ومقامات الأنبياء وأتباعهم الربانيين.

أهمّ ما في المنبر الحسيني ـ بعد أهمّية المحتوى ـ أنه قابل للتأقلم مع الظروف والأجواء، والأوقات والأزمنة دون مشكلة تذكر، على خلاف نشاطات إعلامية وثقافية تحتاج في أدائها وإجرائها إلى أجواء معيّنة وأشخاص معيّنين. فكما يمكن بثّ المجلس الحسيني على قناة فضائية يشاهدها الناس في مختلف بقاع المعمورة، يمكن إقامة المجلس في زنزانة يقبع داخلها شخصان أو ثلاثة. وبين المتحدّث والمتلقّي استعداد طبيعي لا يؤثّر فيه ضعف الأداء إلا في حدود. والمنبر الحسيني يجدّد القضايا التاريخية كلّ يوم، ويلبسها لباس العصر، ويستشهد بالحاضر على صحّة و فساد ما جرى في الماضي، ولا يغفل عن إضفاء مسحة من النفس الثوري على كل صغيرة وكبيرة، لأن أصل تأسيس المنبر يتمثّل في إحياء الحقيقة حتى لا تندرس، وتجديد روح الوفاء لدى المتلقي، وإقامة الحجة على أهل الباطل.

دراسة وتحليل المنبر الحسيني أمر يستعصي على غير أصحابه، فلا يكفي فيه أن يكون الباحث متضلّعا في الانتروبولوجيا وعلم الاجتماع والتاريخ، لأن هذه العلوم من شأنها أن تتناول سلوكات وتقاليد المجتمعات العائدة إلى مؤثرات محلية، والتي ترتبط بثقافة محلية أيضا؛

أما المنبر الحسيني فإنه يجري في أعماق إفريقيا وأطراف آسيا وقلب أوروبا بشكل واحد، شأنه في ذلك شأن خطبة الجمعة، هذا مع أنه لم ينظر له، ولم يدع إيجاده وإحداثه أحد. كل ما في القضية أن أتباع النبيﷺوآله عملوا بوصية إحياء الأمر ولم يتهاونوا فيها حتى في أحلك الظروف وأشدها ظلما كما في أيام المتوكل العباسي وبعض الحاكمين العرب من بعده. لقد أدركت الطبقة الحاكمة في العراق خطورة المنبر الحسيني على مشاريعها، وحيلولته دون مسخ الهوية، فعمدت إلى منعه والتنكيل بكل من تسول له نفسه محاولة إعادته إلى الساحة، فكان الناس يسافرون إلى الخارج لحضور المجالس الحسينية العلنية، أو يقومون بها في أشد الظروف تكتما وتسترا. وبعد سقوط النظام عاد المنبر الحسيني كأنما لم يغب عن الساحة يوما من الأيام. وقد حاول أناس تحييد المنبر الحسيني وتهوين شأنه واعتباره شيئا تقليديا ثانويا إلا أنهم لم يفلحوا، وذهبت أقوالهم وتفسيراتهم أدراج الرياح، لأن المنبر الحسيني ليس مجرد شعائر تقليدية وجدانية تحفظ كيانات وتقاليد، وإنما هو أبعد من ذلك بكثير، وإلا فما معنى إصرار الأمم والشعوب المختلفة في شرق الأرض وغربها في إحيائه بنفس الطريقة؟! وما معنى التركيز على يوم معين من تاريخ الأمة مع كثرة الأيام وتفاوتها؟ ولماذا ربط الشعائر بالإمام الحسين (ع) دون آبائه مع أنهم قطعا أشرف منه.

يمكن للإعلاميْن، الإعلام الغربي وحليفه العربي الأموي، أن يؤثّرا مؤقّتا على التفكير لدى المسلمين، كما يمكن لهما فصل كثير من النّاس عن ماضيهم وحاضرهم بما يسهّل للقوى الدّخيلة التدخّل في الشؤون كلّها

صغيرها وكبيرها؛ لكن لا يمكن لهما أن يؤثّرا في ثقافة من أسسها المنبر الحسيني، لأنّ هذا المنبر لم ينم يوما من الأيام، ولم يغفل عما يجري سواء جرى بأيدي المسلمين أم بأيدي غيرهم؛ فالوعي الذي يبثّه المنبر الحسيني لا يحتاج إلى ثقافة عالية للتلقي، وإنما يحتاج إلى متابعة واستمرارية،وصيانة للأفكار والرؤى، وتمسك بالأصالة. الوعي الذي ينشره المنبر الحسيني يركز على العنوان لا على المعنون، ويسمي الأمور بأسمائها دون مجاملة، ويضع خدمة الدين الصحيح فوق كل اعتبار، ولو اقتضى الأمر الجود بالنفس. والثقافة التي خطتها وقفة الإمام الحسين(ع) لا تبلى بمرور الزمن، ولا تؤثر فيها الحادثات، لأنها حاضرة في كل لحظة يتطلع فيها الناس إلى حياة كريمة، ومتحدية لكل أصناف العنف والاستكبار.

أقول: إنما ينبغي التركيز على المنبر الحسيني في الإعلام الإسلامي المحمدي الأصيل لأنه مختلف عن غيره، فالجرائد والإذاعات والفضائيات والشبكات الإلكترونية موجودة في كلّ مكان، وتستفيد منها كل الملل، أمّا المنبر الحسيني فينفرد به الإسلام الأصيل، وكلّ تلك الوسائل مجتمعة لا تستطيع النيل منه ولا من أنصاره، وهذا الذي يجري منذ سنين. فقد اتّفقت جهات إعلامية عربية كثيرة مع أجهزة المخابرات الغربية لمحاربة المنبر الحسيني وإخماد صوته، فلم يفلح منهم أحد، بل ازداد المنبر توسّعا وتعمّقا وتأثيرا في النفوس، وإن كان رواده متباينين في المراتب والذوق والهمّة. لأنه لا يصح أن نقول أن كل ما يقال من على المنبر الحسيني صحيح تمام الصحة،أو أن كل خطيب على درجة

عالية من الوعي، إنّما نقول إنّ المتحدث عل المنبر الحسيني لا يمارس الغشّ والدّجل، ولا يزيف ولا يحرّف، وقد يكون هناك قصور أو تقصير في مستواه الثقافي و اطّلاعه وإحاطته بقضايا يتناولها، لكنه في الجملة يؤدي رسالة يقدّسها الإسلام، تندرج في وظيفة الأنبياء وأوصيائهم المتمثّلة في التّبشير والإنذار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولولا الدور الذي قام به المنبر الحسيني ـ إلى جنب بقية الوسائل ـ لكان الإسلام اليوم نسخة غير التي أرادها رسول الله، ولولا ما قدّمه هذا المنبر من التّوعية والتّنبيه لأدرجت خدمة الاستكبار ضمن وظائف المسلم من طرف علماء البلاط ووعّاظ السلاطين. فثقافة المنبر الحسيني لا تضعف أمام الإغراءات، ولا يعتريها خوف أمام التّهديدات، لأنّ مؤسسيها دفعوا ثمن ذلك، وسنّوا لغيرهم طريق العزّة والكرامة.

حينما يعمل العاقل فكره في ما جرى وما يجري منذ زمان في حياة الأمّة الإسلاميّة، يلاحظ أنّه تمّ توظيف الدين لخدمة الحاكم إلى درجة أن أصبح الحاكم نفسه جزءا من الدين، بولائه تتمّ الولاية لله، وبمجانبته يصبح المرء معرّضا لسخط الله، وتمّ توظيف الإعلام بمختلف أشكاله لهذا الغرض، ونجح الحكام في تلبيسهم على كثير من الناس، ودخل ذلك في التراث والثقافة بشكل رسمي، فأصبح لدى المسلمين نسختان اثنتان من الإسلام:

إسلام يمجد الحاكم ويغض النظر عن كل ما يصدر منه، وإسلام يتعامل مع الحاكم عل أساس أنه بشر لا أكثر، يحاسب كما يحاسب غيره، ويطالب بالالتزام والوفاء بما يعد به. وعلى هذا التقسيم جرى التعامل مع

الإعلام. فإعلام النسخة الأولى مقرّب لدى الحكّام، تغدق عليه الأموال، وترفع له الأعلام، ويبوّأ المناصب والمقامات. وأمّا إعلام النّسخة الثّانية ـ الأصيلة ـ فتصدّ في وجهه الأبواب، ويؤذى أصحابه في أنفسهم وذويهم، وقد يصل الأذى إلى حدّ الاغتيال، ويمنع من أداء واجبه تحت مبرّرات وذرائع شتّى..

والنّسختان في مواجهة دائمة، كلّ يعمل عل شاكلته، وإذا كان الإعلام الأمويّ أكثر مالا وعددا، فإنّه لم يجن عبر التّاريخ سوى الفضائح، وأولو الألباب أرفع شأنا من أن يستجيبوا له. أمّا الإعلام المحمّدي الأصيل فإنّه قد تعوّد العمل في الظّروف الصّعبة، ومكابدة ذات الشّوكة، وهو يعرف قيمة التّضحية ولذّة النصر، ولو لم يكن إلاّ راحة الضمير لكفى، فكيف ووراء ذلك الذّكر الحسن، والعمل الصّالح، ورجاء النّجاة، وعلوّ الهمة، وانتظار الفرج.

ألمْ تر كيْف ضرب اللّه مثلًا كلمةً طيّبةً كشجرة طيّبة أصْلها ثابت وفرْعها في السّماء تؤْتي أكلها كلّ حين بإذْن ربّها ويضْرب اللّه الْأمْثال للنّاس لعلّهمْ يتذكّرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتثّتْ منْ فوْق الْأرْض ما لها منْ قرار يثبّت اللّه الّذين آمنوا بالْقوْل الثّابت في الْحياة الدّنْيا وفي الْآخرة ويضلّ اللّه الظّالمين ويفْعل اللّه ما يشاء[1].

لم تزل الدّول والممالك عبر الأزمان تعتمد على الإعلام في تثبيت سلطتها وكسب التّأييد لها، والتّقليل من شأن خصومها وأعدائها؛ ولم ينحصر هذا في أمّة دون أخرى. لكنّ الذي يميّز العرب عن غيرهم هو

١- إبراهيم: ٢٤ - و ٢٥ - و ٢٦ - و ٢٧- .

أنّهم لم يكن لهم قبل الإسلام دولة حضاريّة على غرار الأمم الكبرى مثل الصين والهند والروم وفارس. فلم يكونوا بحاجة إلى إعلام دولة، لكن حبّ العربي للشّهرة والفخر لم يكن دون رغبة الدّول في القوّة والهيمنة؛ لذلك شاعت عندهم أخبار وروايات وأشعار وحكايات حاولوا من خلالها أن يتقمّصوا شيئا من العظمة بالطعم القبلي، فافتخرت قبيلة بحاتم في كرمه وسخائه، وأخرى بعنترة في شجاعته،..وهكذا إلى أن جاء الإسلام بقيمه النبيلة ومبادئه السامية وأهدافه العالية، والتي تبدأ بنبذ كل ما من شأنه التمييز بين البشر وتعالي بعضهم عن بعض، وقد اشتهر عن النبيﷺقوله بخصوص النعرات القبلية: " دعوها فإنها منتنة"[1]،وفتح القرآن الكريم باب التنافس في الخير والمنازل الرفيعة بقول الله تعالى: ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾. فكان ذلك إيذانا باندحار الجاهلية وانبساط سلطة الدين لتربية الإنسان وتزكيته ومرافقته في طريق تكامله الطويل. لكن هل تم انبساط سلطة الإسلام بسهولة؟ أم أن النبيﷺعانى

١– صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ج ٤ ص ١٨٦١ وج٤ص١٨٦٣: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا و صحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ ج ٤ ص ١٩٩٨ : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومسند أبي داود الطيالسي، المتوفى سنة ٢٠٤ –،ج ١ ص ٢٣٧: دار المعرفة – بيروت – والمصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١، ج ٩ ص ٤٦٨: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي و مسند الحميدي، المتوفى سنة ٢١٩ هـج٢ ص ٥١٩: دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي – بيروت ، القاهرة، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ومسند أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ هـ ج ٣ ص ٣٣٨ و ج ٣ ص ٣٨٥ وج٣ص٣٩٢ مؤسسة قرطبة – مصر.

من ذلك كما عانى النبيون من قبله؟ هل وجد النبيﷺ الطريق سهلا لإحلال الإسلام محلّ الفكر القبلي الجاهلي أم أنّه ووجه بعنف وشراسة؟ وإذا كان الأمر قد تمّ بصعوبة ومشقة فهل كان هناك إعلام في مواجهة النبيﷺ أم أن المواجهة كانت خالية منه؟

من الصعب الحديث عن جهاد النبيﷺ دون الحديث عن الفكر القبلي الذي كان سائدا يومها، والذي نزل بخصوصه قرآن يتلى. فالنبي ﷺ بعث في مجتمع همجي عنيف لا يتردد أفراده في دفن بناتهن! وكون النبيﷺ لم يتلوث بشيء من تلك الجاهلية هو في نفسه معجزة، لأن الفرد الذي يعيش في مجتمع ما منذ الولادة ليس في وسعه أن يتميز عنه كما تميز النبيﷺ عن معاصريه في مكة. ومع ذلك فقد وجدت أخبار وروايات تعارض القرآن الكريم وتتضمن أمورا نسبت إلى النبيﷺمن شأنها أن تطرح علامات استفهام كبيرة. والذي يهون من شأنها هو أنّها نتاج الإعلام الأمويّ الذي جنى على مستقبل البشرية بصفة عامة، وعلى المسلمين بشكل خاص. لماذا الإعلام الأموي بالذات؟ وما هي خصائص هذا الإعلام؟

حارب بنو أمية الإسلام منذ اليوم الأول، ولم يترددوا في تهيئة الجيوش والسعي لكسب تأييد القبائل القريبة والبعيد للقضاء على الدين الجديد. وحينما نصر الله تعالى نبيه ويئس الذين كفروا من دينه، لجأ بنو أمية إلى استراتيجية جديدة تتمثل في اعتناق الدين الجديد ظاهرا والتربص إلى أن تحين الفرصة. لكنهم قبل ذلك في حربهم ضد الإسلام كانوا قد مارسوا الدعاية المغرضة والإشاعات والافتراءات، وقالوا القصائد في

هجاء النبيﷺ ومن معه من المسلمين. ومع وجود رسول اللهﷺعلى رأس الدولة الجديدة انقطعت تلك الأساليب إلا أنها بقيت كامنة. وبقيت كامنة إلى أن استولى الأمويون على الحكم علانية بعد شهادة الإمام عليعليه السلام. وهنا عادت الأساليب القديمة التي كانت تمارس ضد النبيﷺ لكنها هذه المرة بشكل لم يسبق له مثيل، خصوصا إذا علمت العلاقة المتينة بين البيت السفياني ومملكة الرّوم، فقد استفاد معاوية طيلة وجوده في دمشق أيام إمارته من حلفاء أبيه وتعلم منهم كيفية التأسيس للحكم العائلي، ووسائل تثبيت هذا الحكم التي من ضمنها الإعلام، وهو أقواها وأطولها عمرا.

لقد كان معاوية على نهج أبيه يحنّ إلى الجاهلية، ولا يتردّد في الإقدام على كل ما من شأنه تحريف المسار الجديد، وكان يرى أن بني هاشم سلبوه وقبيلته عزة ومنعة إذ انفردوا بنبوة خاتمة لا سبيل إلى التنافس للحصول على مثلها؛ ولم يكن في وسعه أن يتهجم على النبيﷺ علانية والمآذن تهتف باسمه مرات كل يوم. وبما أن النبي ﷺ قال: "من سب عليا فقد سبني" فإنه لا يصعب على معاوية مع وجود مستشارين من أهل الكتاب أن يمارس السب دون التصريح، ولذلك كتب إلى الأمصار يأمر أئمّة المساجد ومعلّمي الصبيان بسبّ وشتم ولعن الإمام عليﷺ، وإنّما كان يفعل ذلك ليبعد ويهمّش من اصطفاهم الله تعالى ليكونوا قدوة للنّاس ويحلّ محلّهم أناسا من بني أميّة وغيرهم من قبائل قريش، وبذلك يجمع بين السّلطتين الماديّة والمعنويّة. ولم تمض مدّة طويلة حتى أصبح الشاعر يقول في بني أمية:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟!

وبذل بنو أمية أمولا طائلة للشعراء علّهم ينسجون صورة مشرّفة لهم تتعرف عليها الأجيال، وراحت إلى العطّار تبغي جمالها، ولم تنفع تلك الأموال، ولم تبق تلك القصائد إلا طيّ الكتب، عليها آثار التملق والكذب.

لقد كان الإعلام عند معاوية ومن جاء بعده من بني أمية وسيلة تحقّق هدفين في وقت واحد. فهو من جهة يشوّه بني هاشم ورثة النبيﷺ، وينسب إليهم ما يهوّنهم في أعين الناس، ومن جهة أخرى يعظّم شأن بني أميّة ويبرّئهم شيئا فشيئا ممّا جنته أيديهم على رسول اللهﷺ ومن كان معه من أهل بيته وأصحابه. واستمرّ هذا الفعل تسعين سنة، وهو ما يعني أكثر من جيل. ويمكن تلخيص أساليب بني أميّة في إعلامهم ضدّ الإسلام ورسول الإسلام في ما يلي:

- إصدار الأمر الرسمي بسب الإمام علي على كافة منابر دولة المسلمين الممتدة يومها من أقصى المغرب إلى عدن وأجزاء من قارة آسيا. قال ابن أبي الحديد:

في قوله عليه السلام: يأمركم بسبّي والبراءة منّي، فنقول: إنّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ عليّ عليه السلام والبراءة منه. وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنّة في أيّام بن أميّة إلى أن قام عمر بن عبد العزيز (رض) فأزاله. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أنّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً.

وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز[1]. والمقصود بسب الإمام عليّ ﷺ في الواقع هو سبّ النبي ﷺ. وقد ورد ذلك في كلام محمد بن الحنفية رحمه الله فقد نقل ابن أبي الحديد أنه قال : إنّه والله ما يشتم علياً إلا كافراً يسرّ شتم رسول الله ﷺ ويخاف أن يبوح به، فيكني بشتم علي عليه السلام عنه[2].

- نقل عاصمة الخلافة من المدينة المنورة حيث الصحابة والتابعون إلى دمشق التي لم ير أهلها رسول الله ﷺ ولا سمعوا منه، ولم يعرفوا الإسلام إلا عن طريق البيت السفياني.
- الحرص على إبقاء أهل الشام على قطيعة مع ديار الوحي حتى لا يتأثر المشروع الأموي بمعارضة فكرية.
- إحياء النعرة القبلية بما يضمن التنافس بين القبائل وضرب بعضها ببعض وهو ما عبر عنه فيما بعد بـــ " فرّق تسد".
- تقديم الشعراء على الفقهاء والقراء، وتشجيعهم على قول الشعر الذي يتعارض مع كثير من وصايا النبي ﷺ، كما هو الحال في نقائض جرير والفرزدق والأخطل.
- التشجيع على هجاء الأنصار الذين مدحهم القرآن الكريم.

١- شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ -، ج ٤ ص ٣٣: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.

-٢ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ-، ج ٤ ص ٣٧، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.

■ الإشراف على وضع الأحاديث التي تصب في مصلحة بني أمية وحلفائهم وتحط من شأن خصومهم.

■ التشجيع على وضع أحاديث من شأنها القدح في شخص رسول الله ﷺ .

■ رعاية من يحفظون الأشعار التي هجي بها النبيﷺ وتقديمهم في المجالس والمناسبات مثل خالد بن سلمة الفأفاء وغيره..

■ التشجيع على تفسير القرآن الكريم وذكر أسباب النزول من طريق صحابة يبغضون الإمام عليّا عليه السلام . قال ابن أبي الحديد:

وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي – رحمه الله تعالى – وكان من المتحقّقين بموالاة علي عليه السلام، والمبالغين في تفضيله ؛ وإن كان القول بالتّفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة، إلاّ أنّ أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولاً، وأخلصهم فيه اعتقاداً – أنّ معاوية وضع قوماً من الصّحابة وقوماً من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه ؛ وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ؛ فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين عروة بن الزبير[١].

■ الإشراف على وضع أحاديث في فضل الخلفاء باستثناء الإمام علي عليه السلام .

-١ شرح نهج البلاغة،: ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ ج ٤ ص ٣٧ : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري

- إرسال القصاص إلى مختلف البلدان الإسلامية ينشرون الإسرائيليات والخرافات، ويعظمون شأن بني أمية.
- ممارسة الرقابة والحظر لمنع المسلمين من رواية فضائل أهل البيت عليهم السلام .
- تتبع الرواة من شيعة أهل البيت عليهم السلام صحابة وتابعين لإبادتهم حتى لا تصل الأخبار الصحيحة إلى الأجيال.
- التضييق على أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد اغتيال الأئمة الثلاثة(الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين) عليهم السلام للحيلولة دون الاستفادة من علومهم.
- التخلص من بقية الصحابة أهل المدينة الذين شهدوا نزول القرآن وحفظوه على ظهر قلب، وذلك في واقعة الحرة المشهورة.

بعد نصف قرن من رحيل النبي ﷺ ظهرت ثمار المشروع الأموي في ثقافة ضعيفة وذوق سمج، وتهافت على الدنيا وانصراف عن الدين، وعقائد منحرفة، وعداوة صريحة لأهل بيت النبوة، وتقديس للطلقاء وأشباه الطلقاء. كان البيت الأموي يغدق الأموال على أعداء أهل البيت عليهم السلام يبوئهم المناصب ويقلّدهم المراتب العلميّة والسلطويّة، إلى درجة أنّ عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري احتكرا الرواية عن النبي ﷺ في حضور صحابة طالت أعمارهم. يضاف إلى ذلك روافد أهل الكتاب التي كانت تصبّ في تراث المسلمين ليل نهار، وتوسّع دائرة الغموض والإبهام في ثقافة يفترض فيها الوضوح والبيان.

من بين آثار وتداعيات الإعلام الأموي تنامي تيار النصب وما انبثق عنه من عنف وكراهية بين المسلمين. والنصب هو المجاهرة ببغض أهل بيت النبي ﷺ الذين ورد وجوب مودتهم في القرآن الكريم في الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة

في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور﴾[1].

وبذلك حصلت قطيعة بين المسلمين ونبيهم، وحرموا من سنته الشريفة على الوجه الصحيح، ودخلوا فيما بعد في نزاعات فقهية وأخرى روائية وتفسيرية أدت إلى التكفير والتفسيق وضياع حرمة المسلم التي أوجبها الشرع.

ومن بين الآثار والتداعيات التي أحدثها الإعلام الأموي:

- تأخّر تدوين التراث وهو ما سمح بامتزاجه بكثير من الخرافات التي لم يكن يعرف منها شيء على عهد النبيﷺوأصحابه.
- نشوء عقائد متضاربة فرقت المسلمين إلى درجة استباحة دم المخالف وإنزاله دون أهل الذمة من اليهود والنصارى، وجرأت الناس على ارتكاب المحرمات اعتمادا على ما توحي به عقائد الإرجاء.
- تقاعس المسلمين وقعودهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأثّرا بعقائد الجبر والقدريّة، واكتفاؤهم بمظاهر الدين الشّكلية الخالية من الولاء لله تعالى والبراءة من أعدائه..
- استبدال السنة النبوية الصحيحة بسنة أمويّة جاهلية.
- تنامي الحس القبلي الذي حذر منه النبيﷺ، وشيوع التباغض والتباعد بين أبناء قبائل المسلمين.
- ظهور فقه سلطوي يمنح البيت الأموي المتسلط حق التدخل في كلّ شيء والتعامل مع الرعية تعامل السيد مع الموالي، وهو ما كان النبيﷺقد أشار إليه في الحديث المشهور: " إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعبيده خولا ودينه دغلا.

١- الشورى:٢٣ .

وفي الجملة حصل تحوّل جذري في المجتمع نتيجة الجهد الأموي بعد يأس قريش من القضاء على الإسلام، فصار تحريف المسار بديلا للاستئصال، وغدا الناس أمويين في عقائدهم وفقههم وأفكارهم، وتعطل المشروع النبوي الهادف إلى نشر الإسلام سلبيا في ربوع الأرض، والتأسيس لعلاقات طيبة راسخة بين الشعوب، وكان لذلك أثره البالغ بعد قرون طويلة حين طرد المسلمون من الأندلس، وتعرض المسلمون (البوسنة والهرسك)فيما بعد في أوروبا إلى الإبادة الجماعية،.. ولازال المسلمون إلى يومنا يعانون الاستفزاز والإساءة والأذى، لأن سيرة بني أمية كانت أسست لبغضاء طويلة المدى..

بين الإعلام الأموي الوهابي وبين الإعلام الأمريكي(الصهيوني) سنخية تامة، يمكن بمقتضاها اعتبار الإعلام الأمريكي امتدادا للإعلام الأموي فيما يخص محاربة الإسلام. وأهم ما في المسألة أن الإعلام ـ الموجه ـ يسعى إلى التصرف في تفكير المواطن أيا كانت منزلته الاجتماعية لجعله يعترف بالولاء التام للسلطة وقبول كل ما يأتي من طرفها، وفتح أبواب التأويل والتبرير والتوجيه أمام كل حادثة. وهذا ما يدعو المواطن في نهاية الأمر إلى التسليم للدولة وترك الاعتراض حتى فيما يتعلق بالأمور الأساسية في الدين. وقد وصل الأمر بالمنظرين إلى المطالبة بترك تدريس وتفسير آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى الجهاد دفاعا عن النفس، وتلك التي تفضح بني إسرائيل وأدوارهم التخريبية عبر التاريخ. فكما عمل الإعلام الأموي على إنتاج النسخة الأموية للإسلام، يعمل الإعلام الأمريكي اليوم على نتاج وتكثير نسخ الإسلام الأمريكي

وتوزيعها في كافة أقطار الأرض. وكما عمل الإعلام الأموي عل تشويه صورة النبيﷺوأهل بيته الطاهرين، يعمل الإعلام الأمريكي اليوم على تشويه كل ما هو مرتبط بالإسلام المحمدي الأصيل. والواقع يوقفنا على صحة ما يطرح. فالإعلام الأموي لم يدخر جهدا في استعمال القوة لمنع ظهور الحقيقة ومرورها إلى الأجيال، وعلى نفس المنوال ينسج الإعلام الأمريكي في الرقابة والحضر واختلاق قوانين تمنع المساس بساحة الصهيونية العالمية ولو بالإشارة. وكما كان الإعلام الأموي يحرض على التنكيل بمن وفى لرسول اللهﷺمن الصحابة والتابعين يمارس الإعلام الأمريكي الصهيوني التحريض على الدعاة والعلماء، لا يفرق في ذلك بين علماء الدين وعلماء العلوم الدقيقة ما داموا ينتمون إلى الإسلام الأصيل ويحذرون من الإسلام الأمريكي.

لقد تمّ إحياء معاوية وإعادته إلى السّاحة في شخص محمّد بن عبد الوهاب الذي أعاد ثقافة الكراهية في ثوب مذهب عقدي يدّعي أنّه يحتكر التّوحيد الصّحيح، وأنّ من سواه مشركون! ولأنّ هذا التيّار الجديد لا يستطيع الثّبات بدون دعم مادّي وسياسي فقد تمّ اختلاق مملكة عربية قبلية (أموية) تحميه وتحمي مصالح المؤسسين والمنظرين، وبعد مرور أكثر من قرن تمّ تدجين المثقّفين المسلمين والعبث بمقوّمات الثّقافة الإسلامية ذات البعد الإصلاحي الواسع، وحصر الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في النّهي عن زيارة القبور والتّحذير من الاعتقاد بالشّفاعة والتبرّك والتوسّل، لصرف الأذهان والأفكار عن ملاحظة استنزاف الموارد والثروات الطبيعية التي حظي بها المسلمون. وهكذا

أصبح المسلمون يكدحون ليل نهار لإسعاد أمم خلف البحار، وسيف الدولة الدينيّة يهدّد كل من تسوّل له نفسه أن يقول كلمة حقّ. وكما همّش الحكم الأموي شريحة هامّة من المجتمع بسبب ولائها للنبيﷺوآله تمّ تهميش شريحة مطابقة لها في عصرنا وللسّبب نفسه. وكما مارس معاوية ومن بعده سياسة التجويع ضد الأنصار تمارس اليوم نفس السياسة ضد قسم كبير من أبناء المجتمع وكما تم اغتيال المعارضين أمثال حجر بن عدي وعمر بن الحمق ومالك الأشتر...تم اغتيال أشباههم في هذا العصر. وعلى نفس الطريقة التي قتل بها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وأهل المدينة في واقعة الحرة تم قتل الحجاج في الشهر الحرام في البلد الحرام عند البيت الحرام. وكما حاول الإعلام الأموي تبرير تلك الجرائم حاول الإعلام الأمريكي الصهيوني تبرير هذه الجرائم. وكما استغل الإعلام الأموي أبواقا للتحريف والتزييف والتحريض يستغل الإعلام الصهيوني اليوم علماء البلاط ووعاظ السلاطين إلى درجة أنهم أفتوا بحرمة الدعاء للمقاومة الإسلامية الشريفة في حربها ضد بقايا بن قريظة وبني قينقاع وبني النضير. ويدعم هذه الجهود كلها عائدة النفط التي يفترض أن تكون في خدمة الإسلام والمسلمين.

وبناء على ما سبق يتحمل الإعلام الأموي المسؤولية التاريخية في كثير مما وقع للمسلمين عبر العصور، لأنه كان وراء كثير من التحريفات والتزييفات التي استعصت على الباحثين والمحققين فيما بعد، وصارت حاجزا يمنع المصلحين من إتمام واجبهم الإلهي على الوجه الذي

يرتضون، وذلك لما ترسخ في كثير من النفوس من العناد والفجاج بمقتضى ما أفرزته ثقافة كان الإعلام الأموي أقوى مقوماتها ودعاماتها. وخير دليل عل ذلك ما يتعرض له المتنورون من المثقفين الذين يدعون إلى إعادة النظر في الموروث وغربلته وتمحيصه لتخليصه مما اكتنفه من الشبهات والتضاربات والتناقضات، فإنهم يصنفون في الكفر والفسق والمروق من الدين، هذا مع أن الإسلام جعل تفكر ساعة خير من عبادة سنين. ومن السذاجة اعتبار ما قام به الإعلام الأموي في الماضي وما يقوم به أتباعه في الحاضر مجرد أخطاء ناتجة عن جهل أو قلة خبرة، فإنه يتضمن أهدافا مبيتة بعيدة المدى صمدت لقرون طويلة ولا زالت صامدة.

يبقى في ذمة الباحثين والمحققين أن ينكبوا على التراث الإسلامي العتيق بالمنظار الدقيق لاستخراج الأسباب الدفينة التي مزقت المسلمين ولا زالت تمزقهم وتسهل لعدوهم ضربهم من الداخل قبل الخارج. ومثل هذا العمل لا يتأتى دون التجرد من الانتماءات المذهبية والعرقية والتقاليد التي عادت ما تواجه التقدم باسم الأصالة. وما من شك في أن الإعلام الأموي قد قام بما عجز عن القيام به أعداء المسلمين من يهود ونصارى وغيرهم، فإن المسلمين تخلصوا من تبعات الاستعمار بعد خروجه من بلدانهم، لكنهم لم يتخلصوا من ثار وتبعات الإعلام الأموي الذي عاث فر التراث فسادا ولم يبق زاوية لم يلق سمومه فيها؛ فعقائد المسلمين وفقههم وتفاسيرهم وأدبهم كلها تحتوي على توابله التي تعمل عملها في الخفاء.

تراثنا

إذا بحث المرء في تراث المسلمين بوعي وموضوعية ونزاهة فإنّه لا يبعد أن يصدم في لحظة ما، لأنّه يكتشف أنّ التّحريف والتّزييف والتّزوير والتّصحيف المتعمّد والحذف والإضافة أمور قائمة، كأنّما تسالم عليها المشرفون على التّراث. والمفروض أن يكون التّراث الإسلامي أفضل وأنقى وأرقى تراث على الإطلاق، لأنّه تراث أشرف رسالة، وأشرف نبي، وأشرف قبلة، وأشرف كتاب منزل، وأشرف شريعة، وبناء على هذا كلّه، من الطبيعي أن يكون أشرف تراث. لكن، ومع بالغ الأسف، ما تعرض له هذا التّراث يذكّرنا بالحديث النّبوي الشّريف الذي يشير مضمونه إلى اتّباع الأمم السّالفة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ النبيﷺقال لتتّبعنّ سنن من قبْلكمْ شبْرا بشبْر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحْر ضبّ لسلكْتموه قلْنا يا رسول اللّه الْيهود والنّصارى قال فمن[1]؟

ومعنى هذا أنّ هذه الأمّة أيضا ستحرّف وتزيّف وتزوّر.

١- صحيح البخاري، ج ٣ ص ٣٢٦٩ ومسند أحمد بن حنبل، ٢٤١، ج ٢ ص٣٢٧ و ج٢ص٥١١ وج٢ص٥٢٧. ومسند البزار، ج١٥ص١١٤، وج١٥ص١٧٤، و مسند أبي يعلى ج ١١ص ١٨٢ و السنة للمروزي، ج ١، ص١٩ والمستدرك على الصحيحين ج ١ ص ٩٣ و اعتقاد أهل السنة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ج ١ ص ١٢٥ و التمهيد لابن عبد البر، ج ٥ص ٤٥ و السنة لابن أبي عاصم ج ١ ص ٣٧ و صحيح ابن حبان، ج١٥ ص ٩٥ .

ما الذي يدفع الإنسان إلى التّحريف والتّزوير؟

إذا كان الإنسان قد أسلم وجهه وقلبه لله عز وجل، وهو يعلم أنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنّ كلّ عاقل مكلّف عن يمينه ملك وعن يساره ملك، بل أكثر من ذلك يعلم الإنسان أنّ جوارحه سوف تشهد عليه يوم القيامة، وهذا ما لا يشكّ فيه موحد،﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتّمْ عليْنا قالواْ أنطقنا اللّه الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكمْ أوّل مرّة وإليْه ترْجعون﴾[1].فلماذا يزوّر؟

وحينما يخلو الإنسان بمصدر من المصادر وهو مؤتمن عليه، ثم يدسّ فيه ما ليس منه، هل يمكن لنا أن نشهد له بالإيمان الصحيح؟ هل نستطيع أن نشهد لهذا الإنسان في هذه الحال أنّ لديه حياء من الله تعالى وأنّه يراعي حرمته؟

مثل هذا لا يبالي أصلا بالدّين؛ إذ رعاية حرمة المولى سبحانه وتعالى إنّما تتجلى في الخلوات. فالإنسان حينما يكون أمام الناس يحاول دائما أن يظهر في أفضل أحوال، بأحسن مظهر، لذلك ينظّف لباسه ويعتني بهندامه، ويحاول أن يغطّي كل عيب لديه. ولذلك لن يزوّر ولن يحرّف علانية أمام الناس. لكن إذا كان في خلوة، وكان في التّحريف نفع له، ومع ذلك راعى حرمة مولاه وغلب نفسه وهواه، وامتنع من التّحريف، فهذا صاحب دين، ودينه هو الذي حال بينه وبين التّحريف. وأمّا عديم الدّين أو ناقص الدّين فإنّه حينما يخلو بعيدا عن النّاس يجتمع بشياطينه.﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾.

١- فصلت : ٢١

إذا كان سلوك المرء مع النّاس هو نفس سلوكه بعيدا عن الناس، فهو إنسان صادق في تديّنه، ويبقى إيمانه يشتدّ أو يضعف طبقا لما تقتضيه أعماله. وأمّا إذا كان سلوكه في الخلوات أفضل من سلوكه مع النّاس فهو راسخ في الإيمان، لأنّه لا يحاول أمام النّاس أن يظهر بمظهر لا يملكه حين يفارقهم، بل يدّخر أفضل أحواله لتزكية نفسه وحملها على ما يرضي مولاها. ومعنى هذا أنّه لا يعمل للنّاس ولا يدخلهم في حساباته، وإنّما يعمل لله تعالى . فالإنسان نفسه لديه الميزان الذي يحكم به على السّلوكين حينما يصبح لديه سيرتان،، سيرة أمام النّاس وسيرة بعيدا عن النّاس ؛ هذا ولو ألقى معاذيره.. وأما الصنف الثالث فهو ذلك العبد الذي يملك سلوكا أمام النّاس ولا يملك من الفضائل شيئا إذا ابتعد عنهم وخلا بنفسه. حينما يكون أمام الناس يكون لديه حماس لإتيان الطاعات والعبادات والكلام الطيب، حتى إذا ابتعد عن الناس لم يعد هناك ما يربطه بالدين. وتراث المسلمين مع بالغ الأسف أشرف عليه أناس من الصنف الثالث. لقد فاجأتني أمور كثيرة وجدتها في كتاب " الغدير "للأميني رحمه الله تعالى، والرجل بذل جهدا كبيرا لإخراج الكتاب، وكان كثير السّفر لأنّه كان يعتمد على النّسخ الأصليّة والمخطوطات، وكان يتلقّى بسبب ذلك العناء والعنت، ومرض وتنقّل بين المستشفيات، وبحمد الله لم يضع من جهده شيء، فقد بارك له الله في جهده العلميّ وذريّته، ورفع ذكره بين الموالين، ولن تجد من أتباع أهل البيت المتدينين المنصفين من لا يعرف حرمة الأميني رحمه الله.

تحمّل الأميني الكثير، ولنا أن نتخيّل ألمه حينما يطابق بين المخطوطات والنّسخ المطبوعة ثمّ يفاجأ بتحريفات تكاد تصرخ في وجه القارئ.

على أي دين هو هذا الذي يحرّف نسخا عمرها اثنا عشر قرنا ليكذب على النّاس؟! وكأنّه ليس لهذا الكون خالق يعلم الطيّب من الخبيث، والسّليم من السّقيم، والحقّ من الباطل.

تمتدّ تلك الأيدي في خفاء لتضيف كلمة أو تحذف كلمة..

هل يصحّ لنا في ديننا أن نعتمد على أناس لا يخشون الله تعالى في التّراث؟ هل يمكن لنا أن نثق فيهم؟!

هناك اليوم نسخ كثيرة من مخطوطات المسلمين بأيدي غير المسلمين في متاحف بريطانيّة وهولنديّة وألمانيّة، ولا يبعد أن يكون وجودها هناك رحمة من الله تعالى بهذه الأمّة حتى لا يفسد التّراث كلّه مرّة واحدة. كأنّما وظّفهم الله تعالى للحفاظ على تراث المسلمين لأنّ المسلمين لم يعودوا أهلا للأمانة! ومعنى هذا أنّ المخطوطات الموجودة في وسوريا ولبنان و مصر وغيرها يمكن أن يعتريها التّحريف والتزوير، وأما الموجودة في ألمانيا وهولندا فإنّه يصعب تزويرها. لأنّ أولئك الناس على كفرهم يعرفون قيمة التّراث البشري ويتنافسون في اقتنائه، ولديهم وسائل وطرق للحفاظ عليه، فهم لا يريدون أن يحذف منه أو يضاف إليه شيء. ولديهم قوانين صارمة تقضي بمحاكمة من يقدم على إتلافه، بينما ترى الذين يعتقدون أنهم فرداً فرداً وقبيلة قبيلة خير أمة أخرجت للناس لا يصلحون للأمانة، ويؤسفني أن اشهد على مسلم أنّه دون الكافر في مسألة الأمانة، وأيّ أمانة؟ الأمانة العلميّة. والمفروض أنّ

الكافر لا يداني المسلم في شيء من عالم القيم والمثل.، وعلى وجه الخصوص في مسألة الأمانة. وحديث النبي في هذا الباب صريح واضح: من لا أمانة له لا دين له[1]، ومن علامات المنافق أنه إذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر.

التراث الموجود في بلاد المسلمين لم يسلم من التحريف والتزوير، وذلك لدواع اقتضاها السلوك البشري، وهذا يكاد يكون عند العرب أكثر منه عند بقية الناس، لأن العرب ولعوا بالفخر في الجاهلية، وحافظوا عليه بعد الإسلام، واهتم الأمويون والعباسيون بذلك فراجت سوق المدح، وتنافس الشعراء والغاوون في الكذب على الله ورسوله وعلى المؤمنين. وولع أقوام بمدح السلف، فاختلقوا أحاديث يوهمون بها أن خير القرون هم الذين عاصروا النبي، والحال أن القرآن الكريم يشهد عليهم أنهم تركوا رسول الله يوم الجمعة يخطب وانفضوا إلى التجارة واللهو. ولولا أن الله تعالى ذكر ذلك في كتابه الكريم لما تجرأ أحد على ذكر الواقعة أو نقلها.

لقد حاولوا تغيير الحقائق وتبديلها بأمانيهم، ليجعلوا الجبان شجاعا، والبخيل سخيا جوادا، والغليظ رحيما، وهكذا.. لماذا؟!

١- مصنف عبد الرزاق ج ١١ص ١٥٧ والجامع لمعمر بن راشد الأزدي، ج ١١، ص ١٥٧ و مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص١٥٩ و١٦٠ و١٦٨ ومسند إسحاق بن راهويه ج ١ص ٣٨٢ و مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٣٥ و١٥٤ و٢١٠ و٢٥١ و مسند أبي يعلى ج ٤ ص ٣٤٣و ج ٥ ص ٢٤٧ و مسند أبي يعلى ج ٦ ص ١٦٤ و صحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٥١ وصحيح ابن حبان ج ١ ص ٤٢٢ و المعجم الأوسط للطبراني، ج ٢ ص ٣٨٣ و ج ٢ ص ٣٨٣ و المعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ١٩٥ وج ٨ ص ٢٤٧ و..

لأنهم لا يريدون أن يطلع الناس على حقيقة الجيل الأول، إذ لو اطلعوا على ذلك لتغيرت أمور كثيرة، ولحل الشك محل التسليم في أمور وأمور..

هي في الحقيقة والواقع قضايا حدثت منذ أربعة عشر قرنا، علينا أن نستفيد منها ونأخذ الدروس والعبر، وليس بيدنا ولا في وسعنا أن نحاسب شخصا أو قبيلة، أو دولة أو أمة. ليس بيدنا شيء، وكلنا عبيد مربوبون. والإسلام آخر شريعة وآخر كتاب وخطاب سماوي إلى أهل الأرض. فيما سبق كان الأنبياء والرسل يأتون لتصحيح ما قام به الدجالون من التحريف والتزييف، أما بعد نبينا فليس هناك نبي آخر. والتحريف بعده ظلم وجور. والمحرّفون يجعلون الحق باطلا والباطل حقا، وحينما تختلط الأمور في المخطوطات والنسخ الأصلية يصعب على الناس معرفة الحقيقة، ويستولى الشك على الأذهان والعقول. وكثير من الناس ليس لديهم ذلك التمسك بالأشخاص والقبائل والمذاهب والتجمعات، لأنهم يبحثون عن الحقيقة التي تريح ضمائرهم، فهم ينشدون الاطمئنان هنا في الدنيا كما ينشدون الاطمئنان عل مصائرهم في الآخرة.

ما الذي يهمني من الاختلاف بين رجلين من قريش؟! الذي يهمّني هو معرفة المحقّ من المبطل، ومن أصاب ممّن أخطأ، لأنني إذا عرفت من هو على الحقّ واتّبعته فإنّ حياتي ستكون عل الحقّ. أما إذا اكتشفت من هو على الباطل ومع ذلك اخترت الاقتداء به فلا شكّ أنّ حياتي ستكون معيشة ضنكا، وسأتحمّل التّبعات لأنني مسؤول عن اختياري.

حينما نكذب على الأجيال، ونضفي على المبطل صبغة الحق، ونقدم المحقّ في لباس المبطل نكون مسؤولين عن الاختلاف الذي يحدث

نتيجة ذلك، وعما عنه من الفوضى والاضطراب. ولا يمكن لأناس تراثهم مليء بالاختلاف والاختلال والاضطراب أن يكونوا في مأمن من التشتّت والتّشرذم والتّباين الشديد في سلوكهم ومعاملاتهم. هذا الإسلام هو دين الحق، والله سبحانه وتعالى جعل من أسمائه أنه الحق﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾[1] . وطلب الحقّ أمر مشرّف عند الله سبحانه وتعالى، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، كونوا مع أهل الصدق، كونوا مع أهل الحقّ المتمسكين به. والمشكلة في التعلّق بالحقّ والتمسّك به تكمن في أنّه ليس فيه محاباة، إذ يمكن أن يكون قول الحق والشهادة به في لحظة من حياة الإنسان موجبا لزوال كلّ ما لديه من امتيازات، وهذا امتحان إلهيّ صعب. إما أن يقول الإنسان الحقّ ويفقد أكثر حظوظه وامتيازاته أو كلّها، وإما أن يكتم الحقّ ويحصل على ما يريد من المتاع الفاني! هنا يمتاز صفاء النفوس من كدرها، فالنّفوس الصافية لا تهتمّ بالعواقب والتبعات طالما كانت ترضي المولى سبحانه وتعالى، وهي تعلم أنّ راحة الضمير لا يعدلها شيء، وأن عند الله خزائن السماوات والأرض، ولا يضيّع الله تعالى إنسانا متمسّكا بالحقّ لوجه الحقّ، ويكفي أن ّالله تعالى يجعل كنز المؤمن في قلبه؛ فبينما يركض آخرون في طلب الثروة والجاه والمنصب، ويستعملون وسائل بغيضة مقيتة، يكون هو مرتاح الضمير خالي البال، في قلبه شيء اسمه القناعة! لا يطمع في أحد، ولا يكذب على أحد، ولا يكيد لأحد، ولا يمكر

١- الحج : ٦

بأحد، يعيش منسجما مع معتقده، إذا أقبلت الدنيا لم يفرح بها فرحا يخرجه عن التوازن، وإذا أدبرت عنه لم يحزن حزن الخاسرين. ومجرد التفكير في الحصول على شيء بطريق غير شرعي يؤثر سلبا في النفوس الشريفة، وإن كانت غير محاسبة عليه ما دام لم يتحول من فكرة إلى عمل. لأن التفكير في ذلك يكشف عن استعداد على كل حال، وطالما ذلك الاستعداد موجود ولو نظريا فدين المرء في خطر. ولا تنال ولاية الله سبحانه وتعالى من طرف قلب ينطوي على المكر والغش والكذب وغير ذلك من سلعة إبليس. فولاية الله تعالى ليست مرتبطة بالعبادات الظاهرية والأخلاق فقط، وإنما هي مرتبطة أساسا بالعبادات الباطنية التي غفل عنها تراثنا، وما أكثر الناس الذين يصلون الفرائض والنوافل ويحرصون على المستحبات ولكنهم لا يعرفون الجود والكرم والمروءة وكرامة غيرهم. وفي نفس المعنى هناك أناس لا يكادون يذكرون في العبادات الظاهرية، لكنهم إذا جد لجد كانوا رموزا للفداء والتضحية والعزة والإباء، ونصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم...فكما أن كثرة العبادة عند إبليس لم تحارب فيه صفة الكبر، كذلك في الإنسان عيوب لا يمكن مجاهدتها بالعبادة الشكلية. والنفوس التي لم تطهر تمارس الغش حتى في العبادة، وأما النفوس النقية المتعلقة بالعالم العلوي فهي في عبادة دائمة، لأنها تطلب رضا الله سبحانه وتعالى في كل شيء، ووجود النية الصالحة في كل شيء يصبغ العمر بلون العبادة.

لماذا يغدو الكفار أحرص على الأمانة في النقل منا نحن المسلمين؟!

لماذا نخرب بيوتنا بأيدينا؟ لماذا نحرّف التراث؟

أيها المحرّف؛ إذا كنت تحبّ الخليفة فلانا أو الزعيم فلانا فهذا من حقّك، أحببه قدر ما شئت فإنّه لا أحد يستطيع منعك من ذلك؛ صلّ عليه كل يوم آلاف الصلوات، واكتب اسمه بالذّهب وعلّق ذلك في مكان مناسب في بيتك، سمّ أولادك باسمه تبرّكا وتيمّنا، لكن لا تحرّف التّراث، ولا تمدد يدك إلى النّقل، لأنّ ذلك ملك لكلّ المسلمين، ليس حكرا عليك ولا على جماعتك ولا على مذهبك، ولا على حزبك الذي تنتمي إليه. المساس بالتراث خيانة عظيمة. وكلّ واحد من الذين أخفيت عنهم الحقيقة حين مددت يدك لتحريف التراث سيطالبك يوم القيامة بحقّه في المعرفة ويخبرك أنّك اعتديت عليه ومنعته من معرفة الحقيقة، ومارست التّحريف والتّزييف في حقّه، وحلت بينه وبين معرفة الحق! ويومها لن تستطيع أداء حق كل أولئك المطالبين. هذا إن كنت تؤمن فعلا بيوم القيامة، لأن الإيمان بيوم القيامة ينافي التحريف.

لا أحد يمنعك من تعظيم الخلفاء أو أزواج النبيﷺأو الرياضيين أو الزعماء..لكن لا تمدد يدك إلى التّراث، فإنه ليس ملكا لك ولا للحاكم الذي تمجّده. التراث الإسلامي تابع للشريعة الإسلامية ودين الإسلام، ودين الإسلام دين البشرية كلها، لأن النبيﷺبعث إلى البشرية كلها.

يورد الأميني رحمه الله تعالى تفاصيل وهو يتناول الأحاديث والأخبار التي زوّرت، ويكشف ما يجعل الدنيا برحبها وفسيحها تضيق في عين القارئ حاضر القلب والوجدان، لأنه ليس من السهل الاطلاع على دور المطبعة الفلانية وهي تمدّ يدها إلى الحديث الفلاني لتحذف منه الجملة الفلانية، أو ضياع الورقة الفلانية من المخطوطة الفلانية. والعاقل يعلم أن هذا ينتج عن عمل دؤوب، لا من باب ما يسميه الناس عادة " الصدفة ".

هناك تيار وظيفته التحريف، ونحن لا ندري على وجه الدقة والتحديد إن كان التيار صهيونيا أو مسلما، لكننا نعلم على جهة القطع أن هذا العمل يصبّ في مصلحة الصهيونية، وهو لا ينفع المسلمين في شيء. طالما بقي المسلمون معرّضين للتضليل بفعل هذا التحريف ومدّ الأيدي إلى النسخ الأصلية والمخطوطات فإن الباطل سيبقى دائما متقوّيا، ولا يمكن دفع الباطل مع وجود أناس يجتهدون في تقويته وإمداده. والباحث عن الحق المتطلّع إلى نشره تصعب مهمّته في مثل هذه الظروف، ويصعب عليه أن يطلع على الحقيقة، فكيف بإيصالها إلى غيره. وفي النهاية لا مناص من الاعتراف بأن هذه المشكلة عويصة.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام تقتدي بالمعصومين، الذين لا يخطر ببالهم الغش والتزوير، ومن كان يقتدي صادقا بمن لا يخطر بباله الغش والتزوير فإنه لا يغشّ ولا يزوّر.

جمع الخليفة الأول أبو بكر بن أبي قحافة الأحاديث، وهي أحاديث محصورة في المتحدّث والمستمع بدون واسطة، وبعبارة أخرى من فم النبي صلى الله عليه وآله إلى يد الصحابي، ليس فيها عن فلان عن فلان.. وكان المفروض أن تجمع الأحاديث ثم توضع في بيت المال مثلا، أو غيره من الأماكن الآمنة، وتبقى النسخ للأجيال لتطلع على كلام النبي صلى الله عليه وآله بخطّ الصحابي، ولا حاجة عندها إلى علم الرجال الذي يكون فيه الوضّاع والكذّاب والمدلّس والواهم والمضطرب..

وبعد أيام قليلة أخبر الخليفة أبو بكر المسلمين أنه استخار الله تعالى وأن الله تعالى ألهمه أن يحرق الأحاديث!

صعب على العاقل أن يصدّق مثل هذا! أن يصدّق أن الله تعالى يلهم العباد تحريق العلم وهو يعلم أنّها آخر رسالة جاء بها آخر نبي. ويشهد الله أنّني إلى هذه اللحظة لم أهضم هذا، وخصوصا نسبته إلى الله تعالى! لو أنّ الخليفة ذكر أنّه اجتهد ووصل إلى تلك النتيجة لكان الأمر سهلا، باعتبار أنّه شهد على نفسه أنّ له شيطانا يعتريه[1]؛ فلا عجب أن يوسوس له ويزيّن له تحريق الأحاديث النبويّة الشريفة، أمّا أن يكون الله تعالى هو الذي أمره بذلك عل جهة الإلهام، ويجعل تحريق ما لا يملكه من الإلهام، فتلك لعمر الله قاصمة الظهر.

الخالق العالم الذي يحب لعباده العلم ومعرفة الحقائق ويأمرهم بذلك يلهم الخليفة الحاكم تحريق العلم الذي تضمنته أحاديث النبي ﷺ!

أي نوع من الإلهام هذا؟!

من أين للناس أن يعلموا مصدر هذا الإلهام إذا كان للخليفة شيطان يعتريه؟

١- إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطانا يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني [الجامع، معمر بن راشد الأزدي الوفاة: ١٥١ هـ ج ١١ ص ٣٣٦،المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ هـ الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الأعظمي منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠- و مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني الوفاة: ٢١١، ج ١١ ص ٣٣٦ : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي و الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن الزهري المتوفى سنة: ٢٣٠، ج ٣ ص ٢١٢: دار صادر - بيروت و تاريخ الطبري المتوفى سنة: ٣١٠ هـ ج ٢ ص ٢٤٥: دار الكتب العلمية - بيروت وجامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير- لجلال الدين السيوطي المتوفى في ١٩/جمادى الأولى / ٩١١هـ ج ١٣ ص ٧٩.

لو حدث هذا في زماننا لعدّ جريمة كبيرة، ولنتخيّل رجلا من النّاس، حاكما أو غيره، يقوم بإتلاف كلّ ما هو موجود في متحف من المتاحف، فإذا سئل عن ذلك أجاب: إن الله تعالى ألهمني أن أتلف كلّ هذه المقتنيات الثّمينة النّفيسة! هذا، علما أنّ جميع ما في متاحف الدنيا لا يساوي حديثا واحدا ينتقل مباشرة من فم النبيﷺ الشريف إلى يد الصحابي !

هل يقبل الناس من هذا الرجل دعواه؟

لا شك أنّهم سيحاكمونه ويعدّون فعلته من كبريات جرائم العصر، أو ينقلونه إلى مستشفى الأمراض العقليّة، لأنّ القضيّة تتعلّق بشيء غير قابل للاسترداد والتّدارك. على خلاف الأمور القابلة لذلك. إذ من أين لنا أن نعيد النبيﷺ والصحابي؟ من أين لنا حذف الوسائط؟

فالقول "إن إتلاف تلك النسخ الثمينة كان إلهاما من الله تعالى " ليس مقبولا عند أولي الألباب. والله تعالى يلهم البناء لا الهدم، يلهم الإنقاذ لا الإتلاف، يلهم الأمور الطيبة لا ما يخالفها، ولا يعقل أن تكون الأمور الضّارة من الإلهام الإلهي. وقد أشار القرآن الكريم إلى ما هو من هذا القبيل في قول الله سبحانه وتعالى:﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء..﴾. لا يأمر الله بشيء كلّه ضرر و لا نفع فيه؛ هذا خلاف الحكمة الإلهيّة.

أراد أقوام أن يصوّبوا فعل أبي بكر بن أبي قحافة فادّعوا أنّ تحريق الأحاديث كان فضيلة! لأنه بذلك منع ـ في زعمهم ـ اختلاط القرآن الكريم بكلام النبيﷺ. و هذا كلام ينطوي على اعتقاد فاسد، وسوء ظن بالله سبحانه وتعالى، لأنّه يشعر أنّ المسلمين بعد متابعة ثلاث وعشرين سنة من الوحي، ومعايشة أسباب النزول، لم يحفظوا القرآن الكريم؛

وكأنّهم لا يميزون بين كلام الخالق وكلام المخلوق! وكأنّ أهل مكّة والمدينة وحضرموت والكوفة عجم لا يعرفون اللسان العربي ؟!

إذا كان الأمر كذلك فأين وجه الإعجاز والتّحدّي؟! والقرآن الكريم قد تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وبناء على ما ادّعاه المبرّرون فإنّ في وسع الناس أن يأتوا بكثير من مثله.

في تصوّري أنّ الأحاديث التي أحرقها الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة كان فيها حقائق تخصّ أهل البيت عليهم السلام، وأخرى تخص قريشا؛ فقد ثبت أن الصحابة كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وآله عن أسباب النزول وما في معناها، وكانوا يكتبون ذلك على الحواشي، وتلك الأحاديث لبقائها تأثير كبير على قريش والمشروع القرشي. وبناء عليه ينبغي إزالتها حفاظا على قريش وعلى بعض الوجوه خاصة. وقد سألت كثيرا ممّن عرفت من أهل المطالعة والتّحقيق فأخبرت أنني لست أول من تبنّى هذا الموقف، لأنّه لا داعي إلى التحريق، ويمكن بكلّ بساطة إبقاء تلك الأحاديث بمعزل حتى تصل إلى الأجيال بعد أن يحصل الأمان من اختلاطها بالقرآن الكريم كما هو مدّعى! لماذا الإصرار على التّحريق والإتلاف؟

جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فمنع الرواية والكتابة وتفسير القرآن الكريم، وكان المبرر هذه المرة نفس المبرر تلك المرة، مضافا إليه ما يمكن أن نعبر عنه بـ " المغالطة " . فقد ذكر الخليفة للصحابة وهو يشيّعهم أنه لا يأذن لهم بذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله حتى لا يشغلوا الناس عن القرآن، لأنّ لهم به دويّا كدويّ النحل، وكأن المقصود بالقرآن هو الصوت لا أكثر، والقرآن الكريم يذكر أنه﴿ ليدبروا آياته..وليتذكر أولو الألباب﴾، فالمقصود التدبّر والتذكر لا دوي النحل!

أين مصلحة الإسلام حينما ينهى عن تفسير القرآن الكريم ورواية أحاديث النبيﷺ وهذان هما الركنان الأساسيان في شريعة الإسلام ؟

من أين للناس أين يعرفوا معالم دينهم إذا حيل بينهم وبين فهم كلام ربهم وحديث نبيهمﷺ؟

المنع من رواية أحاديث النبيﷺيعود بالضرر على المسلمين، وهناك حديث يقول: "رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"، وهذا يعني أنه يكون في الأمّة من لم يحضر سماع الحديث وإنّما يصله من طريق صحيح، فيكتشف منه ما لم يكتشفه الناقل، وليس كل واحد أهلا للاستنباط. فالدفاع عن الأطروحات الفاسدة عمل غير سليم، ومن حقّ الأجيال أن تطلع على ما قاله النبيﷺ، وهذا الحقّ لا يدفعه إلا مكابر، وليس من حقّ الخليفة أو غيره أن يحرّق الأحاديث، بل إن التحريق تعدّ على ملكية الأجيال، والذين دافعوا عن ذلك السلوك إنما يدفعهم إلى ما يفعلون انتماؤهم المذهبي وتعلّقهم بشخصيات معيّنة. وهم لا يقبلون هذا حينما يتعلّق الأمر بهم، إذ أنهم لا يقبلون أن يحرّق أحد كتبهم أو مقتنياتهم، ويعدّونه تعدّيا على ملكيّتهم، وينسون أو يتناسون أنّ ذاك الأمر أيضا تعدّ على ملكية الأجيال. فلماذا يجزعون حينما يتعلّق الأمر بهم، بينما تراهم يتسامحون ويغضون الطرف حينما يتعلق الأمر بالأمّة والأجيال؟!

من حق الأجيال أن تحاكم السلف.

إذا كان النبيﷺ لا يريد للأمة أن تكتب فلماذا جعل فداء أسرى بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة. هل يعقل الجمع بين السلوكين؟! مشروع تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة هو

مشروع حضاري يبدأ بمحو الأمية ليسهل تبليغ الدين فيما بعد. والأمّة التي تتفشّى فيها الأميّة يتفشّى فيها الجهل.

جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان فحرّق المصاحف، والأمر في ذلك مشهور لا يحتاج إلى تفصيل. وهكذا اجتمع ما كان يريده كعب الأحبار، ألا وهو إبعاد المسلمين عن فهم كتاب ربهم وحديث نبيهم، والحيلولة دون بقاء مصحف أو أحاديث مكتوبة من أيام النبي ﷺ بأيديهم.

لا يوجد شيء من هذا بأيدي المسلمين اليوم. هناك أحاديث من زمن معاوية وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية كان يشرف شخصيّا على وضع الحديث، ولا أظنّ أن مؤمنا عاقلا متديّنا صادقا في تدينه ينكر أنّ زمن معاوية هو زمن انسلاخ الدولة من الإسلام نهائيا، وزمن الحرب عل الله ورسوله، وعليه فتلك الأحاديث لا تنفع المؤمنين. أما أحاديث أهل بيت النبي ﷺ فقد تجنّبتها الأمّة خوفا وطمعا، ولم يعمل بها إلا الذين اختاروا الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام.

هناك ـ إذاً ـ خطّ همّه الإتلاف والتحريق، وكل ذلك باسم المصلحة والحفاظ على الدين، ومن حق المسلم أن يتساءل ويقول: " متى كان التحريق من وسائل الحفاظ على الدين"؟ متى كان التحريق يمنع من التزوير والتحريف؟ على العكس من ذلك تماما فإن التحريق يساعد على التزوير، إذ أنه يتلف الأصل فتتعذر المقارنة والمطابقة مع الأصل لأن الأصل لم يعد له وجود. وهذا بالضبط ما تقوم به كثير من الأنظمة في أيامنا لتغييب الحقائق عند الأزمات والطوارئ، ولهذا أيضا توجد في تراثنا أحاديث متضاربة.

يروي الطبراني حديث الوصي، وبما أنه قد يصدم القارئ فإن الطبراني يتدخل ويضيف إلى كلام رسول الله ﷺ ما ليس منه .

٦٠٦٣ حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا إبراهيم بن الحسن الثعلبي ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح بن عبد الله عن سماك بن حرب عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال قلت يا رسول الله لكل نبي وصي فمن وصيك فسكت عني فلما كان بعد رآني فقال يا سلمان فأسرعت إليه قلت لبيك قال تعلم من وصي موسى قلت نعم يوشع بن نون قال لم قلت لأنه كان أعلمهم قال فإن وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب. قال أبو القاسم **قوله وصيي يعني أنه أوصاه في أهله لا بالخلافة وقوله خير من أترك بعدي يعني من أهل بيته ﷺ كعب بن عجرة عن سلمان رضي الله عنه**[1].

المقطع الأخير ليس من كلام رسول الله ﷺ، والطبراني بإدراجه إياه يوهم القارئ أن رسول الله ﷺ أراد شيئا زائدا عما في الحديث، وأقام الطبراني نفسه مقام المترجم وكأن النبي ﷺ يتكلّم لغة غير التي نعرفها. وهذا التصرّف من الطبراني يدلّ على قلّة التقوى وتغليب الانتماء المذهبي على الإنصاف والنزاهة والأمانة! يدل على تغليب الهوى على الدين!

١- المعجم الكبير الطبراني /ت/ سنة ٣٦٠ /ج٦ص٢٢١، مكتبة العلوم و الحكم الموصل ١٤٠٤ هـ .

الطبراني كغيره من علماء المسلمين يعلم أن التقييد بلا دليل مقيّد باطل، وأن التّخصيص بلا مخصّص باطل، ولكنه لا يتورّع عن ممارسة ذلك علناً، لأنّه غير راض بالإرادة الإلهية، ويريد أن يكون شريكا لله في القرار، وليس وحده في هذا فإن علماء السوء في تاريخنا كثيرون. وهذا يعني أن كثيرا من علماء المسلمين خرجوا من الدنيا دون أن يفهموا قول الله تعالى﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

ماذا يقول الطبراني لرسول الله ﷺ إذا سأله: متى سمعتني أقول: " **في** أهلي لا بالخلافة" و " خير من أترك بعدي من أهل بيتي"؟!

ماذا يقول الطبراني يومها؟ وهل يكون هناك من يقف إلى جنبه في وجه رسول الله ﷺ من علماء اللغة والبلاغة؟

سيكون موقفا صعبا على الطبراني وجماعة آخرين، انتشوا بالمذهب وتأييد السلطة حتى سكروا، ثم كشف عنهم الغطاء!

وعلى نهج الطبراني سار فخر الدين الرازي، وبوتيرة أقوى، فإنه كان يكذب على الله تعالى بينما كان الطبراني يكذب على رسول الله ﷺ! هذا مع أنه يتّهم أتباع أهل البيت عليهم السلام بالكذب.

يقول الرازي بخصوص تفسير آية﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين ..الآية﴾: وأما استدلالهم بأن الآية مختصة بمن أدى الزكاة في الركوع، وذلك هو علي بن أبي طالب فنقول: هذا أيضاً ضعيف من وجوه : الأول : أن الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى﴿ وإذْ أخذْنا.. ﴾ (البقرة : ٤٣)فلو أنه أدى الزكاة الواجبة في حال كونه في

الركوع لكان قد أخر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، وذلك عند أكثر العلماء معصية، وأنه لا يجوز إسناده إلى علي عليه السلام، وحمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أن قوله﴿وإذْ أخذْنا ﴾ظاهرة يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب . الثاني : هو أن اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة، والظاهر أن من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه، ولهذا قال تعالى :) الّذين يذْكرون اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهمْ الْعالمون خلق اللّه السّماوات والأرْض ((آل عمران : ١٩١) ومن كان قبله مستغرقاً في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير . الثالث : أن دفع الخاتم في الصلاة للفقير ولم يكن له مال تجب الزكاة فيه، ولذلك فإنهم يقولون : إنه لما أعطى ثلاثة أقراص نزل فيه سورة) أهْل أتى ﴿الإنسان :١﴾ وذلك لا يمكن إلا إذا كان فقيراً، فأما من كان له مال تجب فيه الزكاة يمتنع أن يستحق المدح العظيم المذكور في تلك السورة على إعطاء ثلاثة أقراص، وإذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله) ويؤْتون الزّكواة وهمْ راكعون عليه[1].

هكذا يقول الرازي بكل وقاحة: الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى﴿ وإذْ أخذْنا.. ﴾! ثم يكابر فيقول: وحمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أن قوله﴿وإذْ أخذْنا ﴾ظاهرة يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب! وإذا صح ما يدعيه الرازي فإن المسلمين

١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي الشافعي الوفاة: ٦٠٤ هـ -، ج ١٢ ص ٢٧: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى .

يكونون في حلّ من صرف الزكاة الواجبة في مواردها الثمانية المعروفة! لأنها مذكورة في سورة التوبة بعنوان " الصدقات" لا "الزكاة"، والزكاة حسب دعواه **اسم للواجب لا للمندوب!** هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم يقول:﴿ خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم...﴾، والصدقة النافلة لا تؤخذ وإنما تعطى عن طواعية. ومعلوم أن النبيﷺ تحرم عليه الصدقة، فإذا أخذنا بقول الرازي آل الأمر إلى أن الله تعالى حرّم على نبيّه الصدقة ثم أمره بأخذها بعد أن حرّمها عليه، تعالى الله عمّا يقول الرازي علوا كبيرا . وبعبارة أوضح: أمر الله تعالى نبيهﷺ بأخذ ما حرّم عليه! هذا ظن الرازي بربّه، وهو كما ترى، لا يقول به الفاسق والفاجر فضلا عن المتشرّع.

هذا، وسقطات الرازي كثيرة، وقد زادها سوءاً سوء أدبه حين يذكر مخالفيه، فإنه يرد على شيعة رسول اللهﷺ وأهل بيته عليهم السلام فيقول:

فهذا الذي يقوله هؤلاء الروافض لعنهم الله بهت على جميع المسلمين وعلى علي أيضاً[1]. ويقول: أما قول الروافض لعنهم الله : إن هذه الآية في حق علي رضي الله عنه[2]. ويقول : وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله[3]...

فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي الشافعي الوفاة: ٦٠٤ ج ١٢ ص ١٩: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى.
٢ - التفسير الكبير، الرازي،ج١٢ ص٢١ .
٣ - التفسير الكبير، الرازي، ج ١٢ص ٢٥.

وعلى منواله نسج تقي الدين السبكي[1] وابن حجر الهيتمي[2] وأبو نعيم الأصبهاني[3]، في لعن من لا ذنب لهم إلا حب رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

١ – فتاوى السبكي، الوفاة: ٧٥٦هـ ج ٢ ص ٥٩٣،دار المعرفة – لبنان/ بيروت.
٢ – الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي (الوفاة: ٩٧٣هـ)، ج ١ص١٥١: مؤسسة الرسالة – لبنان – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل محمد الخراط.
٣ – تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، لأبي نعيم الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ) ج ١ ص ١٤٥. و الإمامة والرد على الرافضة،، ج١ ص ٣٢٦: و ج ١ ص ٣٢٦كتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة / السعودية – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

حادثة وحديث

ذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ يخطب فاطمة عليها السلام، فرده رسول الله ﷺ وهو القائل "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. عزّ عليهم أن يرده رسول الله ﷺ لأن ذلك يقدح في اعتباره أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، ولو كان كذلك لم يرده رسول الله ﷺ بناء على الحديث السابق وكونه من الكفاءة بمكان لو صح تفضيله. وحتى يحافظوا على مقام الخليفة ذهبوا يختلقون وينسبون إلى النبي ﷺ فادّعوا أن النبي ﷺ قال له : إنها صغيرة! هذا في الوقت الذي كانت عائشة معقودا عليها من طرف النبي ﷺ وهي حسب رواياتهم أصغر من فاطمة عليها السلام بكثير! يقولون إن فاطمة عليها السلام ولدت قبل البعثة بخمس سنوات بينما ولدت عائشة بعد البعثة بسنوات.
هل يعقل أن يتناقض النبي ﷺ إلى هذه الدرجة؟
جاء آخر لم يعجبه التبرير السابق وكأنه فهم أنّ الأمر آيل إلى فضيحة إذ أن رسول الله ﷺ زوّج فاطمة من الإمام علي عليه السلام في نفس الأسبوع، ولا يمكن أن تتحول المرأة من صغيرة إلى كبيرة في ثمان وأربعين ساعة، فذكر أن النبي ﷺ لم يردّ أبا بكر وإنما قال له : " لم ينزل القضاء بعد". وهذا الكلام معناه أن أبا بكر أهل لها، وإنما ينتظر القضاء. وهذه أيضا فيها كلام لأن النبي ﷺ زوج بناته (أو ربائبه بنات هالة) دون أن ينتظر القضاء! فلماذا ينتظر الآن القضاء؟

جاء ثالث فذكر أنّ النبيﷺ قال له: " إن أمرها ليس بيدي ".

وهو كما ترى، من أعجب العجب! رسول اللهﷺالذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم لم يعد يملك من أمر ابنته شيئا وهي أحد مصاديق المؤمنين، ولم يرد نص قرآني يخصّصها ويخرجها من هذه الولاية! وكل أب له الحقّ في تزويج ابنته إلا رسول اللهﷺ! فإن عليه أن يعرضها على شيوخ قريش أولا! إذا لم يكن أمرها بيده فبيد من يكون؟ والحال أن رسول اللهﷺأولى بجميع المسلمين من أنفسهم دون استثناء.

نعم، هذا الكلام حقّ حينما يكون المقصود أن أمرها بيد الله تعالى لا بيد بشر ولا ملك، وفي هذه الحال تكون لفاطمة عليها السلامخصوصية لا تقبل الجدل، وهذا أمر وارد باعتبار أنّ تزويج زينب بنت جحش رضي الله عنها كان من السماء أيضا، فليس لأحد أن يستعظم الأمر، وليست زينب بنت جحش رضي الله عنها في مستوى فاطمة عليها السلام. وقد ثبت أن النبيﷺ أخبر من حضر أن تزويج فاطمةعليها السلام كان بأمر إلهي.

في النهاية لا يمكن أن تكون الرّوايات كلّها صحيحة، لأنه ردّ واحد على شخص واحد في موقف واحد، والعقل يقول: إمّا أن تصدق الرواية الأولى، وإمّا أن تصدق الثانية، وإمّا أن تصدق الثالثة، وإما طرحها جميعا، أما الجمع فمحال.

كل هذا حفاظاً على مقام الخليفة! وبعبارة أوضح لا بأس بنسبة التناقض إلى النبيﷺما دام في ذلك حفاظٌ على مقام الخليفة حتى لا تتزعزع أو تتزلزل عقائد من يرونه أفضل الخلق بعد رسول اللهﷺ.

والحقّ المرّ هو أنّ أبا بكر بن أبي قحافة قبل أن يكون خليفة لم يكن شيئا مذكورا، فلا هو من أشراف قريش، ولا هو من أبطالها، ولا هو من

شعرائها أو حكمائها، ودعوى أنّه كان من أغنياء قريش تدفعها قحافة أبيه، فإنه كان يدعو إلى طعام عبد الله بن جدعان في مكّة، وهو المقصود بقول الشاعر(أمية بن أبي الصلت) في مدح ابن جدعان:

له داع بمكة مشمعلّ .... وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح من الشيزاء فيها ....لباب البر يلبك بالشهاد[١]

فحتى يحافظوا على مقام من حكم لم يروا بأسا بافتعال أحاديث وأخبار لا وجود لها في الواقع.

جاء بعد ذلك أناس مختلفون راحوا يناسبون بين التاريخ والتراث، يشخّصون الواقعة التاريخيّة ثم ينتخبون لها ما يناسبها من التراث، فإذا لم يجدوا اختلقوا ونسبوا إلى رسول الله ﷺ!

حديث " أنا مدينة العلم وعلي بابها" حديث ينسجم مع الواقع، بل إن علم الإمام علي ﷺ ثابت بغض النظر عن هذا الحديث، لكنه ثقل على المحدثين والرواة لأنه ينسف نظرية تفضيل الخلفاء الثلاثة، فراحوا يتمحّلون لإبطاله، وهم يعلمون أنه ليس هناك من هو أعلم من الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله ﷺ. لا فيما مضى ولا في أيامنا. فلماذا الإصرار على إبطال الحديث. ولذلك لا تجد التناقض لدى من اتّبع الإمام عليّا عليه السلام بصورة دقيقة، وما قد يصادفه الباحث في كتب أتباع أهل البيت عليهم السلام من أمور غير واضحة إنما هو من بلاء الغلاة الذين كان الأئمة عليهم السلام يعلنون البراءة منهم ويجهرون بتكفيرهم، ومن أنصف سلّم.

١- نسب قريش، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري الوفاة: ٢٣٦هـ ج ٨ ص ٢٩٢ : دار المعارف - القاهرة، تحقيق : ليفي بروفسال.

إذا استثنينا الإمام عليا عليه السلام لم نجد من الصحابة من يشار إليه بالبنان في مسألة العلم؛ حتى ابن عباس الذي يوصف بالحبر وعالم التأويل إنما هو قطرة من بحر الإمام علي عليه السلام، وهو نفسه يشهد أنّه تعلم منه، ولا ننسى أن أولاد عبد الله بن عباس حكموا قرونا طويلة، فتقرّب إليهم الناس بمدح جدّهم بحقّ وباطل.

اجتهد الذهبي جهده لإبطال حديث باب مدينة العلم حتى قال ابن الصديق المغربي: " لكن الذهبي إذا رأى حديثا في فضل علي عليه السلام بادر إلى إنكاره بحقّ وبباطل، حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه ـ سامحه الله ـ [1] " ! ولا زلت أتعجّب من سلوك الذهبي قبال أهل البيت عليهم السلام جميعا حتى تبيّنت لي منه أمور فهمت منها أن الرجل كان مجانبا لمكارم الأخلاق وإن كان يتخيّر العبارات، وثبت عندي أن الرجل مات على غير ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه مات مبغضا لأحبّ الخلق إلى الله ورسوله وإن كان يظهر بلسانه عكس ذلك.

وعلى كل حال فإنّ علم الإمام علي عليه السلام قائم بنفسه لا يحتاج إلى دليل، وقديما قال المتنبي:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

أقول: إنني أعتقد أن الذهبي مات على غير ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنه كان يبغض محبي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بغضا لا يكاد يوصف، ولا ينبغي أن يكون بين أتباع ملّة واحدة.فإليكم:

١- فتح الملك العلي،المؤلف : أحمد بن محمد الحسني المغربي،ص٥٠،
المطبعة : مطابع نقش جهان، طهران، سنة الطبع : ١٤٠٣ هـ
الناشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ع- العامة – أصفهان .

قال الذهبي بخصوص ترجمة عمران بن مسلم الفزاري:

٦٣١٦ [٤٢٤١ ت] عمران بن مسلم الفزاري كوفي[روى] عن مجاهد وعطية و[روى] عنه الفضل السيناني وأبو نعيم. قال أبو أحمد الزبيري: رافضي كأنه جرو كلب. قلت: خراء الكلاب كالرافضي[١]. !

هكذا يتحدّث الذهبي، وهذه تشبيهاته! يقول الله تعالى: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم﴾و يقول سبحانه وتعالى﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ولكن ذلك لا يقنع الذهبي، ومعلوم أنّ الكلب نجس العين، وعليه تكون نجاسة نجس العين نجاسة مضاعفة، ولا ذنب لعمران المذكور إلاّ أنّه يوالي أهل بيت النبيﷺ ويقدّمهم ويتّخذهم أئمّة له في أمور الدّين والدّنيا، كما أمر به رسول اللهﷺ. لم يكتف الذهبي بتأييد أبي أحمد الزبيري حتى أضاف إليه ما يغضب الله تعالى.

وبخصوص عبد الله بن خراش قال الذّهبي: "قال ابن عدي: سمعت عبدان يقول قلت لابن خراش : حديث ما تركنا صدقة ؟ قال : باطل، أتّهم مالك بن أوس بالكذب، ثمّ قال عبدان: وقد روى مراسيل[٢] وصلها، ومواقيف[٣] رفعها. قلت[٤]: جهلة الرّافضة لم يدروا الحديث ولا السّيرة ولا كيف ثمّ، فأمّا أنت أيّها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في التّرحال فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمور؟، فأنت

١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي الوفاة: ٧٤٨، ج ٥ ص ٢٩٤، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

٢- المراسيل هي الأحاديث مرسلة.

٣- المواقيف هي الأحاديث موقوفة.

٤- القائل هو الذهبي.

زنديق معاند للحقّ فلا رضي الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ثلاث وثمانين ومائتين"[1].

هذا رجل قضى عمره في طلب الحديث، وعانى في ذلك حتى شرب بوله خمس مرات، وهو ما يدلّ على الصبر والتحمّل وتعظيم شأن الحديث، لكنّه خالف الخطّ الذي ينتمي إليه الذّهبيّ في مسألة ليس هو أوّل من خالفه فيها، فحكم عليه بالخروج من الإسلام، واتّهمه بالزّندقة، وزعم أنّه من أهل سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى فقال: "مات ابن خراش إلى غير رحمة الله"! لأنّ إدخال النّاس في الدّين وإخراجهم منه بيد الذّهبيّ؛ فالمؤمن من شهد له الذّهبي بالإيمان، وغير المؤمن من نفى عنه الذّهبيّ الإيمان! والحال أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء أهل الجنّة تقول نفس ما يقوله ابن خراش، وهي في الجنّة قطعا، لا ينكر ذلك إلاّ مارق من الدّين، فهل يجري عليها الذّهبيّ نفس الحكم؟ وكيف يبعد الله من رحمته عبد الله بن خراش لأنّه ردّ هذا الحديث ثمّ يعطي فاطمة عليها السلام مقام السّيادة في الجنّة وهي أيضا تردّ هذا الحديث كما ردّه ابن خراش، بل هي السابقة إلى ردّه؟ كيف يجري هذا في دين واحد وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد؟ بل كيف يقول ربّ العالمين في كتابه الكريم ﴿ولا يظلم ربّك أحدا﴾[2] ثمّ يجري مثل هذا على عبد الله بن خراش دون سائر من يردّ هذا الحديث؟ هل هناك ظلم أعظم من هذا؟

١- تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ٢ص ٦٨٥.، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
٢- الكهف: ٤٩ .

الطغاة

الطغاة هم أجبن الناس، لذلك تراهم يحتمون بالجيوش الجرارة ويتمحّلون في فرض قوانين وأوامر من شأنها أن توفّر لهم الأمن، ويتخلّصون من كل من يتوهّمون أنه منافس بالقوّة، ولا يتردّدون في التنكيل بمن هو منافس بالفعل، ولا يعترفون لذي فضل بفضله..

الطغاة صورة مشوّهة لابن آدم، لا يحسّون بوجودهم إلا حين يذلّون الآخر ويظلمونه ويتعدّون على حقوقه. وحينما يفقد الطغاة القوّة والنفوذ يظهرون على حقيقتهم، على الصورة المشوّهة!

كان الرئيس العراقي المخلوع " صدام حسين" يتبختر في مشيته، ويتصنّع في كلامه وضحكه، ويأتي بالعجائب موهما أنّه لم يخلق من مثله نسختان! وبلغت به السخافة والصلافة والتفاهة أن قال لبعضهم في لقاء صحفي بعد الهجوم على الجمهورية الإسلامية " بقيّة الحوار في طهران". لكن بقيّة الحوار كانت عند استخراجه من حفرة كما يستخرج الجرذ. وبعدها كان العجب. صار صدام حسين ملازما المصحف، يحمله معه أينما ذهب! صار يستشهد بأقوال وأعمال سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو الذي كان يؤمن بنبي واحد اسمه ميشال عفلق. تغيّرت مشية صدام حسين، فصار يمشي كالشيخ الهرم ولم يعد يقهقه! صار يكتفي بابتسامة تكاد تنطق بالتعاسة والشقاء.

وكان الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك يتعالى ويتطاول على شعبه وعلى كلّ الشعوب المسلمة، ويتبختر في مشيته بشكل مقزّز، ومعه

أولاده وجماعته يقضمون مال الله قضم الإبل نبتة الربيع، ودار الزمان دورته، ووجد حسني مبارك نفسه خارج اللعبة، فظهر على طبيعته، ينقل من العيادة إلى القفص و من القفص إلى العيادة، كأنه جريح حرب! هكذا ينتقل الطغاة من قمّة التكبّر إلى حضيض الاستعطاف واستجداء المشاعر. وعلى نفس الخطى سار العقيد القذافي المخلوع، الذي كان يصف رعيته بالجرذان، ثم سار هو في النهاية سيرة الجرذان، واستخرج كما استخرج العراقي قبله، وتلك الأمثال نضربها للناس..

وفرّ الرئيس التونسي المخلوع فرار العبيد..وجبن قبله معاوية ولد الطايع، وقبلهما جعفر النميري، ومات بورقيبة ميتة تعيسة، واغتيل السادات في لحظة من لحظات غطرسته، والحبل على الجرار..

كانوا جميعا أشقياء، وليس الشقي من يعيش حياة صعبة، إنما الشقي من تكون لديه فرصة أن يسعد ويسعد معه غيره، ولكنه يبدّل نعمة الله كفرا. كل واحد منهم كان في وسعه أن يصالح شعبه، ويخفّف من جشعه وطمعه ويقتنع بما يكفي من الزاد، لكن غلبت عليهم الشقوة، فعاشوا في خوف دائم، ولم ينفعهم الحذر، وختموا حياتهم بالذلة والعار، فهل من معتبر؟!

وفي الجهة المقابلة مسيحي أسود من جنوب إفريقيا، قضى أيام شبابه في السجن لأجل الدفاع عن قضيّة شعبه، ومرّ عليه أكثر من ربع قرن وهو وراء القضبان، ثمّ جاء اليوم الذي يجني فيه ثمار صبره الطويل، وخرج من السجن، وانتقل من وراء القضبان إلى كرسي الرئاسة، ولم يتغيّر!

لم يغير مشيته ولا طريقة حياته، بقي متواضعا، فازداد أبناء وطنه حبّا له. وحينما انتهت أيّام رئاسته اقترح عليه الكبار في الحزب أن يترشّح لعهدة ثانية، لكنه رفض، بكل سموّ ونزاهة رفض، وأثبت للعالم بأسره أنّ المنصب لم يستعبده، وأنّه يحارب الغرور بنفس النزاهة التي كان يحارب بها التمييز العنصري. كذلك كان نيلسن مانديلا، وكذلك هو حتى كتابة هذه السطور. لم يضعف أمام المنصب، ولم يشك من أي عقدة، على خلاف الرؤساء والملوك العرب الذين يحتقرون المسْلمات وينحنون أمام هيلاري كلينتون وكندوليزا رايس.

وهناك رجل مسيحي آخر هو رئيس البرازيل السابق " دا سيلفا " البسيط المتواضع الذي عرف الفقر أيام شبابه، ولم يتخرّج من الجامعات والمعاهد العليا.

حينما أوشكت الدورة الثانية لرئاسته على نهايتها خرجت الجماهير في البرازيل إلى الشارع تدعو إلى تعديل الدستور بالشكل الذي يسمح له بعهدة ثالثة! لكنّه لم يقبل، وخطب في الجماهير شاكرا الذين وضعوا فيه ثقتهم، لكنه في نفس الوقت رفض أن يسنّ سنّة تكون سببا في شقاء البرازيليين..

والثالث رجل مسيحي اسمه خوزيه موخيكا، يرأس دولة الأوروغواي، وهو أفقر رئيس في العلم. يكفي المتصفح أن يكتب اسمه على صفحة الجوجل[1] ليطلع على سيرة رجل متواضع فعلا لا ادّعاء!

١- google

وعلى عكس ذلك تماما استغل رئيس عربي المظاهرات في بلاده ليعدّل الدستور بالشكل الذي يسمح له بعهدة ثالثة! ولا يخفى على أحد تعلّق العربي بالكرسي،فإن في حكام العرم من يحلم بالعهدة الرابعة وهو في غرفة الإنعاش.

تبقى مشكلة الحكم عند العربي قائمة، لأنها بنيت من أوّل يوم على شفا جرف هار، لم تكن شورى ولا ديموقراطية، ولا شيئا فيه رائحة الحريّة؛ كانت غصباً ولا زالت، ولذلك بقيت اللعنة تطارد الحاكم، وبقي الحاكم يسفك الدماء ليخرج في الأخير مذموما مدحورا. فلا هو نال العزّ في الدنيا، ولا هو أدرك الآخرة.

لا أدّعي أن الطغيان حكْر على العرب والمسلمين، فإنّ هتلر وموسوليني وبينوشي وتشاوشيسكو لم يكونوا عربا ولا مسلمين، لكننا أتباع دين يجعل مصير الراكن إلى الذين ظلموا إلى النار[1]. فالمفروض ألا يكون فينا ظلمة، والمفروض ألا نركن إلى الظّلمة. ومع بالغ الأسف فإن كبار الظلمة في تاريخنا يمجّدون ويقدّسون وتدافع عنهم أقلام وألسن وفضائيات! فعندنا إذاً ثقافة تمجيد الظالم، وقد آلمني رؤية فضائيات عربية تمجّد حاكما سابقا بعد وفاته بأيام، وتنسب إليه أمجادا وهميّة، وتتستّر على جرائمه مع أنّها صارخة في مسامع الزمن؛ لقد آلمني ذلك لأنه دليل على رسوخ ثقافة تمجيد الظلمة عندنا. وعلى كلّ حال لا أوافق تلك الفضائيات، ولا أدري كم دفع لها وكم استلمت مقابل ما فعلت، وهي إن شاء الله تعالى من الذين ركنوا إلى الذين ظلموا..

١- ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار .

بعض الفضائيات تمارس التملّق والتفاهة وتسمّي ذلك إعلاما!
تمارس الذلّة والخنوع وتسمّي ذلك إعلاما!
وفي الحقيقة هي قنوات في محاربة الإعلام، ولا أريد العودة إلى الحديث عن الإعلام، إنما يتحتّم عليّ كما يتحتّم على كلّ غيور على دينه البراءة من تلك الفضائيّات في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

يوم لا ينسى

وصلنا إلى مدينة قمّ في يوم لا ينسى، وهو يوم قتل الحجّاج في الشهر الحرام في البلد الحرام عند البلد الحرام عام ١٩٨٧ م. وكان والدي ـ رحمه الله تعالى ـ من الحجاج في تلك السنة، وقد أخبرني عند عودتي إلى الجزائر سنة١٩٩٠م أن مسؤولين من الأمن السعودي حذروا الحجاج يومها من الخروج، وهذا يعني أن الأمر كان مدبرا بليل، وأنه كان هناك تنسيق بين رجال الأمن السعودي وبين بعثات الحجاج العرب حتى يتفرّغوا للحجّاج الإيرانيين ويقتلوا منهم ما شاءوا.. وهذا الذي حدث.

جرت مظاهرات في طهران وباقي المدن الإيرانية ذلك الأسبوع، ووجه الإمام الراحل ـ رحمه الله ـ خطابا جليلا إلى الأمة، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، ولم تسنكر أيّ جهة رسمية ما جرى، تماما كما لم يستنكروا قتل الإمام الحسين عليه السلام من قبل! لأن الله تعالى يأتي عندهم ثانيا بعد أمريكا. وهلك القتلة فيما بعد، ،وأصيب كل من رونالد ريغان وفهد بن عبد العزيز بالشّلل وفقدان الذاكرة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى. هذه شهادة لله تعالى، وأنا على يقين أنّ من يبلغه قتل الحجّاج في البلد الحرام ولا يستنكر ذلك يكون شريكا في قتلهم، فقد ثبت أن الإمام عليا عليه السلام قال: الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان : إثم العمل به، وإثم الرضا به[1] . قال ابن أبي الحديد في شرح ذلك :

١- شرح نهج البلاغة، ابن محمد بن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ-، ج ١٨، ص ١٦٨ : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري .

لا فرق بين الرضا بالفعل وبين المشاركة فيه، ألا ترى أنه إذا كان الفعل قبيحاً استحق الراضي به الذم كما يستحقه الفاعل له والرضا يفسر على وجهين : الإرادة، وترك الاعتراض، فإن كان الإرادة فلا ريب أنه يستحق الذمّ لأنّ مريد القبيح فاعل للقبيح، وإن كان ترك الاعتراض مع القدرة على الاعتراض فلا ريب أنّه يستحق الذمّ أيضاً، لأنّ تارك النهي عن المنكر مع ارتفاع الموانع يستحقّ الذم[1] .

بعد مرور عام على المجزرة الرهيبة خرج الإيرانيون إلى الشوارع إحياءً للذكرى، وتنديداً بالباطل وأهله، وألقى الإمام الراحل كلمة بالمناسبة.

جانب من خطاب إمام الأمة

بمناسبة مرور عام على مجزرة مكة وملابسات إيقاف الحرب المفروضة في ذي الحجة ١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدْخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.إن مدينة الله ومدينة عباده ما تزال، رغم مرور عام على المجزرة المفجعة الرهيبة التي تعرّض لها لحجاج العزّل، والزوار المؤمنون الموحدون، على يد عملاء أمريكا وسفاكي آل سعود، ما تزال في ذهول وفي حيرة .إن آل سعود بقتلهم ضيوف الرحمان، وتضريجهم خير عباد الله بالتراب وبالدماء، لم يرجوا الحرم فقط، بل ضرجوا عالم الإسلام كله بدماء الشهداء، وأحزنوا المسلمين والأحرار جميعاً .في العام الماضي

١- شرح نهج البلاغة ج ١٨، ص ١٦٨.

أقام مسلمو العالم أول مرة شعائر الأضحى المبارك بنحر أبناء إبراهيم عليه السلام أبنائه العائدين من معارك كفاحهم مع ناهبي العالم وأذنابهم في "مذبح" حب الله "ومنى" رضاه، وقتلت أمريكا وآل سعود، خلافاً لمقتضيات الشهامة والشرف، الكثير الكثير من النساء والرجال، من أمهات الشهداء وآبائهم، ومن المعاقين العزّل من الحماية، وبالكثير الكثير من الخسّة والقسوة، حملوا على الأجساد نصف الميتة للشيوخ العجّز، وجلدوا بالسياط الأفواه العطشى الجافة من مؤمنينا الأبرياء المظلومين، وانتقموا منهم بحقد ووحشية. ألا ممن هو هذا الانتقام! وبسبب أي ذنب هو؟! أهو انتقام من الذين هاجروا من بيوتهم إلى بيت الله وبيت عباده؟ أهو انتقام من الذين حملوا سنوات طوالاً على عواتقهم ثقل الأمانة والجهاد؟ أم هو انتقام من الذين كانوا كإبراهيم(ع) عائدين من تحطيم الأصنام؟ انتقام من الذين كانوا قد حطموا الشاه؟ من الذين هزموا السوفيت والأمريكان؟ من الذين هشموا الكفر والنفاق؟! أهو انتقام من أولئك الذين طووا الطرقات الكثيرة البعيدة حفاة الأقدام حاسري الرؤوس، مستجيبين لصرخة ﴿أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ ليسروا إبراهيم عليه السلام ويرْضوه؟! أهو انتقام من الذين كانوا قد جاؤوا لضيافة الله، ليمسحوا بماء زمزم غبار السفر عن وجوههم، ويرووا بزلال مناسك الحج عطشهم، ويعودوا بقوة أكبر على تحمل المسؤولية، ويخلعوا في ميقات العمل خلال مسيرتهم الأبدية ـ لا في ميقات الحج وحده ـ لباس التعلق بالدنيا عن أجسامهم؟! أهو انتقام من أولئك الذين، من أجل خلاص المحرومين وتحرير عباد الله، حرّموا على أنفسهم دعة

طلاب الراحة، والذين أحْرموا بإحرام الشهادة، وعزموا عزماً جازماً، لا على عدم الرضوخ لعبودية ذهب أمريكا وروسيا فحسب، بل على عدم الخضوع لغير الله وحده، أولئك الذين كانوا قد جاؤوا ليقولوا مرة أخرى لمحمد صلى الله عليه وآله إنهم لم يتعبوا من الكفاح، وأنهم يعلمون جيداً أن أبا سفيان وأبا لهب وأبا جهل متربصون في أما كان للانتقام، قائلين لأنفسهم متسائلين: أمازال "اللات" و"هبل" على الكعبة؟! أجل، وأخطر من تلك الأصنام، ولكن بوجه جديد وخدعة جديدة. إنهم يعلمون أن الحرم اليوم حرم، لكن لا "للناس"، بل لأمريكا! وأن من لا يقول لأميركا "لبيك"، ومن يتجه إلى رب الكعبة، فسيكون مستحقاً للانتقام، الانتقام من الزوار الذين أحيت جميع ذوات وجودهم وكل حركات ثورتهم وسكناتها مناسك إبراهيم، وسمت وتسمو حقاً حتى تقطر سماء أوطانهم وسماء حياتهم بالنداء العذب الشيق: "لبيك اللهم لبيك": أجل، إن من يريد أن يعلن البراءة من الكفر والشرك، سيتّهم هو ـ في منطق الاستكبار العالمي ـ بالشرك، وسيحكم عليه المفتون وأبناء المفتين من أحفاد "بلعم بن باعور" بالكفر وبالقتل.وبعد، فلابد في تاريخ الإسلام، أن تشْهر مجدداً سيوف الكفر والعداء التي كانت مخبأة في ألبسة الإحرام الكاذبة لليزيديين ومأجوري بني أمية ـ عليهم لعنة الله ـ من أجل قتل خيرة أبناء نبي الإسلام الأطهار، أعني أبا عبد الله الحسين عليه السلام وأنصاره الأوفياء .. أجل، لابد أن تشْهر مجدداً تلك السيوف من ألبسة ورثة بني سفيان أولئك، وان تمزق الحناجر الطاهرة لأنصار الحسين عليه السلام، في ذلك الطقس اللاهب، في كربلاء الحجاز، وفي مذبح الحرم، وتوجّه

إليهم ـ لأنهم سائرون على خطى أبناء الإسلام الصادقين الأولين ـ التهم نفسها التي وجهها اليزيديون إلى أولئك حين عدّوهم خوارج وملحدين ومشركين ومهدودي الدم! إلا أننا سنطفئ غيظ قلوبنا بإذن الله في الوقت المناسب بالانتقام من أمريكا وآل سعود، وسنحوّل حلاوة هذه الجريمة الكبرى حرقة وحسرة في قلوبهم، وسندخل المسجد الحرام مع الاحتفال بانتصار الحق على جنود الكفر والنفاق، وتحرير الكعبة من أيدي من ليسوا أهلاً، من ليسوا من محارمها وخاصتها.! ولا شك في أن الحجاج الذين سافروا إلى مكة تحت رقابة دولهم وحكوماتهم ومخابراتها، سيفتقدون أصدقاءهم وإخوانهم وشركاءهم الواقعيين في الدفاع والجهاد! إن آل سعود، من اجل تغطية جناياتهم المهولة في العام الفائت، ومن أجل تبرير صدهم عن سبيل الله، ومنعهم الحجاج الإيرانيين من الذهاب إلى الحج، سيمطرون الحجاج بقنابل دعاياتهم الشديدة، وسيعمد رجال الدين البلاطيون في البلاد الإسلامية، وبخاصة الحجاز، ومشايخ الإفتاء الذين باعوا أنفسهم ـ لعنة الله عليهم ـ بواسطة وسائل الإعلام والمطبوعات، إلى إيراد الخطب والأضاليل، وسيضيّقون على الحجّاج ساحة تفكيرهم وتعمّقهم في فهم رسالة الحجّ وإدراك فلسفته الحقيقية، وكذلك في التعرف على حقيقة واقعة قتل ضيوف الله المخطّط لها سلفاً من قبل الشيطان الأكبر. وبديهي أن رسالة حجّاج بيت الله في مثل هذه الأوضاع والظروف ثقيلة جداً ثقيلة! إن أكبر ألم تعانيه المجتمعات الإسلامية هو أن أبناءها لم يفهموا بعد الفلسفة الحقيقية لكثير من الأحكام الإلهية، وأن الحج، على ما فيه من عميق الأسرار

وعظيم الأهداف، ما يزال عبادة جامدة وحركة دون ثمرة أو مردود .إن من أهمّ واجبات المسلمين الكبرى إدراك: ما هو الحج؟ ولم يجب أن يقفوا قسماً من إمكاناتهم المادية والمعنوية لأدائه وإقامته؟إن ما ظهر حتى الآن من قبل الجهلة، أو الدارسين المغرضين، أو المرتزقة المأجورين على أنه "فلسفة الحج"، هو أن الحج عبادة جماعيّة، وسفرة سياحيّة تعبّديّة، فما شأن الحج بأمور من قبيل: كيف يجب أن نعيش، وكيف يكون الجهاد؟ !وبأي صورة يكون الصمود أمام عالم الرأسمالية وعالم الشيوعية؟! ما شأن الحج بوجوب انتزاع حقوق المسلمين والمحرومين من الظالمين؟! ما علاقته بوجوب التفكير في إيجاد الحلول للضغوط الروحية والجسمية التي يتعرّض لها المسلمون؟ ما شأن الحج بوجوب أن يظهر المسلمون كقوة كبرى ثالثة في العالم؟ وبأن يدفع المسلمين إلى الثورة على الحكومات العميلة التابعة؟! إنْ هو إلا سفرة ترفيهية لرؤية القبلة وزيارة المدينة فقط!! هذا ما أظهره المتحجّرون والمغرضون، من أن الحج إنما ليقرّب الإنسان إلى رب البيت ويصله به . الحج ليس حركات وأعمالاً وتمتمات فقط، فالإنسان لا يصل إلى الله بالكلمات والألفاظ والحركات الصمّاء! الحج إنما هو أسّ المعارف الإلهية التي من خلالها ومن مفهومها ومحتواها يجب اكتشاف سياسة الإسلام في جميع مناحي الحياة.الحج هو رسالة بناء مجتمع مجرد من الرذائل الماديّة والمعنوية، هو مظهر التجلي المتكرر لكافة الصور المولدة للحب في حياة إنسان مثالي ومجتمع متكامل؛ ومناسكه إنما هي مناسك أن يصبح إبراهيمياً حتى يتصل بأمة محمدﷺويتّحد بها ويصبح معها

يداً واحدة، فإن الحج هو تنظيم وإعداد وصهر لهذه الحياة التوحيدية . الحج هو ميدان استعراض طاقات المسلمين ومرآة اختبار قواهم المادية والمعنوية، هو كالقرآن يستفيد الكل منه، ولكن المفكرين والغواصين والخبراء بآلام الأمة الإسلامية إذا وجهوا قلوبهم إلى بحر معارفه، ولم يخافوا الاقتراب منه والغوص في أحكامه وسياساته الاجتماعية، فسيصطادون أكثر من أصداف هذا البحر جواهر الهداية والرشد والحكمة والحرية، وسيرتوون إلى الأبد من زلال حكمته ومعرفته. ولكن ما العمل؟ وكيف التخلص من هذا الهم الكبير، همّ أن الحج قد غدا ـ كالقرآن ـ مهجوراً؟ !وبمقدار ما خفي كتاب الحياة والكمال والجمال ذاك في حجبنا المصطنعة، وبمقدار ما دفن هذا الكنز من أسرار الإبداع في أعماق ركام أتربة أفكارنا المنحرفة، وبمقدار ما أنزل لسان الأنس والهداية والحياة والفلسفة الصانعة للحياة، ليغدو لسان الوحشة والموت والقبر، كذلك ابتلي الحج أيضاً بالمصير نفسه، مصير أن يحج ملايين المسلمين كل سنة إلى مكة، ويضعوا أقدامهم في مواقع أقدام النبي وإبراهيم وإسماعيل وهاجر، ولكن دون أن يسأل سائل منهم :من كان إبراهيم ومحمد عليهما السلام، وماذا فعلا؟ .ماذا كان هدفهما؟ ماذا أرادا منا؟ لعل الشيء الوحيد الذي لا يفكّر به هو هذا.!! إن حجّاً دون روح، ودون انتفاضة وتحرّك.. وحجاً دون براءة ..، وحجاً دون وحدة، وحجاً لا ينتج منه هدم الكفر والشرك.. ليس حجاً على الإطلاق .!والخلاصة أن على المسلمين جميعاً أن يعملوا على بعث الحج والقرآن الكريم وإعادتهما إلى ميادين حياتهم، وان على المحققين الإسلاميين الملتزمين،

بتبيانهم المعاني والأهداف الصحيحة والواقعية لحكمة الحج، أن يطرحوا في البحر كل أضاليل العلماء البلاطيين وبدعهم الخرافية .أما ما يجب أن يعمله الحجاج الأعزاء، فهو أن أمريكا وآل سعود، إذ صوّروا حادثة مكة على أنها صراع طائفي وتجاذب قوى بين الشيعة والسنة، وصوّروا إيران وقادتها على أنهم يحلمون بإمبراطورية واسعة يسعون للوصول إليها، إنما أرادوا تضليل الكثيرين من الغافلين عن مسير الحوادث السياسية في العالم الإسلامي، وممن يجهلون الخطط المشؤومة لناهبي الشعوب بتصوير صرختنا بالبراءة من المشركين وكفاحنا من أجل حرية الشعوب على أنهما يهدفان إلى تقوية سلطتنا السياسة وإلى توسيع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، طبعاً لا غرابة ولا تعجب عندنا ولا عند جميع المفكرين والمحللين المعلقين على النيات القذرة لأجهزة آل سعود أن تّتهم إيران والحكومة التي نادت منذ بداية النصر حتى الآن بوحدة المسلمين، والتي عدت وتعد نفسها في جميع حوادث العالم الإسلامي، شريكة المسلمين في همومهم وأفراحهم .. أن تتهمها بالتفرقة بين المسلمين وتمزيق صفوفهم أو فوق ذلك، أن تتهم الحجاج الذين دفعهم عشقهم لزيارة ضريح النبي والحرم الإلهي الآمن للسفر إلى الحجاز بالتجييش والتجهيز والتعبئة لاحتلال الكعبة وحرق حرم الله وهدم مدينة الرسول، جاعلين البرهان على ذلك اشتراك حرس وجنود ومسؤوليتيكما من دولتنا في مراسم الحج .أجل، في منطق آل سعود، يجب أن يكون الجندي والحارس في الدولة الإسلامية غريبين عن الحج، ومثل هذه الأسفار منهم إلى ديار الإسلام هي عند المسؤولين

الحكوميين والعسكريين ودعاة للتعجب وسبب للتآمر! يجب في منطق الاستكبار أن يكون ذهاب مسؤولي الدول الإسلامية إلى بلاد الفرنجة، إذ ما شأن هؤلاء والحج !إن عملاء أمريكا، يعدون إحراق العلم الأميركي بمثابة إحراق الحرم، ويعدون شعار "الموت لروسيا وأمريكا وإسرائيل" عداءً لله والقرآن والنبي، ويصفون مسؤولينا وعسكريينا المرتدين لباس الإحرام بقادة المؤامرة !الواقع أن دول الاستكبار الشرقية والغربية، وبخاصة أمريكا وروسيا، قد قسمت العالم عملياً إلى قسمين: قسم حر، وقسم حجر سياسي؛ ففي القسم الحر من العالم هناك الدول الكبرى التي لا تعترف بأي مدى أو حد أو قانون، وتعتبر الاعتداء على مصالح الآخرين، واستعمار الشعوب واستثمارها واستعبادها أمراً ضرورياً ومبرراً ومنطقياً ومنطبقاً على جميع المبادئ والموازين الدولية والموضوعة من قبلها هي. أما في قسم الحجر السياسي الذي تحاصر وتسجن فيه للأسف معظم شعوب العالم الضعيفة وبخاصة المسلمين منها، فلا وجود إطلاقا لحق الحياة وإبداء الرأي. إن القوانين والمقررات والأنظمة جميعها، هي القوانين المفروضة والمنسجمة مع أهواء النظم العميلة والمؤمّنة لصالح المستكبرين. والمؤسف أن معظم متولي السلطات التنفيذية في هذا القسم هم الحكام المفروضون أو أتباع النهج الاستكباري العام الذين يعدون حتى صرخة الألم من داخل جدران هذه السجون والسلاسل جريمة لا تغتفر، فمنافع ناهبي الشعوب تمنع على أي كان حق التلفظ بأي كلمة يشم منها إضعافهم أو تعكير صفو راحة نومهم .وبما أن مسلمي العالم لا يتمكنون بسبب عوامل الضغط والسجن

والإعلام من التعبير عن مصائبهم وآلامهم التي يفرضها عليهم حكامهم، فالواجب أن يسمح لهم بعرض مآسيهم وآلامهم في الحرم الإلهي الآمن بكل حرية، حتى يفكر سائر المسلمين في حلول لتحريرهم .لذا فنحن نلح ونصر على أن يرى المسلمون أنفسهم، في بيت الله والحرم الإلهي الآن على الأقل، أحراراً من جميع العتاة وأغلالهم، وأن يعلنوا في تظاهرة كبرى براءتهم مما ينفرون منه ويستنكرونه، ويستفيدوا من كل وسيلة ممكنة لخلاصهم. لقد أخذت حكومة آل سعود على عاتقها مسؤولية حماية حجاج الله، ولهذا نقول بثقة، إن حادثة مكة ليست منفصلة عن السياسة الأساسية لناهبي الشعوب القائمة على إبادة المسلمين الأحرار واستئصال أفتهم. إننا مع إعلاننا البراءة من المشركين، كنا وما نزال مصممين على تحرير الطاقات المكبوتة للعالم الإسلامي، وسيأتي يوم بعون الله يتحقق فيه هذا العمل على أيدي أبناء القرآن، كما سيأتي يوم إن شاء الله يصرخ فيه جميع المسلمين والمظلومين بوجه الظالمين في العالم كلّه، ويثبتون أنّ القوى العظمى وأجراءها ومرتزقتها هم أبغض موجودات العالم .إن مجزرة حجاج بيت الله هي مؤامرة لحماية سياسات الاستكبار ولمنع انتشار الإسلام المحمدي الصحيح؛ وان صحيفة الأعمال السوداء المخزية لحكام الدول الإسلامية العديمي الوجدان إنما هي حكاية لتراكم الآلام والمصائب على الجسم المنهك للإسلام والمسلمين .إن نبي الإسلام ليس بحاجة إلى المساجد الارستقراطية والمآذن المزخرفة، نبي الإسلام كان همه عزة أتباعه ورفعتهم، هؤلاء الذين ـ لشديد الأسف ـ أنزلهم الحكام العملاء إلى حضيض الذل. ألا

هل يمكن أن ينسى مسلمو العالم فاجعة مجزرة المئات من العلماء والألوف من النساء والرجال من المذاهب الإسلامية المختلفة طوال حياة آل سعود المخزية، وكذا مجزرة حجاج بيت الله الحرام؟ !ألا يرى المسلمون أن المراكز الوهابية في العالم اليوم قد غدت مراكز للفتن والتجسس، مراكز يروج أصحابها لإسلام أبي سفيان، إسلام الفقهاء البلاطيين القذرين، إسلام المتظاهرين بالتدين والقداسة من عديمي الشعور في الحوزات العلمية الفقهية والجامعية، إسلام الذل والصّغار، إسلام المال والسلطان، إسلام الخداع والتلفيق والتبعية، إسلام تحكم الرأسمال والرأسماليين بالمظلومين والحفاة، وبكلمة واحدة يروّجون للإسلام الأمريكي من جهة ويمرغون جباههم على عتبة سيدتهم أمريكا الجشعة من جهة أخرى !إن المسلمين لا يعرفون كيف يداوون جرح أن "خادم الحرمين" واجهة آل سعود يطمئن إسرائيل "إننا لن نستعمل أسلحتنا ضدك" ويقدم لأجل إثبات صحة تعهده على قطع علاقاته بإيران !!حقاً، كم يجب أن تكون الرابطة بين حكام الدولة الإسلامية وبين الصهيونية قد بلغت من الحرارة والحميمية ليمحوا في مؤتمر القمة الإسلامي من جدول أعمالهم حتى موضوع عدائهم الصوري الظاهري لإسرائيل! لو كانت لهؤلاء ذرة من الغيرة والحمية الإسلامية والعربية، ما كانوا يوافقون على مثل هذه الصفقة السياسية القذرة، وعلى بيع أنفسهم وبيع أوطانهم . أليست هذه الأعمال عاراً على العالم الإسلامي ومدعاة للخجل؟ أليس الوقوف منها موقف المتفرج إثماً وجريمة؟ !أصحيح مّنا أن نجلس صامتين ليتجاهل حكام الدول الإسلامية أحاسيس مليار

مسلم، ويضفوا الشرعية على تلك الفواجع الصهيونية الرهيبة كلها، ويعيدوا إلى الساحة ثانية مصر وأضرابها! هل سيصدق المسلمون، في هذه الحال، أن الحجاج الإيرانيين قد تحركوا لاحتلال بيت الله وحرم النبي، وإنهم يريدون أن يسرقوا الكعبة وينقلوها إلى قم؟! لو صدّق مسلمو العالم أن حكامهم هم أعداء حقاً لأمريكا وروسيا وإسرائيل لكانوا صدقوا أيضاً دعايات حكامهم ضدنا. لقد أعلناّ نحن بالطبع مرات كثيرة حقيقة واقعية في سياستنا الإسلامية الخارجية والدولية، هي أننا كنّا وما نزال نسعى لتوسيع نفوذ الإسلام في العالم، وتقليص سلطة ناهبي الشعوب. فإذا كان خدام أمريكا يسمون هذه السياسة سعياً للتوسع وتفكيراً في تشكيل إمبراطورية كبيرة، فإننا لا نخشى هذا "الاتهام" ونتقبله بسرور.نحن مصممون على استئصال جذور الفساد .إننا نعتزم إيباس الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم. لقد قررنا أن نستأصل ـ بعون الله العظيم وعنايته ـ الأنظمة القائمة على هذه القوائم الثلاث، وان نشيع في عالم الاستكبار نظام إسلام رسول الله ﷺ، وستشهد الشعوب الأسيرة ذلك عاجلاً أم آجلاً .إننا سنمنع بكل وجودنا وطاقاتنا توسع الابتزاز الأمريكي وتوسع حصانة عملاء أمريكا، حتى لو اقتضى الأمر منّا الكفاح بالقوة، وإننا ـ إن شاء الله ـ لن ندع لحن التعاون والتوافق مع أمريكا وروسيا والكفر والشرك يعزف من الكعبة وأرض الحج، من هذا المنبر العظيم الذي يجب أن يعكس من فوق سطحه الإنساني أصوات المظلومين إلى جميع العالم؛ ونسأل الله أن يمنحنا القدرة على أن نجعل صرخة "الموت لأميركا وإسرائيل" تنطلق لا من

كعبة المسلمين فقط بل ومن كنائس العالم أيضاً .ألا فليعتزّ مسلمو العالم ومحرومو المعمورة كلهم بهذا النفق الطويل إلى ما لا نهاية الذي أوجدته الثورة الإسلامية لجميع ناهبي الشعوب، وليتنسموا أريج الحرية وليرفعوا شعار التحرير والتحرر في حياتهم ومصائرهم، وليمسحوا ببلسمه جراحهم، فقد شارف عهد القنوط واليأس في منطقة الكفر على الانتهاء وأزهرت حدائق الشعوب، وأملي أن يشهد المسلمون جميعاً تفتّح براعم الحرية، ويتنشقوا نسائم عطر الربيع، ويتحّسسوا رقة ورود الحب، ويتذوقوا عذوبة زلال إرادتهم الفوارة كالينابيع الدفاقة. إن علينا جميعاً أن نخرج من حمأة الصمت ومستنقع التقاعس الذي بذر فيه عملاء السياسة الأمريكية والسياسة الروسية بذور الموت والعبودية، وان نتوجه إلى البحر الذي فارت منه "زمزم"، فنغسل بدموع عيوننا أستار الكعبة وبيت الله الذي لوّثته أمريكا وأبناؤها بأيديهم النجسة .
أيها المسلمون في جميع أقطار العالم، بما أنكم تحت سلطة الأجانب مبتلون بالموت البطيء، عليكم أن تنتصروا على الخوف من الموت، وان تستفيدوا من وجود الشبان المندفعين المتطوعين للشهادة المستعدين لاختراق خطوط جبهة الكفر .لا تفكروا في الإبقاء على الوضع القائم، بل فكروا في التخلص من الأسر وفي التحرر من العبودية والثورة على أعداء الإسلام، لأن العزة والحياة إنما هما في ظل الكفاح، وان أول خطوة في الكفاح هي الإرادة، وعاهدوا أنفسكم بعد ذلك على منع سيادة الكفر والشرك العالمي وبخاصة أمريكا . ونحن سواء كنّا في مكة أو لم نكن فان قلوبنا وأرواحنا مع إبراهيم وفي مكة !!وسواء أغلقوا أبواب

مدينة الرسول أو فتحوها في وجوهنا، فان حبل محبتنا للنبي لا ينقطع قط ولا يهن. نصلي ووجوهنا نحو الكعبة، ونموت ووجوهنا نحو الكعبة، ونشكر الله على أننا بقينا ثابتين على ميثاقنا مع رب الكعبة، وأننا قد أقمنا قواعد البراءة من المشركين مرفقة بدماء الألوف المؤلفة من شهدائنا الأعزاء، ولم ننتظر مساندة أو تأييداً من فاقدي الشخصية من بعض حكام الدول الإسلامية وغير الإسلامية. إننا، نحن المظلومين المحرومين الحفاة دائماً في التاريخ، ليس لنا غير الله، ولو قطعونا ألف مرة قطعة قطعة لن نتوقف عن محاربة الظالمين .يجب تهشيم مخالب الدول العظمى وأسنانها. إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تشكر المسلمين الأحرار في العالم، الذين استطاعوا ـ رغم الضغوط السياسة الخانقة عليهم ـ بتنظيمهم المحاضرات والمؤتمرات والخطب أن يفضحوا أسرار جرائم أمريكا وآل سعود، وان يعزّفوا للدنيا كلها الظلم الذي لحق بنا. ويجب أن يعلم المسلمون، أنه مادام ميزان القوى في العالم لم يمل إلى صالحهم فان مصالح الأجانب ستقدم دائماً على مصالحهم، وسيفتعل الشيطان الأكبر أو الروس كل يوم حادثة بحجة الحفاظ على مصالحهم .إذا لم يحل المسلمون مشكلاتهم مع ناهبي الشعوب بصورة جدية، وإذا لم يوصلوا أنفسهم إلى حدود القوة العظمى في العالم، فهل سيكونون حقاً في أمان؟ إذا حوّلت أمريكا الآن دولة إسلامية إلى كومة من خراب وتراب بحجة الدفاع عن مصالحها، فمن سيقف في وجهها؟! إذن فلم يبق أمامنا إلا الجهاد، ويجب تهشيم مخالب الدول العظمى وأسنانها، وبخاصة أمريكا، وانتخاب واحدة من

الطريقتين :إمّا الشهادة وإمّا النصر؛ وكلاهما نصر في مدرستنا!! إلى أن يمنح الله تعالى جميع المسلمين القدرة على تحطيم أسوار سياسات التعسّف والظلم التي يعتمدها ناهبو الشعوب، والجرأة أيضاً على إيجاد دروع لمحور الكرامة الإنسانية؟ ويعين الجميع على الخروج من أفول الذل إلى صعود العز والمنعة. إن البعض لم يدركوا جيداً، قبل حدوث واقعة الحج المرّة الحلوة في العام الماضي، معنى إصرار الجمهورية الإسلامية الإيرانية على مسيرة البراءة من المشركين، وكانوا يسألون أنفسهم وسواهم أنه ما الموجب في سفر الحج وفي ذلك الطقس الحار لتنظيم المسيرة وإطلاق دعوة الجهاد؟! وحتى إذا أطلقت دعوة البراءة من المشركين، فما الضرر الذي سيلحق بالاستكبار؟ وكم من السذج البسطاء كانوا يتصورون أن عالم ناهبي الشعوب الذي يوصف بالمتمدن ليس أنه سيتحمل مثل هذه الأمور السياسية فقط، بل أكثر من هذا، فإنه سيسمح لخصومه بتنظيم التظاهرات والمسيرات، والدليل على ذلك الإذن بالمسيرات التي تنظم في البلاد الغربيّة التي توصف بالحرّة! ولكن الواجب أن يكون واضحاً أن ذلك النوع من المسيرات لا يتضمن أي ضرر للقوى العظمى وغير العظمى.إنها مسيرة مكة والمدينة التي سيعقبها إغلاق أنابيب نفط الجزيرة العربية .. إنها لمسيرة مكة والمدينة التي ستنتهي بزوال عبيد روسيا وأمريكا، وتماماً لأجل هذا السبب بالذات تمنع هذه المسيرة بمجزرة جماعية للأحرار من النساء والرجال، وانه في ظل هذه البراءة من المشركين يدرك حتى البسطاء والسذج حرمة الخضوع والتذلل على عتبة روسيا وأمريكا .ألا فليثق شعب إيران العزيز

الشجاع، أن حادثة مكة هي بداية تطورات كبرى في عالم الإسلام، ومدخل صالح لاستئصال الأنظمة الفاسدة في الدول الإسلامية، ولطرد المتزيّين بزي رجال الدين .إن ملحمة البراءة من المشركين لم يمر عليها أكثر من سنة، ومع ذلك فإن عطر الدماء الطاهرة لشهدائنا الأعزاء، قد ضمّخ العالم كله، ونحن نرى آثارها في أقصى نقاط العالم. فملحمة شعب فلسطين ليست وليدة صدفة؛ ترى هل تتصور الدنيا من هم الذين أنشأوا هذه الملحمة؟ وإلى أية شعارات يستند شعب فلسطين حين يواجه دون رهبة وبأيد خالية هجمات الصهاينة الوحشية؟ هل هو نداء الوطنية وحده الذي خلق من وجودهم عالماً من الصمود؟! أمن أشجار لاعبي السياسة الذين باعوا أنفسهم تنهمر على الفلسطينيين أثمار الصمود وزيتون النور والأمل؟ كيف يكون ذلك وهؤلاء قد عاشوا سنوات طويلة في جدار الفلسطينيين وتعيّشوا باسم الشعب الفلسطيني؟ !لا شك أنه نداء "الله أكبر"، نداء شعبنا الذي دفع الشاه في إيران ودفع الغاصبين في بيت المقدس إلى اليأس، وهو شعار تحقق البراءة نفسه الذي رفعه شعب فلسطين في تظاهرات الحج جنباً إلى جنب أخواته وإخوته الإيرانيين حين نادى بصرخة تحرير القدس، ورفع الصوت بشعار الموت لأمريكا وروسيا وإسرائيل، وسال دمه وسكن شهيداً على مهد الشهادة نفسه الذي سالت عليه دماء أعزائنا. أجل إن الفلسطيني الذي ضلّ طريقه وجدها في طريق براءتنا، ورأينا كيف انهارت في هذا الصراع الأسوار الحديدّية، وكيف انتصر الدم على السيف، والإيمان على الكفر، والصرخة على الرصاصة، وكيف خاب حلم بني إسرائيل في

الحكم من النيل إلى الفرات، وشعّ مرّة أخرى كوكب فلسطين الدري من شجرتنا المباركة اللاشرقية واللاغربية .وكما تقوم اليوم في العالم كله مساع كثيرة لجرّنا إلى مهادنة الكفر والشرك، تقوم مساع على الصورة نفسها لإطفاء شعلات غضب شعب فلسطين المسلم. هذا نموذج واحد لتقدّم الثورة. وإن أعداد المؤمنين بمبادئ ثورتنا الإسلامية تتضاعف اليوم في أرجاء المعمورة، ومثلهم أيضاً أولئك الذين يوقّعون بحبر دمائهم عرائض حمايتنا، ويقولون بألسنتهم وأجسادهم وأجسامهم "لبيك" لثورتنا، والذين سيرثون الأرض بعون الله ويمسكون بأيديهم مقدراتها.

مقتطفات

بين الحين والحين أجد أثناء المطالعات أمورا تدعني حيران، ولم تزل ولا تزال تمرّ بي منها قضايا تؤكّد لي أنني وفّقت للاختيار الصائب، وتجنّبت ما فيه وخز الضمير، لأنّ أهم شيء في حياة الإنسان بينه وبين نفسه الانسجام، وأتعس شيء أن يكون الإنسان يعيش على خلاف معتقده وهو يدري.

من بين ما صادفته في مطالعاتي ما يلي:

محمد بن حمد بن خلف أبو بكر البندنيجي حنفش الفقيه، تحنبل ثم تحنّف ثمّ تشفّع، فلذا لقب حنفش. ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وسمع الصيريفيني وابن النقور وأبا البناء وتلا عليه وعنه السمعاني وابن عساكر وابن سكينة. قال أحمد بن صالح الختلي: كان يتهاون بالشرائع ويعطل ويستخف بالحديث وأهله ويلعنهم وقال السمعاني كان يخل بالصلوات. توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[1].

أقول: تنقل هذا الرجل بين المذاهب لكنه لم يكن طويل النفس فتوقّف في منتصف الطريق، ولم تسمح له نفسه بالتلبيس فأعلن تمرّده وصار يلعن أصحاب الحديث. ويبدو أنّ له أقوالا ومواقف ضرب عليها الفكر السّلفي حصارا فلم يكن لها صدى ولم يصل إلينا منها شيء!

١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي الوفاة: ٧٤٨ هـ ج ٦ ص ١٢٤/ ١٢٥ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود

وليس هذا الرجل أوّل ولا آخر من كان يخلّ بالشرائع إخلالا ظاهرا، فهناك أيضا آخرون منهم: الشيخ زاهر بن طاهر النيسابوري الشحاميّ المستملي- المتوفّى سنة ٥٣٣ هـ . قال الذهبي في ترجمته له :" قال أبو سعد السمعاني كان مكثرا متيقّظا ورد علينا مرو قصدا للرواية بها، وخرج معي إلى أصبهان لا شغل له إلا الرواية بها، وازدحم عليه الخلق، وكان يعرف الأجزاء، وجمع ونسخ وعمر. قرأت عليه تاريخ نيسابور في أيام قلائل كنت أقرأ فيه سائر النهار، وكان يكرم الغرباء ويعيرهم الأجزاء ولكنه كان يخلّ بالصلوات إخلالا ظاهرا وقت خروجه معي إلى أصبهان، فقال لي أخوه وجيه: يا فلان، اجتهد حتى يقعد لا يفتضح بترك الصلاة، وظهر الأمر كما قال وجيه، وعرف أهل أصبهان ذلك وشغبوا عليه وترك أبو العلاء أحمد بن محمد الحافظ الرواية عنه وأنا، فوقت قراءتي عليه التاريخ ما كنت أراه يصلي وعرّفنا بتركه الصلاة أبو القاسم الدمشقي قال: أتيته قبل طلوع الشمس فنبّهوه فنزل لنقرأ عليه وما صلّى، وقيل له في ذلك فقال: لي عذر، وأنا أجمع الصلوات كلها. ولعله تاب والله يفغر له. وكان خبيرا بالشروط، وعليه العمدة في مجلس الحكم. مات بنيسابور في عاشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة. قلت[1]: الشره يحملنا على الرواية لمثل هذا"[2].

١- القائل هو الذهبي.
٢- سير أعلام النبلاء، اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله الوفاة: ٧٤٨ هـ ج ٢٠ ص ١١ / ١٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣، الطبعة : التاسعة، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

وقال الذهبي بترجمة أخيه: وأبوبكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي أخو زاهر، توفي في جمادى الآخرة عن ستّ وثمانين سنة. سمع القشيري وأبا حامد الأزهري ويعقوب الصيرفي وطبقتهم وطائفة بهراة وببغداد والحجاز، وأملى مدّة، وكان خيّرا متواضعا متعبّدا لا كأخيه، وقد تفرّد في عصره[1].

أقول : تضمن كلام الذهبي السابق شهادة منه على نفسه وأشباهه أن علمهم ليس خاليا من الشّره وحظوظ النفس، وهو أمر لم يتفطّن له كثير من الرواة والمحدثين في الوقت المناسب، وقد كان لسفيان الثوري كلام بهذا الخصوص. عن المعافى بن عمران قال سمعت سفيان الثوري يقول: وددت أن كلّ حديث في صدري وكلّ حديث حفظه الرجال عنّي نُسِخ من صدري وصدورهم، فقلت: يا أبا عبد الله ذا العلم الصحيح وذا السنة الواضحة التي بثثتها تمنّى أن ينسخ من صدرك وصدور الرجال، قال: اسكت وما يدريك، لست أريد أن أقف يوم القيامة حتى أسأل عن كلّ مجلس جلسته وعن كلّ حديث حدثته أيش أردت به؟»[2].

ومن بين ما وقعت عليه في موطأ[3] مالك وغيره[4] ما يلي:

١- العبر في خبر من غبر، الذهبي الوفاة: ٧٤٨هـ ج ٤ ص ١١٣: مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤، الطبعة : ط٢، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد.
والعبارة في شذرات الذهب ج ٤ ص ١٣٠، دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ الطبعة : ط١، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط .

٢ – تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٣٣ ص٣٦١.

٣ – ليس وضع الهمزة المتطرفة على الألف محلّ إجماع بينت اللغويين.

٤- القصة مذكورة في: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة الكوفي الوفاة: ٢٣٥ هـ ج ٥ ص ٤٧ و ج ٦ ص ٦٤ مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت. ومعرفة السنن والآثار عن

وحدّثني عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمْرة بنْت عبد الرحمن أنّ أبا بكْر الصّدّيق دخل على عائشة وهي تشْتكي ويهوديّة ترْقيها فقال أبو بكْر أرقيها بكتاب الله[1].

وجاء في كتاب الأمّ حوار طريف بخصوص القصّة؛

سألْت الشّافعيّ عن الرّقْية فقال لا بأْس أنْ يرقى الرّجل بكتاب اللّه وما يعْرف من ذكْر اللّه. قلْت: أيرقى أهْل الْكتاب الْمسْلمين؟ فقال: نعم، إذا رقوا بما يعْرف من كتاب اللّه أو ذكْر اللّه. فقلْت: وما الْحجّة في ذلك؟ قال: غيْر حجّة؛ فأمّا رواية صاحبنا وصاحبك فإن مالكًا أخبرنا عن يحيى بن سعيد عن عمْرة بنْت عبد الرحمن أنّ أبا بكْر دخل على عائشة وهي تشْتكي، ويهوديّة ترْقيها، فقال أبو بكْر: أرقيها بكتاب اللّه. فقلْت للشّافعيّ

الإمام الشافعي للحافظ البيهقي الخسروجردي الوفاة: ١٠/جمادى الأولى/ ٤٥٨ هـ ج ٧ ص ٢٨٢: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، تحقيق : سيد كسروي حسن. و سنن البيهقي الكبرى للبيهقي الوفاة: ٤٥٨ هـ ج ٩ ص ٣٤٩: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق : محمد عبد القادر عطا. و الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر النمري القرطبي الوفاة: ٤٦٣هـ ج ٨ ص ٤١١ : دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سالم محمد عطا–محمد علي معوض.و معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري الوفاة: ٦٠٦ هـ ج ٧ ص ٥٥٩، مكتبة الحلواني/مكتبة دار البيان/مطبعة الملاح، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م. و المجموع للنووي الوفاة: ٦٧٦ هـ –، ج ٩ ص ٦٢ : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٧م. و الآداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح المقدسي الوفاة: ٧٦٣هـ–، ج ٢ ص ٣٣٨: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي الوفاة: ٧٧١هـ ج ٢ ص ١٣٧ هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ الطبعة : ط٢، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو.وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ج ١٠ ص٤٢: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

١– الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي الوفاة: ١٧٩ هـ–، ج ٢ ص ٩٤٣، تحت رقم١٦٨٨ دار إحياء التراث العربي – مصر – –، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

فإنّا نكْره رقْية أهْل الْكتاب، فقال: ولم وأنْتمْ ترْوون هذا عن أبي بكْر ولا أعْلمكمْ ترْوون عن غيْره من أصْحاب النبيﷺخلافه وقد أحلّ اللّه جلّ ذكْره طعام أهْل الْكتاب ونساءهمْ، وأحْسب الرّقْية إذا رقوا بكتاب اللّه مثْل هذا أو أخفّ"[1].

والعجيب أن عائشة زوج النبيﷺتروي ما يشعر أنها تعلّمت الرقية من النبيﷺ، وهي قطعا أفضل من رقية اليهودية! فلماذا استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!على أن الحديث في العلل الواردة مختلف تماما، إذ فيه:حدّثنا عليّ بن عبد الله بن مبشّر، حدّثنا أحمد بن سنان بن أحمد القطّان، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثنا سفيان الثّوريّ، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة عن عائشة، أنّ النّبيّﷺدخل على عائشة، وعندها امرأة ترقيها من النّملة، فقال : ارقيها بكتاب الله[2].

وهذا يعني أن الذي أرشدها إلى الرقية بكتاب الله هو النبيﷺ خلافا للرواية التي تذكر أبا بكر! وعليه يكون النبيﷺ موافقا على الرقية من طرف امرأة لا نعرف عنها شيئا، فلماذا لم تطلب عائشة بنت أبي بكر من رسول اللهﷺ أن يرقيها هو بدلا من أن تلجأ إلى امرأة؟!

وإذا كانت المرأة يهودية كما هو في معظم الروايات فلماذا أعرضت عائشة بنت أبي بكر عن النساء المسلمات وفيهن﴿ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات..﴾؟

١- الأم، محمد بن إدريس الشافعي (الوفاة: ٢٠٤ هـ) ، ج ٧ ص ٢٢٨: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣، الطبعة : الثانية.

٢- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني البغدادي الوفاة: ٣٨٥ هـ ج ١٤ ص ٤٢٧ : دار طيبة – الرياض، ١٤٠٥ ، ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي.

ثم إن أبا بكر يقول: ارقيها بكتاب الله. فهو لا يرى حرجا في رقيا اليهود المسلمين، لكن عن أيّ (كتاب الله) يتحدّث ؟!

إن كان يريد القرآن فإنّ اليهوديّات لا يعرفن القرآن ولا يعترفن به. وإن كان يقصد التّوراة فإن القرآن الكريم قد شهد عليها بالتحريف، وفي تقديمها على القرآن وهو مهيمن عليها دخول في أمر عظيم. وقد حاول ابن بطّال الخروج من هذا الوضع المحرج فقال: وقد روى مالك في الموطأ أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر : ارقيها بكتاب الله. يعنى بالتوراة والإنجيل؛ لأنّ ذلك كلام الله الذي فيه الشفاء. وقد روي عن مالك جواز رقية اليهودية والنصراني للمسلم إذا رقى بكتاب الله، وهو قول الشافعي، وفي المستخرجة أن مالكًا كره رقى أهل الكتاب وقال: لا أحبه . وذلك والله أعلم لأنه لا يدرى هل يرقون بكتاب الله أو الرّقى المكروهات التي تضاهي السحر. وروى ابن وهب عن مالك أنه سئل عن المرأة التي ترقي بالحديدة والملح وعن التي تكتب الكتاب للإنسان ليعلّقه عليه من الوجع، وتعقد في الخيط الذي يربط به الكتاب سبع عقد، والذي يكتب خاتم سليمان فى الكتاب فكرهه كله وقال : لم يكن ذلك من أمر الناس القديم[1].

ومن بين ما اطلعت عليه:

١- شرح صحيح البخاري، ابن بطال البكري القرطبي الوفاة: ٤٤٩هـ ج ٩ ص ٤٢٨: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة : الثانية، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم

عن منصور بن عبد الرحمن، سمعت الشعبي[1] يقول : أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون : علي، وعثمان، وطلحة، والزبير في الجنة . **قلت**[2] : لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريّين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولان الأربعة قتلوا، ورزقوا الشهادة، فنحن محبّون لهم، باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة[3].

بأي حق استحلّ بعضهم قتال بعض؟

إذا كانوا من المبشرين بالجنة فعلى أي شيء اقتتلوا؟ إما أن يكونوا قد اقتتلوا على الدنيا فيكونوا شهداء الدنيا، وليس من أهل الجنة من يقتل أو يقتل في سبيل الدنيا.

وإما أن يكونوا قد اقتتلوا لأجل الدين، وهذا يعني ضلال بعضهم!

ثم إن الإمام علياًعليه السلام أحد المبشرين بالجنة فلماذا لعنه الصحابة والتابعون على المنابر؟ولماذا بقي اللعن يلاحقه تسعين سنة وهو الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؟ وهل يجوز لعن المبشر بالجنة على المنابر؟

١- اتّفقوا على أن الشعبي كان منحرفا عن الإمام عليعليه السلام.
٢- القائل هو الذهبي .
٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١ ص ٦١ .

كنت ـ أيام كنت على المذهب السابق ـ إذا صادفت مثل هذا لا يقصّر الإخوان في إعادتي إلى الجادّة بعبارات قد أعدّت سلفا للتّخويف من البدعة والضلال، والتذكير أن عدالة الصحابة خط أحمر، ولم يكونوا صادقين في ما كانوا يقولون لنا، لأنهم كانوا يخفون الحقائق وينبرون بشراسة لكل من يحاول مناقشتها، بدعوى أن " الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"! وكأننا نعيش في عالم لا فتنة فيه!

ليس ركوب الجمل لقتل المسلمين فتنة! وليس خروج طلحة والزبير وتمرّدهما فتنة! وليست أعمال معاوية المنافية للإسلام فتنة! وليس إجبار عبد الملك بن مروان المسلمين على الحج إلى بيت المقدس بدلا من الكعبة فتنة، وليس قتل الصحابة وانتهاك أعراض بناتهم في مدينة رسول الله ﷺ يوم الحرّة فتنة! لا، لا شيء من ذلك فتنة؛ الفتنة كل الفتنة أن تطرح سؤالا يتعلّق بالجيل الأوّل، لأن للجيل الأوّل حصانة دبلوماسية لا تقبل الجدل، بل إنّ على القرآن نفسه أن يسلك منهج التأويل حتى لا يعرّض عدالة الجيل الأول للتشكيك؛ وكاتب هذه السطور يشهد الله تعالى أن الجيل الأول جيل دمويّ بامتياز.

ومن بين ما وجدت: عبد الله بن محمد الكناني أبو الوليد روى عن أبي معاوية، وابن إدريس وأبي داود، كان كثير الحديث مشهورا بالطلب والكتابة ثم أفصح بموافقة الروافض وأنكر خلافة الصديق فيما حكي عنه، فجمع عبد العزيز بن دلف – وكان والي البلد – مشايخ البلد : أبا مسعود الرازي ومحمد بن بكار ومحمد بن الفرج وزيد بن خرشة وغيرهم، فناظروه على ما خالفهم فيه، فأبى إلا الثبوت على مقالته،

فضربه أربعين سوطا وباينه الناس وهجروه، وذهب حديثه وكتاب أبي مسعود المترجم بالردّ صنّفه ردّاً على الكتاني[1].

وقال السمعاني: فناظروه فأبى أن يرجع عن قوله، فضربه أربعين سوطا، فباينه الناس وهجروه، وبطل حديثه، وصنف أبو مسعود الرازي كتابا سماه الردّ على أبي الوليد الكناني[2].

أقول: إذا لم يكن هذا إرهابا فكريا،فما هو الإرهاب الفكري؟!

أعفّر وجهي بتراب قدمي هذا الرجل الذي ثبت على مقالته وتحمل ضرب السياط، ورضي أن يهجره الناس ويباينوه، وكل ذلك حبا في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وتعساً للفقهاء الذين يستعينون بحاكم جائر حين يعجزون عن البرهان العلمي!

من هو عبد الله بن محمد الكناني في كتب الرجال؟

عبد الله بن محمد الكناني يكنى أبا الوليد، روى عن أبي معاوية وابن إدريس وأبي داود، وكان مشهورا بكتابة الحديث والطلب ثم بدل به وقال بقول الرافضة وأنكر خلافة أبي بكر الصديق فأحضره عبد العزيز بن دلف والي البلد، فجمع مشايخ البلد منهم أبو مسعود ومحمد بن بكار ومحمد بن الفرج

---

١ – أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ) ، ج ٦ ص ٧٧.

٢ – الأنساب، السمعاني(الوفاة: ٥٦٢هـ)، ج٥ ص ٩٩، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الله عمر البارودي.

وزيد بن خرشة وغيرهم فناظروه على ما أبدعه فأبى أن يرجع عن قوله فضربه أربعين سوطا فباينه الناس وذهب حديثه وبطل[1].

ذكر عبد الصمد بن علي البغدادي حدثنا علي بن الحسن بن مسعود الرواد العسكري حدثنا أبو الوليد الكناني حدثنا أبو عاصم والفريابي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ يبعث كل عبد على ما مات عليه. حدث به أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين بن حمك الرازي ثنا عبد الصمد[2].

ويستفاد من الحديث أنّ من مات على حبّ محمّد وآل محمّد يبعث على حبّ محمد وآل محمد.

ومن بين ما وجدت:

قال الذهبي في ترجمة ابن أبي دارم: الإمام الحافظ الفاضل أبو بكر أحمد بن محمد السري بن يحيى بن السري بن أبي دارم التميمي الكوفي الشيعي محدث الكوفة. سمع إبراهيم بن عبد الله العبسي القصار وأحمد بن موسى الحمار وموسى بن هارون ومحمد بن عبد الله مطينا ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وعدة .حدث عنه الحاكم وأبو بكر بن مردويه ويحيى بن إبراهيم المزكي وأبو الحسن بن الحمامي والقاضي

١- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد الأنصاري الوفاة: ٣٦٩،ج٢ص ٣٢٩ تحت رقم٢٠١، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي.

٢ – تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني الوفاة: ٤٣٠ هـ ج ٢ ص١٠، تحت رقم ٩٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سيد كسروي حسن.

أبو بكر الحيري وآخرون . كان موصوفا بالحفظ والمعرفة إلا أنه يترفّض قد ألف في الحط على بعض الصحابة وهو مع ذلك ليس بثقة في النقل ومن عالي ما وقع لي منه : أخبرنا الحسن بن علي أخبرنا جعفر بن منير أخبرنا أبو طاهر السلفي أخبرنا القاسم بن الفضل أخبرنا أبو زكريا المزكي أخبرنا أبو بكر بن أبي دارم بالكوفة حدثنا أحمد بن موسى بن إسحاق حدثنا أبو نعيم عن زكريا عن الشعبي سمعت النعمان بن بشير يقول قال رسول الله ﷺ: الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس من ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي إلى جنب الحمى يوشك أن يواقعه الحديث متفق عليه.مات أبو بكر في المحرم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة وقيل سنة إحدى وخمسين. قال الحاكم هو رافضي غير ثقة . وقال محمد بن حماد الحافظ كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب حضرته ورجل يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت محسنا.وفي خبر آخر قوله تعالى﴿ وجاء فرعون ﴾ عمر ﴿ ومن قبله﴾ (أبو بكر) ﴿والمؤتفكات﴾ (عائشة وحفصة) فوافقته وتركت حديثه. قلت شيخ ضال معثر[1].

أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن رجل شتم رجلا من أصحاب النبي ﷺفقال ما أراه على الإسلام إسناده صحيح. (٧٨٣) أخبرني يوسف بن موسى موسى أن أبا عبدالله سئل وأخبرني علي بن

---

١ – سير أعلام النبلاء ، الذهبي (الوفاة: ٧٤٨ هـ)، ج ١٥ ص ٥٧٦ /٥٧٨ :تحت رقم ٣٤٩ مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

عبدالصمد قال سألت أحمد بن حنبل عن جار لنا رافضي يسلم علي أردّ عليه؟ قال: لا . إسناده صحيح. (٧٨٤) أخبرنا إسماعيل بن إسحاق الثقفي النيسابوري أن أبا عبدالله سئل عن رجل له جار رافضيّ يسلّم عليه؟ قال: لا . وإذا سلّم عليه لا يردّ عليه. إسناده صحيح. (٧٨٥) كتب إلي يوسف بن عبدالله قال ثنا الحسن بن علي بن الحسن أنه سأل أبا عبدالله عن صاحب بدعة يسلم عليه قال إذا كان جهميا أو قدريا أو رافضيا داعية فلا يصلي عليه ولا يسلم عليه إسناده صحيح[1].

أقول: انظر رحمك اله إلى مبلغهم من الوقاحة وسوء الأدب مع الله تعالى! يقولون عن أهل القبلة " لا يصلّى عليه " لأنّه ليس على مذهبهم! وانظر إلى قوله " يسلّم علي أردّ عليه؟ قال: لا" المخالف لصريح القرآن ﴿فحيّوا بأحسن منها أو ردوها﴾. هذا الفقيه يردّ على الله تعالى[2] وينسخ شرعه، باسم الدين! يقول الله تعالى ﴿فحيّوا بأحسن منها أو ردوها﴾ ويقول هو : لا تحيّوا بأحسن منها ولا تردوها. وهو مع ذلك فقيه كبير!

ومن بين ما وجدت:

قيس بن الربيع أبو محمد الأسدي الكوفي يروي عن أبي حصين وأبي إسحاق الهمداني. قال يحيى: ليس بشيء وقال مرة ضعيف. وقال مرة لا يكتب حديثه. وقيل لأحمد لم ترك الناس حديثه؟ قال: كان يتشيّع وكان

---

١ - السنّة ، أبو بكر الخلال، الوفاة: ٣١١ هـ ، ج ٣ ص ٤٩٤/٤٩٣ دار الراية ، الرياض ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عطية الزهراني.

٢ – الفقهاء على القول بوجوب رد السلام وجوب كفاية.وأية التحية في سورة النساء ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾. النساء : ٨٦

[كثير] الخطأ في الحديث، وروى أحاديث منكرة، وكان ابن المديني ووكيع يضعفانه. وقال السعدي: ساقط. وقال الدارقطني: ضعيف الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. وكان شعبة وشريك يثنيان عليه. وقال أبو داود: إنما أتي قيس من قبل ابنه كان يدخل أحاديث الناس فيدخلها في فرج كتاب قيس ولا يعرف الشيخ ذلك. وقال ابن حبان: تتبعت حديثه فرأيته صادقا إلا أنه لما كبر ساء حفظه فيدخل عليه فيجيب فيه ثقة بابنه فوقعت في المناكير في روايته فاستحق المجانبة. قال أبو الفتح الأزدي: حدثنا ابن منيع حدثنا محمود بن غيلان قال قال لي محمد بن عبيد (كان قيس بن الربيع استعمله أبو جعفر على المدائن فكان يعلّق النساء بأثدائهن ويرسل عليهن الزنابير)[1] .

أقول: تضاربت الأقوال في هذا الرجل، لكن المقطع الأخير لا ينبغي التسامح معه، فإن الرجل كان فعلا من عمال المنصور الدوانيقي، والمنصور كان دمويا، يستعمل الدمويين، وعدم إنكاره على قيس بن الربيع للعمل البشع الذي يقوم به دليل على أن المنصور لم يكن فيه رائحة الدين. ومع ذلك تجده ممدوحا في تحقيقات الوهابيين وحواشيهم.

ومن بين ما وجدت في مطالعاتي:

روى ابن عباس رضي الله عنه ، قال : دخلت على عمر في أول خلافته ، وقد ألقي له صاع من تمر على خصفة ، فدعاني إلى الأكل ، فأكلت تمرة واحدة ، وأقبل يأكل حتى أتى عليه ، ثم شرب من جر كان عنده ،

---

١ - كتاب الضعفاء والمتروكين ، ابن الجوزي (الوفاة: ٥٧٩ هـ)، ج ٣ ص ١٩ تحت رقم ٢٧٧٤ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، الطبعة ١ ـ تحقيق : عبد الله القاضي.و الجوهر النقي ، علاء الدين علي بن عثمان ، الشهير بابن التركماني (المتوفى : ٧٥٠هـ) الوفاة: ٧٥٠ ، ج ١ ص ٣٩٥ وج٧ص٢٧٦ .

واستلقى على مرفقة له ، وطفق يحمد الله يكرر ذلك ، ثم قال : من أين جئت يا عبد الله ؟ قلت : من المسجد ، قال : كيف خلفت ابن عمك ؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر ، قلت : خلفته يلعب مع أترابه ، قال : لم أعن ذلك ، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت ، قلت : خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان ، وهو يقرأ القرآن ، قال : يا عبد الله ، عليك عليه ؟ قلت : نعم ، وأزيدك ، سألت أبي عما يدعيه ، فقال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول **لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً** ، ولقد كان يربع في أمره **وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام،** لا ورب هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه، فامسك وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم"[1].

أقول: هذا كلام خطير! وفيه أنّ عُمر يعلم ما في النفوس، وبالذات ما في نفس رسول الله ﷺ! فأين نحن من﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علام الغيوب﴾! وأخطر منه قوله: **ذرو من قول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذراً** ، فإنّ مقتضاه أن أقوال وأفعال رسول الله ﷺ ليست حجّة، وأن النبي ﷺ لم يؤدّ وظيفة البيان المأمور بها في قول الله تعالى﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم..﴾!

ومن بين ما وجدت:

١- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ ، ج١٢ ص١٤/١٣.: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.

وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته لولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السموات والأرض ولا من فيهن ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع وكيف ينكر أيها النفاج أن عرشه يقله والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته ولكنه فوق السماء السابعة[1].

قال ابن تيمية بعد الاستشهاد بكلام الدارمي:

وهذا الحديث قد يطعن فيه بعض المشتغلين بالحديث، انتصارا للجهمية، وإن كان لا يفقه حقيقة قولهم وما فيه من التعطيل، أو استبشاعا لما فيه من ذكر الأطيط كما فعل أبو القاسم المؤرخ، ويحتجون بأنّه تفرّد به محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن جبير، ثمّ يقول بعضهم ولم يقل ابن إسحاق حدّثني فيحتمل أن يكون منقطعا. وبعضهم يتعلل بكلام بعضهم في ابن إسحاق، مع أن هذا الحديث وأمثاله وفيما يشبهه في اللفظ والمعنى لم يزل متداولا بين أهل العلم خالقا عن سالف ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدق به راد به على من خالفه من الجهمية متلقين لذلك بالقبول[!] حتى قد رواه الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه في التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بأحاديث الثقات المتصلة الإسناد، رواه عن بندار كما

---

١ - نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد ، عثمان بن سعيد الدارمي (الوفاة: ٢٨٠هـ) ، ج ١ ص ٤٥٨، مكتبة الرشد ، السعودية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : رشيد بن حسن الألمعي

رواه الدرامي وأبو داود سواء وكذلك رواه عن أبي موسى محمد بن المثنى بهذا الإسناد مثله سواء فقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب يعني ابن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وعن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله ﷺأعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله ويحك أتدري ما تقول فسبح رسول الله ﷺفما زال يسبح حتى عرف ذلك[1]..

والكلام عن المولى سبحانه وتعالى، وهو في نظر هؤلاء في وسعه أن يستقر على طهر بعوضة! وهذا كلام لم تقله لا اليهود ولاالنصارى ولا المجوس. ووافق ابن تيمية الدارمي ودافع عنه، وزعم أن الحديث لم يزل سلف الأمة وأئمتها يروونه رواية مصدق به راد به على من خالفه من الجهمية متلقين لذلك بالقبول[!] فماذا عسانا أن نقول عن إله يستقر على ظهر بعوضة! قد يكون معبود الدارمي وابن تيمية كذلك! أما ربنا سبحانه وتعالى فلا سبيل إلى الحديث عن ذاته، وأنى للمخلوقين أن يحيطوا بالخالق، وقد قال الإمام علي عليه السلام:

أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ؛ لشهادة كل صفةٍ أنها غير الموصوف ، وشهادة كل

---

١ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية الحراني الوفاة: ٧٢٨ هـ ، ج ١ ص ٥٧٠ : مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ، ١٣٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزاه ، ومن جزاه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال : فيم ، فقد ضمنه ، ومن قال : علام ، فقد أخلى منه[1].

ولابن أبي الحديد بخصو ص معتقدات المجسمة إشارات لطيفة وإيرادات ظريفة لا بأس بذكرها؛ قال:

وحكي عن مقاتل بن سليمان ، وداود الجواربي ، ونعيم بن حماد المصري ، أنه في صورة الإنسان ، وأنه لحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان و رأس وعينين وهو مع ذلك لا يشبه غيره ، ولا يشبهه غيره ، وافقهم على ذلك جماعة من العامة ومن لا نظر له .

وحكي عن داود الجواربي أنه قال : اعفوني من الفرج واللحية وسلوني عما وراء ذلك . وحكي عنه أنه قال : هو أجوف من فيه إلى صدره ، وما سوى ذلك مصمت . وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقي كان يقول : إن له وفرة سوداء . وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلوة والمجالسة والمحادثة . وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى : ' في مقعد صدق عند مليك مقتدر ' ، فقال يقعد معه على سريره ويغلفه بيده . وقال بعضهم : سألت معاذاً العنبري ، فقلت : أله وجه ؟ فقال : نعم ؛ حتى عددت جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن ؛ واستحييت أن أذكر الفرج ؛ فأومأت بيدي إلى فرجي ، فقال : نعم ، فقلت أذكر أم أنثى ؟ فقال : ذكر ويقال : إن ابن خزيمة أشكل

---

١ - شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ ، ج ١ ص٥٠ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري

عليه القول في أنه : أذكر أم أنثى ، فقال له بعض أصحابه : إن هذا مذكور في القرآن ؛ وهو قوله تعالى : ' وليس الذكر كالأنثى ' ، فقال : أفدت وأجدت ، وأودعه كتابه . ودخل إنسان على معاذ يوم عيد ، وبين يديه لحم في طبيخ سكباج ، فسأله عن البارئ تعالى في جملة ما سأله ، فقال : هو والله مثل هذا الذي بين يدي ، لحم ودم . وشهد بعض المعتزلة عند معاذ ؛ فقال له : لقد هممت أن أسقطك ، لولا أني سمعتك تلعن حماد ابن سلمة ، فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكني ألعن من يقول : إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جمل في هودج من ذهب ؛ فإن كان حماد يروي هذا أو يقوله فعليه لعنة الله . فقال : أخرجوه ، فأخرج . وقال بعضهم : خرجنا يوم عيد إلى المصلى ، فإذا جماعة بين يدي أمير ، والطبول تضرب والأعلام تخفق فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل إلا طبلك فقيل له : لا تقل هكذا ، فليس لله تعالى طبل ، فبكى ، وقال : أرأيتم هو يجيء وحده ولا يضرب بين يديه طبل ، ولا ينضب على رأسه علم ، فإذن هو دون الأمير وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلاً ، فخلق نفسه من مثلها . وروى قوم منهم أنه نظر في المرآة صورة نفسه ، فخلق آدم عليها ، ورووا أنه يضحك حتى تبدو نواجذه . ورووا أنه أمرد جعد قطط ، في رجليه نعلان من ذهب ، وأنه في روضة خضراء على كرسي تحمله الملائكة .

ورووا أنه يضع رجلاً على رجل ، ويستلقي فإنها جلسة الرب .

ورووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه ، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة ، وأنه يتصور بصورة آدم ، ويحاسب الناس في القيامة ؛ وله حجاب من الملائكة يحجبونه . ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ' رأيت ربي في أحسن صورة ، فسألته عما يختلف فيه الملأ

الأعلى ، فوضع يده بين كتفي ، فوجدت بردها ، فعلمت ما اختلفوا فيه ' ورووا أنه ينزل إلى السماء في نصف شعبان ، وأنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب ، وأنه يأتي الناس يوم القيامة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيقول لهم : أفتعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة ، فيكشف لهم عن ساقه ، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها ، فيخرون له سجداً . ورووا أنه يأتي في غمام ، فوقه هواء ، وتحته هواء . وكان بطبرستان قاص من المشبهة ، يقص على الناس ، فقال يوماً في قصصه : إن يوم القيامة تجيء فاطمة بنت محمد ، معها قميص الحسين ابنها تلتمس القصاص من يزيد بن معاوية ، فإذا رآها الله تعالى من بعيد ، دعا يزيد وهو بين يديه ، فقال له : ادخل تحت قوائم العرش ، لا تظفر بك فاطمة ، فيدخل ويختبئ ، وتحضر فاطمة ، فتتظلم وتبكي ، فيقول سبحانه : انظري يا فاطمة إلى قدمي ، ويخرجها إليها ، وبه جرح من سهم نمرود ، فيقول : هذا جرح نمرود في قدمي ، وقد عفوت عنه ، أفلا تعفين أنت عن يزيد؟ فتقول فتقول هي : اشهد يا رب قد عفوت عنه . وذهب بعض متكلمي المجسمة إلى أن البارئ تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم . وقال بعضهم : إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد ، في رجليه نعلان من ذهب ، وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير. وقال بعضهم : إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه ، عليه كساء أسود ، ملتحف به . وسمعت أنا في عصري هذا من قال في قوله تعالى:﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾: إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم ، فقال له آخر على سبيل التهكّم به : يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به، فغضب وقال : هذا إلحاد . ورووا أنّ النار تزفر وتتغيظ تغيظاً شديداً ،

فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها ، فتقول : قط قط أي حسبي حسبي ، ويرفعون هذا الخبر مسنداً . وقد ذكر شبيه به في الصحّاح . وروي في الكتب الصّحاح أيضاً : أن الله خلق آدم على صورته ، وقيل : إنّ في التوراة نحو ذلك في السّفر الأول[1].

وقد اطلعت على أمور عجيبة بخصوص الفقيه مالك بن أنس، فقد اختلفوا في تحديد سنة ولادته، وصحة نسبه كما اختلفوا في مدة حمل أمه به وفي وفاته[2]؛ وهو الفقيه الذي كنت على مذهبه مدة من العمر فما هو القول الأرجح وما هي أدلّة رجحانه؟

قال ابن حجر في فتح الباري: وكان أبو عامر والد مالك قد قدم مكّة فقطنها، وحالف عثمان بن عبيد الله أخا طلحة فنسب إليه، وكان مالك الفقيه يقول لسنا موالى آل تيم إنما نحن عرب من أصبح ولكن جدي حالفهم[3].

وكان ابن شهاب الزهري ـ وهو أستاذ مالك ـ يعتبره من الموالي لا من العرب، وكذلك كان موقف ابن إسحاق، ولم يؤيد قول مالك ـ باستثناء عمّه أبي سهيل ـ أحد من التابعين أو من بعدهم من متقدمي المالكية.

---

١ – شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد الوفاة: ٦٥٥ هـ ، ج ٣ ص١٢٩ إلى ١٣٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري .

٢ – قال العيني ومات مالك سنة مائة ونحوها ، كما نقل عن ابن عبد البر ، وحكى الكلاباذي عن ابن سعد عن الواقدي : سنة إثنتي عشرة ومائة ، عن سبعين أو نيف وسبعين . وفي (الطبقات) لابن سعد : أنه شهد عمر ، رضي الله تعالى عنه ، عند الجمرة وأصابه حجر فدماه ، وفيه نظر ظاهر [عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني الوفاة: ٨٥٥هـ ، ج ١٠ ص ٢٦٧ : دار إحياء التراث العربي – بيروت].

٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (الوفاة: ٨٥٢ هـ) ، ج ٤ ص ١١٤: دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

هذا مع أن البخاري يقول في ترجمته: أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي المدني عن أبيه كنت اكتب المصاحف سمع منه ابنه مالك[1] .

وفي سنن البيهقي الكبرى: قال المبارك بن مجاهد : مشهور عندنا امرأة محمد بن عجلان تحمل وتضع في أربع سنين وكانت تسمّى حاملة الفيل (أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ انا مخلد بن جعفر نا محمد بن جرير نا الحارث بن محمد نا محمد بن سعد نا محمد بن عمر هو الواقدي قال سمعت مالك بن انس يقول قد يكون الحمل سنين وأعرف من حملت به أمه أكثر من سنتين يعنى نفسه[2].

ابن إسحاق زعم أن مالكا وأباه وجده وأعمامه موالي لبنى تيم بن مرة وهذا هو السبب لتكذيب مالك لمحمد ابن إسحاق وطعنه عليه، وقد روى عن ابن شهاب أنه حدث عن أبي سهيل نافع بن مالك فقال حدثني نافع بن مالك مولى التيميين وهذا عندنا لا يصح عن ابن شهاب وقد ذكر غير الواقدي أن أمه حملت به ثلاث سنين وأنه كان أشقر شديد البياض ربعة من الرجال كبير الرأس أصلع وكان لا يخضب شيبه[3].

وفي سير أعلام النبلاء :واختلف في حمل أمه به : فقال معن ، والصائغ ومحمد بن الضحاك : حملت به ثلاث سنين . وقال نحوَه والد الزبير بن

---

١ – التاريخ الكبير ، البخاري، ج٢ ص٣٠: تحت رقم ١٥٨٢ [دار الفكر ، تحقيق : السيد هاشم الندوي].

٢ - السنن الكبرى البيهقي – ج ٧ صفحة ٤٤٣ [دار الفكر]:

٣ - الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، بن عبد البر ، صفحة ١٢ [بيروت – دار الكتب العلمية]:

بكار ، وعن الواقدي : حملت به سنتين . قلت[1] : ودفن بالبقيع اتفاقا وقبره مشهور يزار ، رحمه الله[2].

هذه أقوال يردّها القرآن الكريم كما يردّها العلم والطبّ ومع ذلك لم تلق الاستنكار في أوساط المالكية؛ وقد كنت أيام كنا في باريس سألت بعض طلبة علم الطب عن هذه الحالة، فما كان منهم إلا أن تبادوا النظرات وضحكوا! وأخبرتهمأن هذا مذكور في كتب المسلمين وهو يتعلق بإمامهم مالك بن أنس الذي لا يزال يحكم المغرب العربي مع أنه لم يدخله يوما من الأيام! لا وقالوا لي في آخر الأمر: هذا أمر غير معقول! إما أن تموت المرأة وإما أن يختنق الولد. نعم يمكن أن يصل الحمل إلى الشهر العاشر ـ بصعوبة ـ أما ثلاث سنين فإنه يكون له أسنان!

---

١ – القائل هو الذهبي .

٢ - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ٨ صفحة ١٣٢ [مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان.

تستحق القراءة

مقالة وصلتني عن طريق البريد الإلكتروني من طرف أخ عزيز بتاريخ ٢٠١٣/٢/١٣ ، أنقلها إلى القارئ الكريم كما وصلتني، دون أن أنسى عبارة الأخ المرسل " مقالة رائعة تستحق القراءة "، والأمر كذلك، فإنها أعجبتني كما أعجبته.

يقول الكاتب(١):

من الأبيات المنسوبة لأبي الأسود الدؤلي قوله:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله – عار عليك إذا فعلت عظيم

وهناك بيت آخر مشابه ينسب له أيضا وهو قوله :

يا أيها الرجل المعلم غيره – هلا لنفسك كان ذا التعليم .

وربما يكون هذا المعنى مقتبسا من الآية القرآنية " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " وفي أمثالنا الشعبية يقال للإنسان المتناقض الذي يأمر

---

١ - الاسم المذكور أعلى المقالة هو: **بشير العتابي-كاتب سعودي.**

الناس بشيء ثم لا يطبقه هو بأنه " مثل بن الراوندي يعلم الناس على الصلاة وهو لا يصلي " . ورغم هذه الحكم والأمثال العربية الرائعة فقد وجدت العرب متناقضين على مر التاريخ . وللأمانة فليس كل العرب كذلك ولكني هكذا وجدت تاريخنا القديم والحديث واليكم الأمثلة.

ففي زمن الخليفة أبي بكر سمي من خرج عليه مرتدا كافرا بينما من خرج على الخليفة الرابع علي هو من الصحابة العدول المبشرين بالجنة وبعد ذلك وصلنا إلى مهزلة أن حجر ابن عدي رضي الله عنه قتله معاوية رضي الله عنه لأنه رفض أن يسب عليا رضي الله عنه . وعندما تسأل القوم : ما حكم من سب الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث أو أي أحد من الصحابة يُقال لك إنه كافر زنديق وفارسي مجوسي متآمر على الإسلام. وعندما تسألهم ما حكم الذي قاتل الصحابي والخليفة الرابع علي (والقتال أشدّ من السب) يقولون إنه اجتهد فأخطأ وله أجر واحد على اجتهاده . وعندما أراد رجل دين يحترم عقله مثل الشيخ الكبيسي أن يتصدى لهذه المهزلة شنوا عليه حملة شعواء واتهموه بالجهل والزندقة والرفض والجاسوسية للفرس المجوس. ويا ليتهم طبّقوا عليه مقولتهم الشهيرة بأنه مجتهد وله أجران إن التي حكمت بكفره سابقا بأنّه شهيد واحتجوا كثيرا لأنه أعدم في شهر ذي الحجة وهو من الأشهر الحرم ونسوا أن صدام قد غزا الكويت في شهر محرم الحرام وهو من الأشهر الحرم التي كانت العرب حتى في الجاهلية تحرم فيها القتال . ولا ننسى أن يزيد رضي الله عنه قتل الحسين رضي الله عنه في محرم الحرام أيضا وهو قد اجتهد فأخطأ . و لا أدري

لماذا لا يكون المالكي قد اجتهد فاخطأ بإعدام صدام يوم العيد وبذلك يكون له أجر واحد .

وعندما قامت أمريكا بحرب تحرير العراق مرت البوارج الحربية من قناة السويس وانطلقت الطائرات من القواعد الخليجية العربية لقصف العراق، وكانت القيادة المركزية للحرب في قاعدة السيلية القطرية، ومنها كانت تبثّ المؤتمرات الصحفية اليومية عن سير الحرب . وعندما انتهت الحرب بهزيمة الطاغية وهروبه المخزي من ساحة المعركة سارع هؤلاء العرب باتهام العراقيين بأنهم عملاء وأذناب المحتل وأنه يجب قتالهم فأرسلوا الانتحاريين والسيارات المفخخة لتحرير العراق من المحتل الأمريكي وأذنابه من الفرس المجوس. وقد جاء الانتحاريون من فلسطين والأردن وسوريا ليحرّروا العراقيين من الاحتلال الأمريكي، بينما نسوا الاحتلال الإسرائيلي القريب منهم . وهكذا المجاهدون السعوديون الذين نسوا القواعد الأمريكية عندهم. ومن أحبّ المناسبات عندهم التي يفضلون فيها قتل العراقيين هو العاشر من محرم الحرام فليتهم لم يسلموا وبقوا على جاهليتهم. ورغم أن البوارج مرت من مصر و انطلقت الطائرات من القواعد الخليجية وليس من إيران، ورغم أن صدام وقادة جيشه النظامي والجمهوري الذين فروا من ساحة الحرب ليسوا من الشيعة، فان الشيعة هم أذناب الاحتلال وهم سبب سقوط بغداد عاصمة الرشيد.

ولم تمض إلا بضع سنين ليأتي الربيع العربي ليكرس هذه الازدواجية . فالعرب ووعّاظ السلاطين كالقرضاوي يدعون الكفار من البريطانيين

والفرنسيين والأمريكان للتدخل العسكري وقصف مواقع القذافي لتحرير الشعب الليبي من ظلمه واضطهاده . وبعد سقوط طرابلس يستقبل الشعب الليبي كاميرون وسركوزي استقبال الأبطال الفاتحين . وعندما تم إعدام القذافي بدون محاكمة وتم انتهاك شرفه لم يعترض أحد ولم يصدر القرضاوي فتوى بأنّه شهيد الأمة ولم يقم الأردنيون الفاتحة على روحه ولم يذهب الانتحاريون المجاهدون من السعودية لتحرير ليبيا من أذناب المحتل القادمين على ظهور دبابات الناتو . وإذا كان صدام رئيسا مسلما فإن القذافي هو أيضا رئيس مسلم وكان يصلي بالناس جماعة ولم نسمع أنه ارتد عن الإسلام . وعندما ذهب القرضاوي وصلى بالناس جماعة في ساحة التحرير في القاهرة ظننت انه سيصلي الجمعة القادمة وسط المتظاهرين في دوار اللؤلؤة في البحرين .

وتتكرر المسألة في سوريا حيث تنشط السعودية وقطر من أجل التدخل الأجنبي الكافر لتحرير الشعب السوري المسلم. المتظاهرون المعارضون لنظام الأسد يرفعون الأعلام الأمريكية والفرنسية والبريطانية ويستقبلون سفراء هذه الدول بالورود. أما المتظاهرون المؤيدون لنظام الأسد فإنهم يرفعون أعلام روسيا والصين بسبب تدخلهما لمنع الضربة العسكرية للناتو. السعوديون والقطريون يدافعون بقوة عن الشعب السوري وحقّه بالحصول على نظام ديمقراطي وانتخابات ونسوا أنهم لا يسمحون بالتظاهر في بلدانهم وليس عندهم انتخابات أو تعددية. فالديمقراطية والانتخابات والتظاهر هي بدع مخالفة للإسلام جاءتنا من الغرب الكافر . وبينما تمتنع قطر عن إرسال وفد رفيع المستوى إلى قمة بغداد بسبب تهميش السنّة في العراق فإنها تقيم أفضل العلاقات مع إسرائيل التي تضطهد السنة في غزة، ويذهب أمير قطر إلى إسرائيل

فتستقبله وزيرة الخارجية الإسرائيلية وليس رئيس الوزراء. إن الازدواجية العربية التي فضحها الربيع العربي دعت إعلاميا بارزا مثل فيصل القاسم أن يكتب مقالا بعنوان " ألا يستحق العراقيون اعتذارا بعدما غدا الاستنجاد بالخارج حلالا " يدعو فيه صراحة للاعتذار من الشعب العراقي . ويتعجب القاسم من هذه الازدواجية العربية فيقول :

"والعجيب في الأمر أن الكثيرين مازالوا يعيّرون أعضاء الحكومة العراقية الحالية بأنهم أزلام الأمريكان وبأنهم عادوا إلى العراق على ظهور الدبابات الأمريكية ، مع العلم أن معظم المعارضين العرب الآن يناشدون الأمريكيين كي يساعدوهم في إسقاط بعض الأنظمة وبمباركة كاملة من الشارع العربي، حتى لو تطلّب ذلك قصفا أمريكيا مكثفا للعواصم العربية المعنية " . وبدوري هنا اسأل ألا يستحق السيد أحمد الجلبي أن يتمّ تنصيبه زعيما للربيع العربي باعتباره أوّل معارض عربي أيقن أن الأنظمة الشمولية الدكتاتورية لا يمكن أن تسقط إلا بالاستعانة بالقوى العظمى واستطاع إقناع الأمريكان بإصدار قانون تحرير العراق ؟ أم أن العرب لا يستطيعون التخلي عن مبدأ الكيل بمكيالين كما هو واضح من إصرارهم على محاربة التجربة العراقية ومن استمرارهم بدعم الأعمال الإرهابية في العراق رغم خروج قوات الاحتلال .

حَرضْ بَنيك على الآداب في الصِغَرِ ..... كَيْما تقِرَ بـــــهم عَيْناكَ فـــــي الكِبَرِ

وإنّمــا كامِـــلُ الآداب يجمَعُهـــا .... في عُنفوان الصِبا كالنقش في الحَجَرِ

هيَ الكُنــوزُ التي تَنْمُو ذخــائِرُها .. ولا يُخــافُ عليــها حادِثُ الغِيَــــرِ

النــــاسُ إثْنانِ ذُو علمٍ ومُسْتمع .... واعٍ وســـائرهمْ كاللَغْـــوِ والعُكَـــرِ

٢٠١٣/٢/١٣

أقول: حبذا لو كانت الجرائد والصحف العربية تسمح بنشر ما يشبه هذه المقالة وبمثل هذا النفس! فإنّ النفاق السياسي قد مسخ الكتابة في بلداننا وحولها إلى حضور واسع للتملّق والصلافة والخنوع والانبطاح.

الشيخ الأحمدي

كان المرحوم الشيخ موسى نويوات الأحمدي[1] عام١٩٩٠م يلقي دروسا خاصة يحضرها أئمة المساجد في المسجد العتيق بمدينة برج بوعريريج الجزائرية التي ولدتُ فيها. والشيخ موسى الأحمدي من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي وقفت إلى جنب الثوار أيام حرب التحرير، وحاربت الاستعمار الفرنسي باليراع والبيان إلى أن جاء الاستقلال، وبدل أن تكرّم الجمعية لمواقفها وتضحياتها كان نصيبها التّهميش ثمّ التجميد! أقول ـ شهادةً لله تعالى ـ: إنني سمعت كلمة مهمّة من الشيخ محمد الطاهر نور ﷀ[2]في إحدى جلسات دروس النحو التي كنّا نحضرها عنده، ولا يحلّ لي أن أزيد أو أنقص ممّا سمعت فأكون متعدّيا على حرمة رجل خرج من الدنيا منذ حدود ثلاثين سنة. ذكر لنا الشيخ محمد الطاهر نور ﷀأن الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمينﷀمرض مرضه الذي مات فيه، وزاره رئيس الدولة الجزائرية يومها أحمد بن بلّة، وكان بينهما حديث مختصر كشف عن موقف سلبي يتبناه الشيخ بخصوص سيرة الدّولة يومها، وقال له فيما قال: سترى يا أحمد، سترى قريبا نتيجة ما أقدمت عليه! ولم يمض أكثر من شهر حتى كان الانقلاب العسكري الذي قاده الرئيس الجزائري الراحل

---

١ - نسبة إلى بوحمادو، وهي قرية بين مدينتي المسيلة وسلمان في الجزائر.

٢- من طلبة العلم الذين درسوا عند ابن باديس.

هواري بومدين يوم١٩جوان ١٩٦٥، وسماه التصحيح الثوري، وجعل الجزائريين يحتفلون به سنويا بعنوان عيد من الأعياد الوطنية. وتمّ تغييب أحمد بن بلة فلم يظهر إلى أيام الرئيس الشادلي بن جديد.

بعد خمسين سنة من وفاة الشيخ الإبراهيمي كان الرئيس أحمد بن بلة لا يزال على قيد الحياة، ويقابل الإعلاميين ويجري لقاءات وحوارات بثتها فضائيات جزائرية، لم يتعرّض فيها لما جرى بينه وبين الشيخ ! تجاهل أحمد بن بلة جمعية العلماء المسلمين، والشيخ البشير الإبراهيمي تجاهلا تامّا، وهذا سلوك مخالف للمروءة والإنصاف. ومن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ موسى الأحمدي، وقد شاءت الأقدار أن أعرفه في طفولتي لأنه كان مدير مدرسة التهذيب التي دخلتها سنة ١٩٦٤م، وكان معلّمنا يومها الشيخ عيسى حاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

في إحدى جلساته في المسجد العتيق كان الشيخ موسى الأحمدي يلقي درسا في المواريث(الفرائض) وكان أئمة المساجد يستمعون إليه ويسجّلون ملاحظاتهم بين الحين والحين.

انتظرت حتى إذا انتهى الدرس اقتربت منه وسلّمت ثمّ سألته سؤالا وأنا أعلم أن الجواب عنه عندنا في المغرب العربي ليس بالسّهل. لم يكن سؤالي إحراجا له ـ شهد الله ـ فإنّ له عليّ حقوقا كثيرة، فهو مدير أوّل مدرسة ارتدتها، وهو أكبر مني سنّا، ومن أهل العلم، ومن أعضاء جمعية العلماء المسلمين، إنّما أردت أن أعرف شيئا ما عن جواب عالم سنّي يجد تناقضا بين ما يتبنّاه ويدرسه وما هو موجود في كتاب الله تعالى. أردت أن أرى وأسمع وأفهم!

قلت للشيخ: لم يكن على عهد رسول الله ﷺ شيء اسمه العول في المواريث، ولم يثبت أن رسول الله ﷺ أشار إليه بنحو ما، فكيف صار

يعمل به فيما بعد ولا هو في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه ﷺ، والحال أن الشريعة تنبني عليهما؟

كنت أتوقّع من الشيخ أن يبدأ ببسط مقدّمة ينفذ من خلالها إلى الموضوع ويجيبني جوابا يليق بمستواه العلمي. لكن حدث ما لم أكن أتوقّعه، فقد قال لي: إنه من اجتهاد سيدنا عمر!

قلت له: ولكنه لا ينسجم مع القرآن والسنة، ومن الممكن أن يكون المجتهد عمر بن الخطاب قد أخطأ.

وهنا انتفض الشيخ كأنما كشف عنه الغطاء وقال: ما هذا؟

ما هذه الجرأة؟ ما الذي أصاب الناس حتى صاروا يتحدّثون عن عمر بن الخطاب بهذا الشكل؟!

حينما سمعت هذا الكلام استشعرت الخطر وتسلّلت من المسجد قبل أن يحلّ بي ما ليس في وسعي دفعه، والعافية خير من البلاء.

هكذا تجري الأمور، يحقّ لعمر بن الخطاب أن يردّ على رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يحقّ لأحد أن يستفهم ويستفسر حينما يفتي عمر بن الخطاب بما يخالف ما جاء به رسول الله ﷺ .

لا شك أن الشيخ موسى الأحمدي صادق في تديّنه، يشهد له بذلك كل من عرفه، ولا شكّ أنّه صادق في الدفاع عن الخليفة عمر، لكن هل يكفي أن يكون الإنسان صادقا، أم ينبغي أن يكون أيضا على صواب؟!

لا شك ـ عندي ـ أن الشيخ موسى الأحمدي أعلم من عمر بن الخطاب بكثير، لكنّه لا يوظّف نعمة العقل في محلّها، لأنه ينتمي إلى مدرسة تقرّ أنّ العقل هو مناط التكليف، وتحاصره في نفس الوقت، لذلك فإنه لا

ينصدم إذا وجد التناقضات في سلوك عمر بن الخطاب، لكنّه يرى مخالفة الخليفة شيئا إدّاً يكاد السماوات يتفطّرن منه. وإذا علمت أنّ أمثال الشيخ الأحمدي في أمّتنا كثيرون سهل عليك فهم المصيبة وتداعياتها، فالوعي لا يدرّس مثل النحو واصرف والرياضيات.

الأحمدي نسبة إلى قرية قرب مدينة المسيلة تسمى(بوحمادو)، و(بوحمادو) هو **أبو أحمد** النحوي، قضى عمره في تعليم الناس النّحو، ومن بين أبواب النّحو باب (الأسماء الخمسة) التي تجرّ بالياء بصورة مطّردة، لكنها في حقّه هو جاءت بالعجب فاحتفظت بواوين، واو دائمة بدل الياء وأخرى في آخر الممنوع من الصرف!

أيام العشرية السوداء

عشر سنوات من العنف والقتل يسميها الجزائريون " العشرية السوداء"، وقد تابعها العالم باهتمام، باعتبار الجزائر البوابة المركزية لإفرقيا بالنسبة إلى الأوروبيين؛ ولا يخفى مدى اهتمام دولة فرنسا بما يجري في المغرب العربي عامة، والجزائر خاصة، باعتبارها المستعمر السابق! هذا المستعمر الذي لا يزال يتصور أنه يملك حق التدخل، وأن أمن دول المغرب العربي من أمنه القومي.

ظهر في الجزائر إسلاميون يعتقدون أن عوام الناس لا يمكن أن يفهموا الإسلام إلا من خلالهم. وقبيل العشرية السوداء حدث غزو الكويت من طرف الحكم العراقي، وكان للإسلاميين في الجزائر صولات وجولات ، ولكن كانت لهم أيضا وضعيات محرجة. فهم محسوبون على السعودية، والشعوب العربية ضحية الإعلام العربي البائس وقفت إلى جنب طاغية العراق! ووجد الإسلاميون أنفسهم في وضعية غامضة لا تتحمل المنطقة الرمادية، وهكذا تحولوا إلى وسطاء. مجموعة النحناح من جهة، ومجموعة عباسي مدني وبلحاج من جهة، وأشباه الوسطاء من الأحزاب الإسلامية الأقل أهمية يحاولون التنسيق بين إيقاع العازفين وحركات الراقصين، وكانت رحلات ورحلات، وانتهت الرحلة بـ" النحناح " إلى الترشح إلى انتخابات رئاسة الجمهورية، بينما وجد عباسي مدني وبلحاج نفسيهما في السجن، وبعدها تفجر الوضع.

لقد كان الإسلام ولا يزال آلـة الوصـول إلـى الزعامـة والرياسـة، والـذين يستعملون الدين آلة لحظوظ الـنفس مـن الـدنيا مـن أدنـى النـاس همّـة وأضيقهم أفقا، يأخذون من الدين ما خالطتـه الـدنيا، فـإذا عـارض الـدين الصحيح مصالحهم فتحوا عليه نيران التأويل والتوجيه والتبريـر، وسـاعتها ويل لمن يحاول أن يكون على نهج يقول﴿ ماذا بعد الحـق إلا الـضلال﴾. وعلى كل حال، فقد الناس في الجزائر ثقـتهم فـي الإسـلاميين، وانحلّـت جبهـة الإنقـاذ وأصـبحت تـسمى ″ الحـزب المحظـور″، وتغلـب ذكـاء الإخواني الذي درس في بريطانيا على سذاجة السلفي الـذي لـم يغـادر القصبة وباب الواد، وانتقل عباسي مـدني إلـى فنـدق مـن فنـادق قطـر الفاخرة، وانتقل أولاده إلى شرق آسيا، وبقـي علـى بلحـاج وأولاده فـي العاصمة الجزائرية. وأصبحت قضية الإسلاميين في الجزائر من الماضي.
بمقتضى الديمقراطية تقدم ناشطون إسلاميون في الجزائر إلى الـسلطات المعنية بطلب اعتماد حزب اختاروا له اسم ″ الجبهة الإسلامية للإنقـاذ″ ، فلما حصلوا على الموافقة وفتحوا لهم مكاتب في مختلف مناطق الـبلاد قالوا : ″ الديمقراطية كفر ″!

إذا كانت الديمقراطية كفرا فكيف تقدمتمإليها بطلبكم؟! وهل يعطي الكفر إلا الكفر؟! ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ .

وانحاز قادة الإنقاذ من بداية الغزو إلى الرئيس العراقي ومجموعته، وهم يعلمون أن لذلك عواقبه، باعتبار متانة العلاقات بين أمريكا ودول الخليج الفارسي، وأن أمريكا مستعدة لتدمير نصف العالم لأجل الحفاظ على محمياتها في الخليج. لكن شهوة الوصول إلى السلطة أعشت أبصار كثيرين، وسلبتهم الأناة والتروي.. ودفعوا الثمن .

كان هناك أيامها خبير استراتيجي فلسطيني ـ نسيت اسمه ـ يظهر على شاشة التلفزيون يخدّر العقول ويوهم الناس بانتصار الجيش العراقي على الجيش الأمريكي وجيوش الائتلاف الذي معه!

ومرت أيام، وبدأت الحرب، وانهزم صدام ومن معه، وعادت دولة الكويت إلى أصحابها، وبدأت محنة الإسلاميين في الجزائر. كنتُ أيامها في الجزائر، وقد أحسست بغموض المرحلة القادمة، وأنا أعاني من مضايقات الإسلاميين في مدينتنا، وقد منعوني من دخول المساجد، وحصلت أمور أفضّل ترك الدخول في تفاصيلها، وصار معلوما أن حياتي في خطر، فنصحني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بالسفر إلى أي بلد آخر، بعد أن وصل هو بدوره إلى نفس القناعة، وهي أن حياتي في خطر. وكنت بعدها أردد قول الله تعالى﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها..﴾. شرعت في تهيئة الأسباب للخروج من الوطن مرة أخرى، لكن إلى فرنسا هذه المرة، وسافرت أكثر من مرة، وتم بحمد الله تعالى تسجيلي في الجامعة..

في باريس

في باريس اختلفت الحال عما كانت عليه في البلد. لم أعد ألتفت كثيرا أثناء مشيي في الشارع، والسلفيون الذين أراهم ويرونني لا أعرفهم و لا يعرفونني، وبدأت أستعيد الأمان الذي فقدته عاما كاملا. وكان ذلك مدعاة لتعجبي إلى درجة الحيرة! عجيب هذا الزمان! يستطيع المسلم أن يجد الأمن في بلاد الكفر، ولا يستطيع أن يأمن على نفسه بلد يرتفع فيه صوت الأذان، ومصدر الخوف المؤذّنون أنفسهم. يستطيع الإنسان أن يتحدث بحرّية في أي موضوع يحسن الخوض فيه دون أن يخشى سرعة العقوبة من طرف من لا يوافقه في الرؤية، ولا يستطيع أن يفعل ذلك في بلده الذي ولد وتربى فيه!

كنا نتناول مواضيع دينية مع المسيحيين واليهود في الجامعة وخارجها، وينتهي النقاش كما تنتهي مقابلة رياضية ودّية، لكننا لا نستطيع فعل ذلك مع المسلمين الذين هم أبناء ملّتنا.

أذكر أن عراقيا اسمه **شاكر** وصل إلى باريس هاربا من حكم صدام الذي نكّل بالناس بعد الانتفاضة الشعبانية ، وبما أنه لا يحسن اللغة الفرنسية فقد وجد صعوبة في التواصل مع الناس. وفي الأخير دُلّ على مسجد في حي كورون فيه مسجدان. كان المسكين يتوقع أنّ مسلمي باريس على قلب رجل واحد، وذهب إلى مسجد " عمر بن الخطاب " ليتحدّث مع إمام المسجد ويستشيره ويطلب منه المساعدة باعتباره ابنَ سبيل وغريباً ليس له أحد في عاصمة فرنسا.

عرفوا أنه عراقي، فسألوه عن مذهبه، وأخبرهم عن مذهبه، وهنا كانت الطامة! تناولته الأيدي والأرجل، وأخذ سهمه من الضرب في المسجد، نعم في المسجد، وخرج الرجل هاربا وهو لا يصدق أنه نجا!

حدث هذا داخل المسجد، ومعلوم أن مسجد عمر في الحي المذكور في باريس أكثر الذين يرتادونه من "جماعة الدعوة والتبليغ" المسالمة والداعية إلى المحبة والتآخي. وأذكر أنّ أحد العناصر البارزة التي ترتاد المسجد رآنا في منى في الحجّ عام ١٩٩٥ م وراح يتعامل معنا آمراً ناهياً وبوقاحة، لأنه يرى نفسه " أميرا " حتى في الحجّ، ولأننا نحن ـ في نظره ـ مسلمون من الدرجة الثانية لا يمكن أن نرقى يوما من الأيام في مستواه العلمي!

الجهل المركب عند جماعة الدعوة والتبليغ لا يقبل المعالجة، لأنّ الجماعة تدعو إليه وتعتبره مقدّسا، وأصل الجماعة من الهند، من نظام الدين. وأهمّ شيء عندهم التقليل من الأكل و النوم والكلام. ولا بأس بما عدا ذلك كما فعل إمام المسجد المذكور الذي جمع الأموال لشراء عقار تستفيد منه الجماعة وتتخذه مركزا لها في ، وفعلا جُمعت الأموال واشتُري العقار[١] لكن سجّله الرجل باسمه الشخصي، وحينما أنكروا عليه تعجّب من استنكارهم، واعتبر أنّ العقار قليل بالنسبة إلى جهوده المبذولة لدى الجماعة!

---

١ - عبارة عن قصر مسجل في التراث الثقافي الفرنسي، وحينما أراد الإمام المذكور أن يجري عليه تعديلات تناسب ذوقه وذوق الجماعة رفضت السلطات الفرنسية أن تعطيه ترخيصا، باعتبار المكان مسجلا ضمن التراث الثقافي الفلرنسي، شأن كثير من القصور والممتلكات ذات الارتباط بتاريخ فرنسا. هذا ما ذكر لنا يومها، والله أعلم بحقيقة الأمر.

كتب إليّ أخي يوماً من الجزائر يسألني عن الأحوال والأجواء، وذلك أنه قرر السفر إلى فرنسا للدراسة، لأن الوضع في البلد لم يعد يطاق. قتلى وتفجيرات بالجملة، وخوف يهيمن على حياة الناس، ومذابح رهيبة تجري، ثم يتبادل الجيش والإرهابيون التّهم. وقد كشفت الأيام فيمابعد أن الإرهابيين المتلبسين بالإسلام لا يعرفون شيئا اسمه الرّحمة.

قرأت رسالة أخي، ثم أخذت القلم لكتابة الجواب، ورحت أبحث عن الكلمات المناسبة، لأن الوضع صعب، والمستشار مؤتمن، ثم بدا لي أن أجيبه بطريقة أخرى، فجلست ورحت أنتظر إلى أن جاءت الكلمات:

خُطى في الظلام
وغمْغمة من وراء الجدار
ألحّت على رعشة في جفوني
تسرّب لليل حزن النهار
شوارع باريس في ذكرياتي
محطات شوق وطول انتظار
وكنا ونحن بعيدون عنها
ونحن صغار
إذا ذكروها ركبنا الخيال
نسابق أعمارنا حالمين
نشق الغمائم شوقا لرؤية أحلى المدائن خلف البحار
ودار الزمان مدى يا عزيزي
وحلم الطفولة في القلب ينمو

على الرغم من قسوة الفقر ينمو
يغذّي الخواطر ليل نهار
ويااليته ظلّ حلما بعيد المنال ولم ينتحر بالمطار
هنا يا ابن أمي
كنائس مهجورة من زمان
سوى زُمر السائحين الكسالى
قد انتصبت تستعيد القرون
كأعمدة آذنت بانهيار
وفوق الرصيف
بقايا تخبّر عن مدمنين
وبائعة الجنس مفعمة الحسّ
قد نبت الوهْم في وجنتيها
تحدّق في العابرين بلهْف
مداعبةً شعرها المستعار
وشاشات باريس في كل يوم
تذيع الدّمار كأنْ لا دمار
وتختم سادتي السامعين
بزوبعة في المدارس قامت
لأن فتاة بذات صباح
تزيت كأم أبيها قليلا
وأرخت على رأسها بخمار

هنا يا ابن أمي
تشير الأصابع دوما إلينا
إذا اهتز ركن ودوّى انفجار
فنحن العدوّ القديم اللدود
ونحن بقايا فلول التّتار
أكاذيب في كل درب وصوب
يوشّحها أطرافها مستشار
وطيف الربا يستفز البنوك
ويعزف رائعة في القمار
هنا الكلب يمشي ويرفل تيها
وينظر فينا بكل احتقار
هنا سجن كل أبيّ غيور
ومرتع أهل الخنا والصغار
هنا ـ لا تلمني ـ نموت ببطء
ونقطع ساعاتنا في احتضار

فن الهروب

لا أدري إن كان قد سبقني أحد إلى الخوض في هذا الموضوع بالطريقة التي أريدها، ولا أدري إن كان قد ألّف فيه تأليف، كلّ ما أنا على يقين منه هو أن هذا الموضوع يستحقّ أن يكتب ويتحاور فيه، لأنّ له أثره على ثقافة المسلمين بشكل واسع، ولا أبالغ إن قلت إنّ لأصحابه مسؤوليّة فيما يحدث من إرهاب في مشارق الأرض ومغاربها. الموضوع هو فنّ الهروب، وقد يبدو لأوّل وهلة غامضا، باعتبار أنّ الفنّ إنّما يتعلّق بالبراعة والجمال والتفوّق وتصوير ما يسرح في الخيال، إلا أنّ ما نحن فيه بلغ أصحابه من قوّة التمكّن والملكة والمهارة ما يجعلهم ضمن الفنّانين، وليس فنّهم بالريشة أو القيثارة أو العود، وإنما هو باللسان!

كنت أيّام الشباب أقف عند بعض الآيات القرآنية متعجّبا، لأن مصاديقها لم تكن واضحة لدي باعتبار أننا نعيش في مجتمع مسلم لا يقبل أحد من أبنائه أن يوصم بالنفاق، ولا يرضى له ذلك أحد؛ لكن، حينما تجاوزت الخمسين بدأت أنظر إلى الأمور نظرة أخرى، ولا تزال الآيات والدلائل تتوالى لتثبت لي أنّ أفضل من يصغي إليه الإنسان هو قلبه، وأن شرّ من يصغي إليه الإنسان هو نفسه. ولربّما ساعدني على رؤية كثير من الأمور بشفافية ووضوح كوني بعيدا عن الأهل والأصدقاء القدامى، وهو ما يسمح لي بالتحرّر في اتّخاذ القرار والموقف، فلا أضطرّ إلى المجاملة والمداراة في أشد الأمور حساسية، ولا إلى إظهار ما لا أحب إظهاره محافظة على صديق أو قريب. وقد سمحت لي الأسفار والتنقّلات بلقاء كثير من المخالفين ومحاورتهم، وكان منهم المعتدل والمتطرف، لكن المؤسف هو أن المعتدلين كانوا يمارسون الهروب هم أيضا ولكن

بطريقة مهذّبة، يخرجون عن الموضوع شيئا فشيئا، ثم يدخلون في موضوع جديد بعد أن يحكموا بناء الجسر بين الموضوعين، ثم تستحيل العودة إلى الموضوع السابق! وأعجب ما في القضيّة أنّهم يتعاملون مع ذلك ببساطة وعفوية وكأنّه أمر جائز صحيح لا إشكال فيه ولا غبار عليه، والحال أنّه أمر غير مقبول لأنه نوع من الغشّ وإن كان يتمّ بطريقة ناعمة! هل هو سلوك إنساني طبيعي؟ أم ردّ فعل مخافة التّزعزع والتّزلزل حينما يتعلّق الأمر بمناقشة المعتقدات والأفكار؟ أم سلوك متعمّد للبقاء على صلة متوازنة بالمحيط؟ لا أدري! النتيجة التي وصلتها إليها من خلال الحوارات والمناقشات طيلة ربع قرن تفيد أنّ كثيرا من المحاورين يفتقدون الشجاعة في اتخاذ الموقف، لأنني لاحظت مرّات أنّ المحاور يعجز أن يعلّق على أمر واضح مع أنّه ليس معنا غيرنا نحن الاثنين، وهو يعلم قطعا أنني لا أفشي شيئا مما يجري بيننا من حديث؟هذه الظاهرة تستحق الدراسة، لأنها تساهم ـ في نظري ـ في تسهيل الحوار وتنحية سوء الظن جانبا، كيما يحتفظ المحاور بشيء مهم جدّا في المحادثة ألا هو احترام الطرف المقابل. إذا تصوّر أحد المتحاوريْن أنّ الطرف المقابل يغشّ فإن ذلك سيسقطه من عينه، وربما أحدث عنده ذلك تأثّرا يجرّه إلى تغيير الطريقة واستعمال ما يشعر الطرف الآخر أنّه قد فقد مصداقيّته واحترامه، وعندها قد يأخذ الوضع شكلا آخر كالمشاجرة بدل المحاورة، أو تبادل التّهم، وقد رأينا الكثير من هذه الأمور على الفضائيات!

مرة أخرى أعود إلى مسألة التربية وأثرها في الحوار وأقول: إن غياب موضوع الحوار في المنظومات والبرامج التربوية قد حرم المثقّفين من بناء الشخصيّة الحواريّة المتوازنة في الوقت المناسب الذي تترسخ فيه الأفكار والملكات. وليس هذا الكلام مثاليا أو طوباويا، لأنه سهل

التطبيق، ولا يزاحم بقية البرامج بل يساعد على سهولة إجرائها وضمان احترام حقيقي بين المعلم والمتعلم.

شاهدت مرة حوارا بين الأستاذ أنيس وشاب **مثقف** مصري قد أرخى شعيرات وشدّها، فكان الأستاذ نقاش يسأله عن السفينة فيجيب بالحديث عن الجبل، وكان يسأله عن الأحمر فيجيبه عن الأسود! لم ينته الحوار حتى كدت أختنق، لأن الشاب كان يجسّد مسخ الثقافة العربية، ويكشف ما كان يحاول ستره السياسيّون من عجز وقصور خلال ربع قرن من الزمان في بلداننا العربية.

في وسعي تقديم نماذج وقصص بخصوص ما ذكرته، لكنّني أكتفي بالإشارة إلى ما يجري في حوارات الفضائيات، فإن في ذلك شاهدا حيّا ناطقا، لا ينكره أهل الإنصاف.

كنا أيام الشباب شديدي التعلّق بسعيد حوى ويوسف القرضاوي وعبد الله عزام وتلك الأسماء اللامعة، نتخذهم قدوة لنا قولا وعملا، ونعتقد فيهم التقوى والإخلاص وكل الصفات التي يحبها الله تعالى، ولم يكن يخطر بالبال أنهم كانوا مجرّد حاخامات! يشرف أكثرهم شخصيا على تنفيذ المشاريع الصهيونية طواعية لا عن إكراه! وأنا أعذر مسبقا من يصدمه هذا الكلام، ولكن ذلك لا يمنعني من شهادة لله تعالى بما هو أهله، بعيدا عن الدوافع الشخصية التي لا يخفى عليه سبحانه وتعالى شيء منها. وليكن الحديث عن القرضاوي وسعيد حوى أولا.

يوسف القرضاوي القطري يتحدّث عادة عن الأخلاق ، وهو ممّن شنوا الحرب على الأخلاق والقيم الإنسانية، وعندنا في شمال إفريقيا يقولون

عن قليل الحياء " وجهه من قصدير"!

يعشق على طريقة "مجنون ليلى" وهو في حدود الستين، ويطلّق وهو قد تجاوز السبعين، ويجدّد الزواج بعد ذلك[1]، ويتناول المنشطات الجنسيّة!

هذا الذي كان قدوتنا يوما من الأيام.

يعلم أنّه ليس هناك مذهب إسلامي يبيح مصافحة المرأة الأجنبية، لكنّه لا يبالي بذلك الإجماع، ويصافح زوجة حاكم قطر أمام زوجها، وقد علت الابتسامة الوجوه الثلاثة. وعليه فلا بد أن يكون هناك فقه الدياثة إلى جانب فقه العمالة وفقه الخيانة..

في مسند الحارث: ومنْ صافح امْرأةً حرامًا جاء يوْم الْقيامة مغْلولةً يداه إلى عنقه ثمّ يؤْمر به إلى النّار، وإنْ فاكهها حُبس بكلّ كلمةٍ كلّمها في الدّنْيا ألْف عامٍ[2].

هناك في الباب حديث يقول:" من مس امرأة ليست منه بسبيل وضع في كفه جمرة يوم القيامة حتى يفصل بين الخلائق " وحديث آخر : عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن تمسه امرأة لا تحل له). قال المقدسي:

---

١ - شاع في الأوساط الإعلامية أن القرضاوي أقام فرحا في الدوحة حضرته الشيخة موزه، وذلك بمناسبة زواجه من فتاة مغربية تصغره بحدود ٥٠ سنة!

٢ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ،: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي الوفاة: ٢٨٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣ : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة - ١٤١٣ - ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري. والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر العسقلاني (الوفاة: ٨٥٢) ، ج ٨ ص ١٦٨ : وج٩ ص٤٩دار العاصمة/ دار الغيث - السعودية - ١٤١٩هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري.[لابن حجر العسسقلاني والحافظ السيوطي كلام في الحديث بطوله].

هذا الحديث على رسم مسلم، والله تعالى أعلم[1].

وعقد ابن حبان فصلا تحت عنوان " ذكر البيان بأن المرء ممنوع عن مس امرأة لا يكون لها محرما في جميع الأحوال". والقرضاوي يعي عبارة " جميع الأحوال" على وجه الدقّة والتّفصيل[2].

وقال السرخسي :ولا يحلّ له أن يمسّ وجهها ولا كفّها وإن كان يأمن الشهوة لقوله ﷺ من مسّ كفّ امرأة ليس منها بسبيل وضع في كفّه جمرة يوم القيامة حتى يفصل بين الخلائق. ولأنّ حكم المسّ أغلظ حتى أن المسّ عن شهوة يثبت حرمة المصاهرة والنظر إلى غير الفرج لا يثبت، والصوم يفسد بالمسّ عن شهوة إذا اتّصل به الإنزال ولا يفسد بالنّظر. فالرّخصة في النّظر لا يكون دليل الرّخصة في المسّ، والبلوى التي تتحقّق في النظر تتحقّق في المسّ أيضا، وعلى هذا نقول للمرأة الحرّة أن تنظر إلى ما سوى العورة من الرجل ولا يحلّ لها أن تمسّ ذلك منه، لأنّ حكم المس أغلظ وهذا إذا كانت شابّة تُشتهي فإذا كانت عجوزا لا تُشتهي فلا بأس بمصافحتها ومسّ يدها[3]. وذكر[السرخسي[أن عائشة

---

١ ـ اتباع السنن واجتناب البدع ، ضياء الدين المقدسي (الوفاة ٦٤٣هـ) ، ج ١ ص ٣٧٧.

٢ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الوفاة: ٣٥٤ ، ج ١٢ ص ٣٩٣ : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

٣ – المبسوط ، شمس الدين السرخسي (الوفاة: ٤٨٣)، ج ١٠ ص ١٥٤ : دار المعرفة ، بيروت. و نصب الراية لأحاديث الهداية ، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي (الوفاة: ٧٦٢ هـ)، ج ٤ ص ٢٤٠ : دار الحديث ، **مصر** ، ١٣٥٧ ، تحقيق : محمد يوسف البنوري. و العناية شرح الهداية ، لمحمد بن محمد البابرتي (المتوفى : ٧٨٦هـ) ، ج ١٤ص ٢٣١ و الجوهرة النيرة ، لأبي بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي اليمني – الزّبيديّ (المتوفى : ٨٠٠هـ) ، ج ٦ ص ١٦٣ و مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر لعبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده الوفاة: ١٠٧٨هـ ، ج ٤ ص ٢٠٣: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خرج آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور. و بريقة محمودية ، لأبي سعيد محمد بن

قالت: من زعم أن رسول الله ﷺ مسّ امرأة أجنبيّة فقد أعظم الفرية عليه[1].

واستدلّ بالحديث الماوردي في شرح مختصر المزني[2]،وغيره، ولهم كلام فقهي طويل في المسألة. والحقّ أنّ المسألة لاتحتاج إلى بحث معمّق، فإنّ المروءة تمنع من مجالسة النساء ومصافحتهن، وفي ذاك السلوك من الميوعة ما لا يخفى، والوجدان يشهد بنفور سليم العقل والأخلاق من رؤية زوجته أو ابنته تصافح الرجال. وقد رأينا القرضاوي والرئيس مرسي وراشد الغنوشي يصافحون النساء وهم يبتسمون أمام المصورين المسلمين وغير المسلمين! والنساء المصافَحات من أمثال هيلاري كلنتون وكاثرين اشتون وشيخة قطر..

سوف يحتج الله تعالى على القرضاوي والغنوشي ومرسي وتلك الأشباه والنظائر ـ يحتجّ عليهم ـ بسلوك المسؤولين الرسميين في الجمهورية الإسلامية في إيران، وقد شاهد العالم كلّه المسؤولة الأوروبية كاترين اشتون وهي تقف على مسافة من مسؤول الأمن القومي في الجمهورية الإسلامية لإلقاء التحية قبل بداية كل جولة من المفاوضات. وللعاقل أن يتساءل: لماذا لا تحدّث اشتون نفسها بمحاولة مصافحة المسؤول الإيراني كما تفعل هيلاري كلنتون مع مرسي والغنوشي وشيخة قطر مع القرضاوي!

ولنفرض ـ والفرض سهل المؤونة ـ أن رسول الله ﷺ كان قبال الغنوشي

محمد الخادمي (المتوفى : ١١٥٦هـ) ، ج ٥ ص ٣٧٩ .

١ – المبسوط ، السرخسي، (الوفاة: ٤٨٣ هـ)ج ١٠ ص ١٥٤ : دار المعرفة ، بيروت .

٢ – الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (الوفاة: ٤٥٠ هـ)، ج ١ ص ٣٧٧: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

أو مرسي أو القرضاوي لحظة مصافحتهم النساء! هل يصافحون أم يردعهم الحياء من رسول الله ﷺ؟! إن تراجعوا ولم يصافحوا فهذا يعني أنهم يؤمنون بجسد رسول الله ﷺ لا بروحه، لأنه بروحه موجود معنا، ونحن نسلم عليه في كل صلاة ونقول: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته". وإن لم يستحوا ولم يبالوا فهذا يعني أنهم ليسوا أصحاب دين. على أن رسول الله ﷺ بشر، وليس هو من شرع الدين وإنّما بلغه، فيفترض في الشخص المتدين أن يستشعر حرمة الله تعالى وعظمته عند الشبهات، خصوصا مع وجود آية شريفة تقول: ﴿ وتحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم﴾[1]!

لا أريد بهذا الكلام أن أجعل قضيّة مصافحة النساء في حجم قضيّة الشعب الفلسطيني ومستقبل الشرق الأوسط، لكن عليّ باعتباري أحد المسلمين ألا أخاف في الله لومة لائم حينما يتعلق الأمر بمن يسمحون لأنفسهم بالتحدّث باسم مئات الملايين من المسلمين.

القرضاوي في إحدى حلقاته من برنامج (الشريعة والحياة) نفى عن رسول الله ﷺ العصمة خارج التبليغ. وهذا يعني أن النبي ﷺ معصوم لحظات نزول الوحي فقط، أمّا خارج ذلك فهو والشيخ القرضاوي في مستوى واحد! وحينما جاءت مداخلات من شتّى بقاع العالم تنتصر لرسول الله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى، وتستنكر الفرية، قال القرضاوي: هؤلاء جهلة!! وهذا يعني أنّ من يعتقد بعصمة النبيّ جاهل، ومن لا يعتقد بعصمة النبي ﷺ ليس بجاهل، ومن ليس بجاهل فهو عالم. ولا

---

١ ـ النور : ١٥ .

بأس بمناقشة الشيخ الذي يدعى أنّه هو ورسول الله ﷺ سواء.
أقول: إذا كان رسول الله ﷺ غير معصوم ـ والعياذ بالله من هذا المعتقد ـ فإنه لا يكون في هذه الأمّة معصوم وإن طال الزمان، لأنّ رسول الله ﷺ أفضل البشرية، وأفضل فرد في هذه الأمة. وبما أنّه أفضل الأنبياء فلايكون هناك نبيّ معصوم، وهذا يعني أن الله تعالى ليس على كل شيء قديرا! فهو لم يقدر على عصمة نبيّ واحد. كما أنّ هذا يمثّل أيضا نقصا في كمال الوجود. فالعصمة ممكنة عقلا، لكن الله تعالى لم يخرجها من القوة إلى الفعل ولو في فرد واحد من بني آدم. فالوجود ناقص من هذه الحيثية. فالله تعالى ـ حسب اعتفاد القرضاوي ـ قادر على إيجاد الملايين من الفسّاق والفجّار والقتَلة.. ولكنّه ليس قادرا على إنتاج إنسان كامل واحد. ومن الناس من يفسر انتفاء العصمة على طريقة القرضاوي بالعجز في القابل لا في الفاعل، ومثل هذا لا حديث لي معه، وليس الكلام موجّها إليه.
يقول عيسى ابن[1] مريم عليه السلام ﴿ وجعلني مباركا أينما كنت ..﴾[2] وهذا يعني أن البركة لا تفارق عيسى بن مريم عليه السلام! وحتى ينسدّ الباب في وجه من يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة جاءت آية بعدها تقول:﴿ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾[3]. فالبركة والسلام مع عيسى بن مريم دنيا وآخرة. فهل تجتمع البركة مع المعصية ؟ والسؤال

---

١ – جمهور النحويين واللغويين على إثبات الألف في هذا المقام.
٢ – مريم : ٣١ .
٣ – مريم: ٣٣

هنا موجه إلى الشيخ القطري الذي يصافح الشيخة القطرية بحضور زوجها الأمير القطري! هل يمكن أن تجتمع البركة والخطيئة أيها الشيخ؟!
هل تجتمع البركة مع الخطأ؟

هل تجتمع البركة مع الجهل؟ فإذا انتفت المعصية والخطأ لدى نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام فالانتفاء عند نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أولى، لأنه أفضل منه بإجماع المسلمين إن كان القرضاوي يقيم وزْنا لإجماع المسلمين.هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنه إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم خارج الوحي فمن باب أولى أن يكون القرضاوي غير معصوم في كل أحواله، لأنه لا يوحى إليه كما يوحى إلى الأنبياء، وأما وحي الشياطين ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم..﴾[1] فلديّ تحفظ، ولا أستبعد أن يكون الشيطان شخصيا يفتتح جلسات الشيخ ويختمها. وعليه فبمقتضى أن القرضاوي غير معصوم فإنه لا يجوز له الحديث على جهة الإطلاق. فكان عليه أن يقول مثلا: النبي ليس معصوما خارج الوحي **في نظري** أو **في اعتقادي** أو **وفق مباني المدرسة الكلامية التي أنتمي إليها** أو.. وليس له أن يقول : النبي غير معصوم خارج الوحي **مطلقا،** لأن القرضاوي نفسه غير معصوم، فاحتمال أن يخطئ في القضية وارد بنسبة تتراوح بين ١٠٠/١ و١٠٠ . أما إذا قلنا إن نسبة الاحتمال هي١٠٠/٠ فهذا يعني ادعاء العصمة للقرضاوي! ومن ذا الذي يقبل نفي العصمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإثباتها للقرضاوي؟!

---

١ – الأنعام : ١٢١ .

في أنقرة

مدينة أنقرة في نظري جبلية بمعنى الكلمة، بُنيت على أطراف الجبال، وكلها مرتفعات ومنخفضات، ولا أخفي إعجابي بجمالها حين الابتعاد عنها في الطريق إلى المطار. هناك يبدو جمالها بما يتخللها من الأشجار والمساحات الخضراء.

بقيت فيها أسبوعين عرفت فيهما منطقتين مختلفتين تماما، كأنهما تمثلان التركيبة الاجتماعية للشعب التركي الذي يعيش ترجمة إسلام علماني، أو علمانية إسلامية! المنطقة الأولى منطقة " غازي عثمان باشا " ، وهي منطقة راقية تدل بناياتها على ثراء أهلها وانبساط معيشتهم، ومع ذلك لا تكاد ترى فيها إلا وجها عبوسا قمطريرا. والمنطقة الثانية منطقة " أولوس "، حي شعبي متحرك، فيه الأسواق والمطاعم والمقاهي والمساجد ، والحركة اليومية للكادحين، ومع ذلك ترى وجوها مبتسمة وأخرى ضاحكة، وأهم ما في " أولوس" مقام حاجي بيرم الأنقري، رأيت مئات الزائرين والزائرات يؤمّون مرقده يوميّا صباح مساء.

قال تقي الدين الغزي بخصوص حاجي بيرم الأنقري:

ولد ببعض قرى أنقرة، من بلاد الروم، وأنقرة هي التي تسمى الآن أنكورية، وبها قبر امرئ القيس.واشتغل في العلوم العقلية والنقلية، ومهر فيها، وصار مدرساً بمدينة أنقرة، ثم ترك التدريس، وصحب الشيخ الولي

الصالح حامد بن موسى القيصري، وأخذ عنه طريق التصوف، وانتفع به خلق كثير.وكانت وفاته بأنقرة، ودفن بها، وقبره مشهور، مقصود الزيارة، تغمده الله برحمته[1].

المقام في مكان عال يشرف على جزء من المدينة، وأعمال البناء (الوقفي) جارية على قدم وساق، وحول المقام وتحته محلات لبيع الكتب والسبح وفرش الصلاة والمسك وغير ذلك من العطور والألبسة وأكثر من مقهى أيضا. ما لفت انتباهي هو التسامح الغامض بين الزوّار، فإن عدد المتبرّجات لم يكن قليلا، ولم يكنّ يحتشمن عند دخولهن مقام حاجي بيرم، بل قد رأيت امرأة متبرّجة بارزة الصدر والذراعين جالسة إلى طاولة قد وضع عليها فنجان، وكانت المرأة تدخّن سيجارة وهي تنظر إلى مقام حاجي بيرم الأنقري. لا أدري ما الذي كانت تفكّر فيه أو تقوله في نفسها، لكن المخايل والتقاسيم كانت تشير إلى همّ عميق. التّدخين لدى النساء في مدينة أنقرة شيء طبيعي، مع أنه مضر بالصحة، لكن إذا عدنا إلى مقولة الإسلام العلماني أو العلمانية الإسلامية فلا غرابة، ويبدو لي أن أردغان قد ضحك على كثير من الأتراك، كما ضحك على كثير من العرب في تمثيلية مرمرة و شمعون بيريز.

غير بعيد يرتفع تمثال لمصطفى كمال أتاتورك الزعيم العلماني الذي قضى على الخلافة العثمانية ونقل العاصمة من استانبول إلى أنقرة. كنت عرفت أشياء عن أتاتورك أيام الثانوية، لكني نسيت أكثرها مع مرور

١ – الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (المتوفى : ١٠١٠هـ) ، ج ١ ص ٢١٥ . الترجمة تحت رقم٦٢٨ .

الزمن، وها هي الظروف تدعوني إلى قراءة شيء عن حياة الرجل ولو باختصار عن طريق الأنترنيت. وفعلا طالعت، وتبين أن الرجل مات بتشمّع الكبد بسبب إدمانه على الخمر! عجبا! في بلد شعبه مسلم يرتفع تمثال رجل مات بسبب كثرة شرب الخمر. وهذا يعني أنّه قطعا ملعون عند الله تعالى. ملعون عند الله معظّم عند شعب مسلم حنفي المذهب! ويقف أردوغان في قاعة الاجتماعات صغيرا جدا أمام صورة أتاتورك الكبيرة. وللعلم فإن أتاتورك لا زال يحكم تركيا من وراء قبره.

رآني شاب في أطراف المقام وسألني: من أي بلد أنت؟

فأجبته وقد ارتحت إلى وجود شخص يعرف اللغة العربية:

- من الجزائر.

-- كيف الأحوال في الجزائر؟

- مثل كثير من الشعوب العربية.

-- نحن هنا في نعمة منذ وصول أردغان إلى الحكم..

- أدام الله نعمتكم..

-- أردغان هو الشخص الوحيد الذي ينتقد أوباما ونتانياهو..!

- لكنّه يصافحهما.

-- نعم، هذا صحيح، لكنّه ينتقدهما بشجاعة، هل تعرف شخصا آخر ينتقدهما؟

- نعم، ولا يصافحهما!

-- من هو ؟

- محمود أحمدي نجاد.

بقي الشاب ينظر إليّ حائرا، فقلت له:

- وأزيدك

-- ماذا ؟

- في أنقرة سفارة إسرائيلية وسفارة أمريكية وسفارة بريطانية، وليس في طهران سفارة إسرائيلية ولا سفارة أمريكية ولا سفارة بريطانية!

-- وهنا رأيت الهزيمة والانكسار في عيني الشاب الذي علمت منه فيما بعد أنه درس باللغة العربية في مصر! في بلد مسلم آخر فيه سفارة إسرائيلية وسفارة أمريكية وسفارة بريطانية. وكان لزاما علي أن أغير الموضوع تمهيدا للافتراق قبل أن يُحدث الشيطان أمرا. خصوصا وأنا أعلم ما جرى للشيعة في سابق الأيام على أيدي الحكام والعلماء الأتراك، ولابدّ لي هنا من التذكير بفتوى الشيخ نوح الحنفي في الفتاوى الحامدية وما جرى بسببها من البلاء.

جاء في تنقيح الفتاوى الحامدية ما يلي:

قال المؤلّف رحمه اللّه تعالى : ورأيت في مجموعة شيخ الإسلام عبد اللّه أفندي حفظه اللّه الملك السّلام حين زارني في الجنينة وقت قدومه من المدينة المنوّرة على منوّرها أفضل الصّلاة وأتمّ السّلام سنة ١١٤٦ ما صورته: ما قولكم - دام فضلكم ورضي اللّه عنكم ونفع المسلمين بعلومكم - في سبب وجوب مقاتلة الرّوافض وجواز قتلهم هو البغي على السّلطان أو الكفر ، إذا قلتم بالثّاني فما سبب كفرهم وإذا أثبتّم سبب كفرهم فهل تقبل توبتهم وإسلامهم كالمرتدّ أو لا تقبل كسابّ النّبيّ ﷺبل لا بدّ من قتلهم .

وإذا قلتم بالثّاني فهل يقتلون حدّا أو كفرا وهل يجوز تركهم على ما هم عليه بإعطاء الجزية أو بالأمان المؤقّت أو بالأمان المؤبّد أم لا وهل يجوز استرقاق نسائهم وذراريهم؟ أفتونا مأجورين أثابكم اللّه تعالى الجنّة .

الحمد للّه ربّ العالمين اعلم أسعدك اللّه أنّ هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزّندقة والإلحاد ومن توقّف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافرٌ مثلهم. وسبب وجوب مقاتلتهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا! أمّا البغي فإنّهم خرجوا عن طاعة الإمام خلّد اللّه تعالى ملكه إلى يوم القيامة ، وقد قال اللّه تعالى ﴿ فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر اللّه﴾ والأمر للوجوب، فينبغي للمسلمين إذا دعاهم الإمام إلى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيّد المرسلين أن لا يتأخّروا عنه، بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه. وأمّا الكفر فمن وجوه منها أنّهم يستخفّون بالدّين ويستهزئون بالشّرع المبين، ومنها أنّهم يهينون العلم والعلماء مع أنّ العلماء ورثة الأنبياء وقد قال اللّه تعالى ﴿ إنّما يخشى اللّه من عباده العلماء﴾، ومنها أنّهم يستحلّون المحرّمات ويهتكون الحرمات، ومنها أنّهم ينكرون خلافة الشّيخين، ويريدون أن يوقعوا في الدّين الشّين، ومنها أنّهم يطوّلون ألسنتهم على عائشة الصّدّيقة رضي اللّه تعالى عنها ويتكلّمون في حقّها ما لا يليق بشأنها مع أنّ اللّه تعالى أنزل عدّة آيات في براءتها ونزاهتها. فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابّون النّبيّ ﷺ ضمنا بنسبتهم إلى أهل بيته هذا الأمر العظيم ومنها أنّهم يسبّون الشّيخين سوّد اللّه وجوههم في الدّارين .

وقال السّيوطيّ من أئمّة الشّافعيّة: من كفّر الصّحابة أو قال إنّ أبا بكر لم يكن منهم كفر! ونقلوا وجهين عن تعليق القاضي حسين فيمن سبّ الشّيخين هل يفسق أو يكفر والأصحّ عندي التّكفير وبه جزم المحامليّ في اللّباب ا هـ . وثبت بالتّواتر قطعا عند الخواصّ والعوامّ من المسلمين أنّ هذه القبائح مجتمعةٌ في هؤلاء الضّالّين المضلّين، فمن اتّصف بواحد من هذه الأمور فهو كافرٌ يجب قتله باتّفاق الأمّة، ولا تقبل توبته وإسلامه في إسقاط القتل سواءٌ تاب بعد القدرة عليه والشّهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه، لأنّه حدٌّ وجب ولا تسقطه التّوبة كسائر . وليس سبّه ﷺ كالارتداد المقبول فيه التّوبة لأنّ الارتداد معنى ينفرد به المرتدّ لا حقّ فيه لغيره من الآدميّين فقبلت توبته ومن سبّ النّبيّ ﷺ تعلّق به حقّ الآدميّ ولا يسقط بالتّوبة كسائر حقوق الآدميّين فمن سبّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أو أحدا من الأنبياء صلوات اللّه عليهم وسلامه فإنّه يكفر ويجب قتله ثمّ إن ثبت على كفره ولم يتب ولم يسلم يقتل كفرا بلا خلاف وإن تاب وأسلم فقد اختلف فيه والمشهور من المذهب القتل حدّا وقيل يقتل كفرا في الصّورتين .

وأمّا سبّ الشّيخين رضي اللّه تعالى عنهما فإنّه كسبّ النّبيّ ﷺ وقال الصّدر الشّهيد من سبّ الشّيخين أو لعنهما يكفر ويجب قتله ولا تقبل توبته وإسلامه أي في إسقاط القتل. وقال ابن نجيم في البحر حيث لم تقبل توبته علم أنّ سبّ الشّيخين كسبّ النّبيّ ﷺ فلا يفيد الإنكار مع البيّنة. قال الصّدر الشّهيد من سبّ الشّيخين أو لعنهما يكفر ويجب قتله، ولا تقبل توبته وإسلامه في إسقاط القتل، لأنّا نجعل إنكار الرّدّة توبة إن

كانت مقبولة كما لا يخفى. وقال في الأشباه كلّ كافر تاب فتوبته مقبولةٌ في الدّنيا والآخرة إلّا الكافر بسبّ نبيّ أو بسبّ الشّيخين أو أحدهما أو بالسّحر ولو امرأة وبالزّندقة إذا أخذ قبل توبته ا هـ . فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفّار تابوا أو لم يتوبوا لأنّهم إن تابوا وأسلموا قتلوا حدّا على المشهور وأجري عليهم بعد القتل أحكام المسلمين وإن بقوا على كفرهم وعنادهم قتلوا كفرا وأجري عليهم بعد القتل أحكام المشركين ولا يجوز تركهم عليه بإعطاء الجزية ولا بأمان مؤقّت ولا بأمان مؤبّد نصّ عليه قاضي خان في فتاويه. ويجوز استرقاق نسائهم لأنّ استرقاق المرتدّة بعدما لحقت بدار الحرب جائزٌ وكلّ موضع خرج عن ولاية الإمام الحقّ فهو بمنزلة دار الحرب ويجوز استرقاق ذراريّهم تبعا لأمّهاتهم لأنّ الولد يتبع الأمّ في الاسترقاق واللّه تعالى أعلم

كتبه أحقر الورى نوحٌ الحنفيّ عفا اللّه عنه والمسلمين أجمعين ا هـ ما في المجموعة المذكورة بحروفه[1].

أقول: أمّا " أحقر الورى " فلا شك فيه، وأما " عفا الله عنه" فتلك أمانيهم. لقد زادني هذا الكلام بصيرة في ديني لأنه كشف لي أن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا. حينما عجزوا عن إبطال الإمامة وتغييب دين رسول الله الذي ارتضاه الله للمؤمنين دينا يوم الغدير عمدوا إلى التكفير والافتراء لاستباحة دماء معصومة وأعراض مصونة!

---

١ - تنقيح الفتاوى الحامدية ، ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر (المتوفى : ١٢٥٢هـ) ، ج ٢ ص١٧٥ / ١٧٨ .

أنا العبد الضعيف على طريقة أهل البيت عليهم السلام منذ ستة وعشرين عاما، أتقرب إلى الله بحبهم أكثر مما أتقرب إليه بالصلاة والصوم، بل إن من عقيدتي أن شرط قبول الطاعات ولايتهم، فهل تستطيع يا دجال أن تثبت أنني كما تزعم ممن يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله؟! حينما يذكر اسمه الشريف في ممساجدنا وحسينياتنا ترتفع الأصوات بالصلوات! أما عندكم فتتحرك الشفاه بعبارة (صوسلم) التي لا هي عبرية ولا هي عربية ولا هي سريانية. ماذا فعل أتباعك وأشباهك حين استخف سلمان رشدي بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

"تابوا أو لم يتوبوا"! هكذا يقول الشيخ نوح الحنفي مفتي السلطنة العثمانية! وانتهز الدمويّون الفرصة باسم الدين، وقتلوا النفوس البريئة، وسفكوا الدماء المعصومة.

قال السيد شرف الدين الموسوي معلّقا على فتوى الشيخ نوح الحنفي:

بجدّك قل لي هل درى صاحب الفتوى أيّ دماء من أهل الشهادتين سفكها ،وأيّ حرائر قانتات هتكها ، وأيّ حرمات لله عز وجل انتهكها ، وأيّ صبية من بني الإسلام سلبها ، وأيّ أموال مزكيات نهبها ، وأيّ ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأيّ كبد لرسول الله بذلك فراها وأيّ عين لآل محمد صلى الله عليه وآله بفتواه أقذاها ، وأيّ فتنة بين المسلمين أجّجها ، وأيّ حرب بينهم ألجمها وأسرجها ، وأيّ شوكة لهم بذلك كسرها ، وأيّ دولة لأعدائهم أعزّها ونصرها ،وأيّ مخالفة لحكم الله ارتكبها ،

وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبها "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ؟ [1]!

وجاء في مقدمة كتاب غنية النزوع ما يلي:

استمر التشيع في حلب رفيع البناء ، لم يقلعه تلك الهزات العنيفة ، ولم تقوضه تلك العواصف الشديدة ، إلى أن أفتى الشيخ نوح الحنفي بكفر الشيعة و استباحة دمائهم وأموالهم ، تابوا أو لم يتوبوا ، فزحفوا على شيعة" حلب " وأبادوا منهم أربعين ألفا أو يزيدون ، وانتهبت أموالهم ، وأخرج الباقون منهم من ديارهم إلى " نبل " و " النغاولة "و " أم العمد " و " الدلبوز " و " الفوعة " وغيرها من القرى ، واختبأ التشيع في أطراف حلب في هذه القرى والبلدان . هاجم الأمير ملحم بن الأمير حيدر ، بسبب هذه الفتوى جبل عامل عام ١٠٤٨ فانتهك الحرمات واستباح المحرمات يوم وقعة قرية " أنصار " فلا تسأل عمّا أراق من دماء ، واستلب من أموال ، وانتهك من حريم ، فقد قتل ألفا وخمس مئة ، وأسر ألفا وأربع مئة ، فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف ببيروت . فيا لله من هذه الجرأة الكبرى على النفوس والأعراض ، ومن تلك الفتيا ، التي غررت بأولئك على تلك الفظائع والجرائم. ولم يكن ذلك الفتك الذريع أول تصفية جسدية للشيعة ، بل صبت عليهم قوارع في دار الخلافة ، قبل قرنين بالوحشية التامة يندى لها جبين الإنسانية . فقد قتل السلطان سليم في الأناضول وحدها أربعين ألفا ، وقيل سبعين لا لشيء

---

١ - الفصول المهمة في تأليف الأمة، السيد شرف الدين(الوفاة : ١٣٧٧)ج١ ص١٤٥ ، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة،الطبعة : الأولى.

إلا أنهم شيعة ، ومن جرّاء ذلك غادرت شيعة أهل البيت المراكز ، نازلين الكهوف ، والمناطق الجبلية[1]..

واليوم أيضا، هناك فتاوى كثيرة تهدر دماء محبي رسول الله ﷺ وأهل بيته، بإيعاز من أمريكا وإسرائيل وبريطانيا، كما هو الشأن من زمان، وأصحاب هذه الفتاوى لا يجهلون الحقيقة حتى يكونوا معذورين، بل هم على دراية بما يقولون وما يفعلون، ولكن أنى لهم الرجوع وقد أبعدوا في السير وغدوا جزءا من معسكر الكفر، وشهدوا على أنفسهم حين منعوا الدعاء للمقاومة الإسلامية أيام العدوان الصهيوني، ومع أن بأسهم بينهم شديد فإن هدفهم واحد. وقد قامت الحجة بشكل تام حين قام حاخامهم القرضاوي يستجدي أمريكا ويدعوها إلى التدخل في سوريا، ويقدم الضمانات أن مجاهديه من الشيشان والعربان لن يهاجموا إسرائيل، وهذه عبارته بعد أن سقطت ورقة التوت:

" **على أمريكا أن تدافع عن السوريين، وأن تقف وقفة رجولة، ووقفة لله، وللخير وللحق** ". وعليه يتبين أنّ إله القرضاوي في انتظار وقفة من أمريكا الشيطان الأكبر! مع كلّ ما قامت به أمريكا من إبادة للهنود الحمر واستعباد بشع للسّود، وحرب إبادة ضدّ الفيتنام، واحتلال لأفغانستان والعراق، ووقوف في وجه كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن

---

١ – غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي،(الوفاة ٥٨٥ هـ) ص ١١. مؤسسة الإمام الصادق (ع) تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري ، إشراف : جعفر السبحاني، سنة الطبع : محرم الحرام ١٤١٧ هـ توزيع : مكتبة التوحيد.

باستعمال الفيتو لحماية الكيان الصهيوني.. مع ذلك كله تبقى أمريكا في نظر القرضاوي أهلا للوقوف وقفة لله.

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلذ إلى الأرض ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لهلم يتفكرون﴾[1].

القرضاوي بكى على صدام واعتبره شهيدا، وغض الطرف عن كلّ جرائمه ضد العراقيين والإيرانيين والكويتيين على حدّ سواء. لكن هذا القرضاوي نفسه كان ساخطا على صدام أيام كانت السعودية ساخطة عليه بعد غزوه الكويت، وقد كان المفتي عبد العزيز بن باز ذكر يومها أن "صدام حسين" كافر ،وأن شهادة التوحيد غير مقبولة منه ولو قالها ألف مرة! و سكت القرضاوي يومها ولم يقل شيئا، وهو ما يعني الموافقة، ولم يظهر من صدّام توبة من قبل أن يقدروا عليه ويستخرجوه من حفرة كما تستخرج الضباع ؛ وهذا يعني أنّه مات من غير توبة، لكن القرضاوي يريد أن يغيظ أقواما، فتباكى على صدام في خطبة الجمعة، وزعم أنّ آخر ما قاله قبل الإعدام " لا إله إلا الله"!هذا دين القرضاوي. أما كاتب هذه السطور فيُشهد الله تعالى والمؤمنين أن صدام حسين لم يرع حرمة الله تعالى أيّام كان في الحكم، وكان يسخر من المتديّنين ويمضي أحكام الإعدام كما تُمضى الفواتير! حشر الله القرضاوي مع صدام وجعله شريكه في كل جرم وإثم، وأدخله مدخله وأخرجه

---

١ – الأعراف : ١٧٥ .

مخرجه وأسكنه معه. والذين بكوا عليه من الأعيان من الفلسطينيين والإعلاميين إنما بكوا مصيرهم لانقطاع الأموال التي كان يغدقها عليهم!

لم يخلُ تاريخ المسلمين من أمثال القرضاوي من صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا، والقائمة طويلة، وقد خرجوا من الدنيا بلا حجة تسعفهم، ولا برهان يؤيدهم، ونعم الحكَم الله!

مشكلة العالِم في بلاد المسلمين تتمثل في تبعيته للسلطة، وعليه فلا بدّ له أن يبحث عن فتوى تخدم الحاكم، والأبواب لذلك مشرعة باعتبار ما يتوفّر عليه الفقه الرسمي من سدّ الذرائع والمصالح المرسلة..وقد جرت أمور يندى لها الجبين اشترك فيها الحاكم والفقيه، وذهبت المنفعة الآنية وبقيت التبعات! ومع ذلك لا نزال نشاهد على الفضائيات أقواما يمجّدون الظلمة ويقدّسونهم، وهم يعلمون بما بين أيديهم من الأدلة أنه لم يكن لديهم أدنى احترام للدين، لا لكتاب الله تعالى ولا لسنة نبيهﷺ. وقد ولغ اولئك الحكام في دماء الأبرياء إلى درجة لا يعقل تصوّرها في ظلّ الإسلام، هذا مع أنّ الإسلام جعل قتل نفس بغير حق أو فساد في الأرض بمنزلة قتل الناس جميعا. لكن حينما يكون الفقيه والحاكم جميعا في خدمة الهوى وعبادته يتحوّل الفقه نفسه إلى آلة للقتل والنهب والتعذيب، وكل من سوّلت له نفسه إنكار المنكر يتحوّل إلى شخص خارج عن الطاعة، أراد شق عصا المسلمين. أما من استباح دماء الناس وأموالهم وأعراضهم باسم الإسلام فهو خليفة شرعي صالح، كان متديّنا يحجّ عاما ويغزو عاما!

قال السيوطي : أخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال

لماأفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جوارى المهدي، فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك، إن أباك قد طاف بي، فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف فسأله أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أو كلّما ادّعت أمة شيئا ينبغي أن تصدق؟ لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة! قال ابن المبارك: لم أدر ممّن أعجب، من هذا الذى قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التى رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيّره في رقبتي. وأخرج أيضا عن عبدالله بن يوسف قال: قال الرشيد لأبى يوسف إنى اشتريت جارية وأريد أن أطاها الآن قبل الاستبراء فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، تهبها لبعض ولدك ثمّ تتزوّجها. وأخرج عن إسحاق بن راهويه قال دعا الرشيد أبا يوسف ليلا فأفتاه بأمر له بمائة ألف درهم، فقال أبو يوسف إن رأى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها[1].

قال ابن كثير: وروى المعافى بن زكريا الجريري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف[2] قال: بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش إذا رسول الخليفة

---

١ - تاريخ الخلفاء ، السيوطي (الوفاة: ٩١١ هـ) ،ج١ص٢٩١: مطبعة السعادة، مصر،١٣٧١هـ ١٩٥٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.

٢ - القاضي صاحب أبي حنيفة .

قال يحيى بن معين كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبقي وطيب وفانيل ندوغير ذلك فذا كرنى رجل في إسناد حديث (من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه) فقال أبو يوسف إنما ذاك في الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون ياغلام ارفع هذا إلى الخزائن ولم يعطهم منها شئيا وقال بشر بن غياث المريسى سمعت أبا يوسف يقول صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة وما أظن أجلى إلا أن اقترب فما

يطرق الباب فخرجت منزعجا، فقال: أمير المؤمنين يدعوك! فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر، فقال لي الرشيد: إن هذا قد طلبت منه جارية يهبنيها فإن يفعل أو يبعنيها، وإني أشهدك إن لم يجبني إلى ذلك قتلته[!][1]. فقلت لعيسى لم لم تفعل فقال إني حالف بالطلاق والعتاق وصدقة مالي كله أن لا أبيعها ولا أهبها! فقال لي الرشيد: فهل له من مخلص؟ فقلت: نعم! يبيعك نصفها ويهبك نصفها. فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار، فقبل منه ذلك. وأحضرت الجارية فلمّا رآها الرشيد قال: هل لي من سبيل عليها الليلة؟ قلت: إنها مملوكة، ولا بد من استبرائها إلاّ أن تعتقها وتتزوّجها، فإنّ الحرّة لا تستبرأ. قال: فأعتقها وتزوّجها منه بعشرين ألف دينار، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين تختا من ثياب وأرسلت إلي الجارية بعشرة آلاف دينار[2].

أقول: هذا هو الخليفة الذي يحج عاما ويغزو عاما! هذا مبلغ الأخلاق ورعاية الحرمات لديه، يُكره الناس على التنازل له عن نسائهم كيما يطفئ نار شهوته! ويقولون عنه يحج عاما ويغزو عاما! عبد شهوته! كيف يتحمل عاقل أن يكون مثل هذا الشهواني معدودا في عظماء تاريخه؟! وذلك الفقه التافه قرضاوي زمانه الذي راح يحل له الحرام مقابل دنانير لم يكسبها من عرق جبينه ولا ورثها من أبيه. نموذجان للتعاسة ودناءة

مكث بعد ذلك إلا شهورا حتى مات.[البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨١، مكتبة المعارف – بيروت].

١ – هذا فعل الخليفة المتدين الذي كان يحج عاما ويغزو عاما!

٢ – البداية والنهاية ، ابن كثير القرشي الوفاة: ٧٧٤ هـ ، ج ١٠ ص ١٨١: مكتبة المعارف – بيروت. وأمالي ابن سمعون البغدادي ج ١ص ١٣٦ .

الهمة: حاكم يعبد شهوته ولا يبالي أن يطأ جارية وطئها أبوه! وفقيه يحل ما حرم الله مقابل الدينار! وأعجب من ذلك كله سكوت المؤرخين والمحدثين أمام هذه العظائم، وهم يدعون أنّهم على سنّة رسول الله ﷺ، ورسول الله منهم ومن فقههم براء.

لم يتوقف هارون عند جارية واحدة ولا عند اثنتين؛ لقد كانت همّته في فرجه، وكان يرى ذرية رسول الله ﷺ على درجة عالية من العفاف والغيرة وعلوّ الهمة، فقرّر أن يتخلّص منهم فرادى ومجتمعين، ولا زال يقتل منهم على يد مسرور الخادم وحميد بن قحطبة، إلى أن خرج من الدنيا مذموما، وترك أبناءه يقتل بعضهم بعضا على ماقتل ـ هو ـ عليه ذرية رسول الله ﷺ. وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون.

وانظر إلى قوله: " هل لي من سبيل عليها الليلة " وعد بالذاكرة إلى مقتل الصحابي الجليل مالك بن نويرة الذي قتله خالد ونزا على أرملته في نفس الليلة يتبين لك أن هؤلاء لا دين لهم ولا مروءة. إنه يريدها الليلة! الآن الآن وليس غدا! كأنّه يخاف عليها الموت قبل أن يقضي منها وطرا!

غلب عليه الشبق حتى أخرجه عن طور المعقول، فصار لا يبالي أن ينكح ما نكح أبوه، والقرآن الكريم يهتف:﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾[1].

كنت أيام الشباب قرأت كتاب تاريخ الدولة العباسية للخضري، ولم يكن يخطر ببالي يومها أن الخضري نفسه متورّط في التحريف والتزييف، وأنه يضفي على خلفاء بني العباس من الفضائل ما لم يكونوا له أهلا

---

١ – النساء : ٢٢

يوما من الأيام ، وأنه يشارك عن وعي أو عن غير وعي في مشروع تغييب الحقائق عن الأجيال ، واحتفظت بتلك الصورة إلى أن جاء يوم الصدمة، ورب صدمة أورثت صحوة. وقد أثلج صدري فيما بعد ما عثرت عليه من الحقائق في قصيدة أبي فراس الحمداني التي يصف فيها بني العباس بما هو حقّ، لا بما وصفهم به الخضري في محاضراته. يقول أبو فراس الحمداني الفارس البطل الذي كان يغزو ويحجّ فعلا:

الحق مهتضم والدّين مخترم   وفيء آل رسول الله مقتسم

والناس عندك لا ناس فيحفظهم   سوم الرّعاة ولا شاء ولا نعم

إنّي أبيت قليل النّوم أرّقني   قلب تصارع فيه الهمّ والهمم

وعزمة لا ينام الليل صاحبها   إلاّ على ظفر في طيّه كرم

يصان مهري لأمر لا أبوح به   والدرع والرمح والصمصامة الحذم[1]

وكل مائرة الضبعين مسرحها   رمث الجزيرة والخذراف والعنم[2]

وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا   وليس رأيهم رأيا إذا عزموا

يا للرجال أما لله منتصر   من الطغاة ؟ أما لله منتقم

بنو علي رعايا في ديارهم   والأمر تملكه النّسوان والخدم

محلّئون فأصفى شربهم وشل   عند الورود وأوفى ودهم لمم[3]

فالأرض إلا على ملاّكها سعة   والمال إلاّ على أربابه ديم

---

١ – الحذم من السيوف بالحاء المهملة : القاطع .

٢ – . مار : تحرك . الضبع : العضد . كناية عن السمن . الرمث بكسر المهملة : خشب يضم بعضه إلى بعض ويسمى : الطوف . الخذراف بكسر الخاء ثم الدال المعجمتين : نبات إا أحسب الصيف يبس . العنم بفتح المهملة . نبات له ثمرة حمراء يشبه به البنان المخضوب .

٣ – حلاه عن الماء : طرده . الوشل الماء القليل . لم : أي غب .

فما السعيد بها إلا الذي ظلموا   وما الشّقي بها إلا الذي ظلموا
للمتقين من الدنيا عواقبها   وإن تعجّل منها الظالم الأثم
أتفخرون عليهم لا أبا لكم   حتى كأنّ رسول الله جدّكم ؟ !
ولا توازن فيما بينكم شرف   ولا تساوت لكم في موطن قدم
ولا لكم مثلهم في المجد متّصل   ولا لجدّكم معشار جدّهم
ولا لعرقكم من عرقهم شبه   ولا نثيلتكم مـن أمّهم أمم
قام النبي بها (يوم الغدير) لهم   والله يشهد والأملاك والأمم
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها   باتت تنازعها الذؤبان والرّخم
وصيّروا أمرهم شورى كأنّهم   لا يعرفون ولاة الحقّ أيّهم
تالله ما جهل الأقوام موضعها   لكنهم ستروا وجه الذي علموا
ثم ادّعاها بنو العباس ملكهم   ولا لهم قدم فيها ولا قدم
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا   ولا يحكّم في أمر لهم حكم
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه   أهلا لما طلبوا منها وما زعموا
فهل هم مدّعوها غير واجبة ؟   أم هل أئمّتهم في أخذها ظلموا ؟
أما عليّ فأدنى من قرابتكم   عند الولاية إن لم تكفر النعم
أينكر الحبر عبد الله نعمته ؟   أبوكم أم عبيد الله أم قثم ؟ !
بئس الجزاء جزيتم في بني حسن   أباهم العلم الهادي وأمّهم
لا بيعة ردعتكم عن دمائهم   ولا يمين ولا قربى ولا ذمم
هلاّ صفحتم عن الأسرى بلا سبب   للصافحين ببدر عن أسيركم ؟ !

هلاّ كففتم عن الديباج سوطكم[1] وعن بنات رسول الله شتمكم؟[2]
ما نزّهت لرسول الله مهجته عن السياط فهلاّ نزّه الحرم ؟
ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة وكم دم لرسول الله عندكم
أنتم له شيعة فيما ترون وفي أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قربت قربى ولا رحم يوما إذا أقصت الأخلاق والشيم
كانت مودّة سلمان له رحما ولم يكن بين نوح وابنه رحم
يا جاهدا في مساويهم يكتّمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم ؟
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكم
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا
يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت ومعشرا هلكوا من بعد ما سلموا
لبئسما لقيت منهم وإن بليت بجانب الطف تلك الأعظم الرمم
لاعن أبي مسلم في نصحه صفحوا ولا الهبيريّ نجا الحلف والقسم
ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا فيه الوفاء ولا عن غيّهم حلموا
أبلغ لديك بني العباس مالكة لا يدعوا ملكها ملاكها العجم
أي المفاخر أمست في منازلكم وغيركم آمر فيها ومحتكم ؟
أنى يزيدكم في مفخر علم ؟ وفي الخلاف عليكم يخفق العلم

---

١ – الديباج هو محمد بن عبد الله العثماني أخو بني حسن لأمهم فاطمة بنت الحسين السبط ضربه المنصور مأتين وخمسين سوطا .
٢ – لعله أشار إلى قول منصور لمحمد الديباج : يا بن اللخناء . فقال محمد . أي أمهاتي تعيرني ؟ أبفاطمة بنت الحسين ؟ أم بفاطمة الزهراء ؟ أم برقية ؟ .

يا باعة الخمر كفّوا عن مفاخركم   لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
خلّوا الفخار لعلاّمين إن سُئلوا   يوم السؤال وعمّالين إن عملوا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا   ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
تنشى التلاوة في أبياتهم سحرا   وفي بيوتكم الأوتار والنغم
منكم علية أم منهم ؟ وكان لكم   شيخ المغنين إبراهيم أم لهم؟[1]
إذا تلوا سورة غنّى إمامكم   قف بالطلول التي لم يعفها القدم
ما في بيوتهم للخمر معتصر   ولا بيـوتكـم للسّوء مـعتـصم
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم   ولا يـرى لـهم قرد ولا حشم
الركن والبيت والأستار منزلهم   وزمزم والصفا والحجر والحرم
وليس من قسم في الذكر نعرفه   إلا وهم غير شك ذلك القسم[2]

---

١ – علية : بنت المهدي بن المنصور كانت عوّادة . وإبراهيم أخوها كان مغنيا وعوادا.

٢ – الغدير،: الشيخ الأميني(الوفاة : ١٣٩٢) ج٣ص٤٠٢ ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة : الرابعة ،سنة الطبع : ١٣٩٧ – ١٩٧٧م. ووجدت للشاعر أبياتا يصرح فها بعقيدته يقول فيها:

لَسْتُ أرْجُو النّجاةَ ، من كلّ ما أخْـ...شَاهُ ، إلاّ بِأحْمَدٍ وَعَلِيٍّ
وَبِبِنْتِ الرّسُولِ فَاطِمَةَ الطُّهْـ........رِ وَسِبْطَيْهِ وَالإمَامِ عَلِيّ
و التقيِّ النقيِّ باقرِ عـلمِ الـ.........لّه فِينَا ، مُحَمّدِ بنِ عَلِيّ
و ابنِه'جعفرٍ'و'موسى' ومـولا......... نا عَلِيٍّ ، أكرِمْ بِه مِنْ عَلِيّ
وأبي جَعْفَرٍ سَمِيِّ رَسُولِ الـ.........لهِ ، ثمَّ ابنه الزكيِّ ' عليٍّ '
و ابنِه ' العسكريِّ ' والقائمِ المظـ. . هرِ حَقّي مُحَمّدِ بنِ عَلِيّ

كلام بخصوص الأزهر

أفتى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر في زمانه بجواز التعبد بالمذهب الجعفري، وسارت بفتواه الركبان، ولم يعترض أحد يومها ولا بعدها حتى جاء القرضاوي يشكّك في صدور الفتوى ، بل يدعي أنها مزورة! كيف سكت المسلمون عن التزوير أكثر من نصف قرن، الله العالم. لكنّ سلوك القرضاوي بتناقضاته وتضارباته، وركونه إلى الظلمة المتسلطين في قطر يجعل عدالته عرضة للتشكيك، إضافة إلى سوء أدبه مع الله تعالى وهو يدعو أمريكا إلى التدخل في العراق ويقول بكل وقاحة وصلافة "" على أمريكا أن تدافع عن السوريين، وأن تقف وقفة رجولة، ووقفة لله، وللخير وللحقّ ". وعليه فلا أحد يجادل القرضاوي بخصوص نفي فتوى الشيخ شلتوت، وله معه وقفة يوم القيامة، هذا إن كان يؤمن ـ فعلا ـ بيوم القيامة، لأن أفعاله تدلّ على خلاف ذلك، وتثبت أنّه من مصاديق الحديث النبوي اشريف الذي يشير إلى " منافق عليم اللسان" وحتى لو لم تثبت صحة الحديث فإن صحّة مضمونه ثابتة في القرآن الكريم ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾[1].

بعد رحيل الشيخ شلتوت بدأ الأزهر يتضاءل شيئا فشيئا، إلى أن صار لعبة في يد الساسيين، يفصّل الفتوى كما يفصّل الخيّاط الثوب. وقد بلغ الأمر إلى أن صاروا يتندّرون بما يصدر منه حتى قيل إنّ عالما من شيوخ الأزهر طلب منه إصدار فتوى بخصوص تحديد النّسل، فسألهم: تريدون فتوى مؤيّدة لتحديد النّسل أم فتوى مخالفة له؟!

---

١ – المنافقون : ٤ .

حينما قرّر جمال عبد الناصر الحرب ضد إسرائيل واستبعاد الصلح ، خرج شيخ الأزهر عبد الحليم المنتصر على الناس بفتوى اللاءات المتوالية : " لا صلح، لا تفاوض، لا سلام ". ثم رحل جمال عبد الناصر وخلفه وخالَفه الرئيس السادات، واستعان كسابقه بشيخ الأزهر الجديد جاد الحق علي جاد الحق، ولم يكن أمام الأخير إلا إصدار فتوى تنسخ الفتوى السابقة، مستشهدا بالقرآن الكريم﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾[1]، وكان المنظر مشوّها وبشكل كريه، حيث ظهر شيخ الأزهر يتوسط اليهودي مناحيم بيغن والدجال أنور السادات في خيمة العار. ثمّ رحل السادات من الدنيا ورحل شيخ الأزهر أيضا، وجاء حسني مبارك وجاء الشيخ طنطاوي، وكان ما كان ممّا لست أذكره؛ وقد بلغ الانبطاح والانحطاط بحسني مبارك مبلغا يدعو إلى الاستغراب! لقد كان قطعة انبطاح تتحرك على الأرض. وأصدر الشيخ طنطاوي بيانا بخصوص تفجير في خان الخليلي ذهب ضحيّته سائح ألماني قال فيه: "صاحب هذا العمل الإرهابي خائن لربّه، خائن لدينه، خائن لوطنه" ،... وبعد أيام حدث تفجير جسر الأئمة الذي راح ضحيته ما يقارب ألفي مسلم من زوّار الإمامين الكاظمين، فلم ير الشيخ طنطاوي في ذلك خيانة لله والدين والوطن! ولم ير في الخيانات التي ارتكبها حسني مبارك وأولاده في حق الأمة الإسلامية عموما والشعب المصري خصوصا خيانة لله والدين والوطن! ثم جاءت الثورات التي سمّاها كيسنجر الربيع العربي، وفُرضت التسمية على الإعلام العربي فرضا! وهنا تردّد الأزهر يراوح

---

١ - الأنفال: ٦١ .

مكانه، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الوراء،! وحين غيض الماء واستوت على الجوديّ وتبيّن أنّ أيام مبارك قد انتهت وولّت إلى غير رجعة التحق الأزهر ـ فجأة ـ بالثورة والثوّار! وصار بقدرة قادر أحد أركان الثورة، وبدأ استغلاله من جديد، لكن هذه المرّة ضد الشيعة عموما، وضد جمهورية إيران الإسلامية خصوصا. وبدأ الأزهر يقوم بأدوار مشبوهة متناغما مع أدوار الجامعة العربية. في هذا السياق كتب الكاتب الإسلامي الشهير فهمي هويدي عبارات من شأنها أن تشفي صدور قوم مؤمنين وتذهب غيظ قلوبهم. قال الأستاذ فهمي هويدي فيما نقله حسنين كروم:

الزيارات الخليجية التي يقوم بها شيخ الأزهر مصطحبا معه بعض العلماء تبعث على الحيرة والقلق أكثر مما تبعث على الارتياح. ذلك أن الشيخ ليس رجل دولة تحكمه الأعراف والمجاملات التي يقتضيها تبادل المصالح السياسية؛ إنني أشمّ في تلك الزيارات رائحة السياسة التي هي في طبيعتها مشكوك في براءتها، ذلك أنّ شيخ الأزهر حين يدعى إلى مناسبات لا علاقة لها بالدور العلمي أو الدعَوي الذي تقوم به المؤسسة الكبرى التي يرأسها، فإنّ ذلك لا بدّ أن يثير العديد من علامات الاستفهام والتعجّب. وحين يدعى الشيخ إلى بلد على غير صفاء أو وئام مع الدولة المصرية التي ينتمي إليها فإنّ ذلك يفتح الباب لاحتمالات عدم البراءة، ومن ثَمّ الشكّ في أهداف الزيارة التي قد يظنّ أن المراد بها فصل الأزهر عن الدولة، وحتى إذا كان ذلك الاحتمال الأخير مبالغا فيه ويحمل الأمر أكثر مما يحتمل، فالذي لا شكّ فيه أن الشبهة قائمة وثمّة

قرائن عدّة تؤيدها". وقال أيضا:

حين جاء الرئيس الإيراني أحمدي نجاد ضيفا على القاهرة فوجئ الجميع بأنه هوجم وجرى إحراجه حين زار شيخ الأزهر، وليس بمقدوري أن أعرف مدى إسهام تلك الخلفية في الدعوات التي وجهت إلى شيخ الأزهر لزيارة بعض الدول الخليجية المستاءة من الثورة، والأشدّ استياء من الإخوان[1].

وراح حسنين كروم يعلّق بطريقته على كلام فهمي هويدي، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم. ومع ذلك لا يستطيع كروم ولا غيره إخفاء الفضائح التي تعتري الإخوان منذ بداية الأحداث التي عصفت بمجموعة من الرؤساء وجاءت بآخرين.

قال الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز:"لم أتفاجأ بإنكار الرئيس مرسي إرسال خطاب لي بعد وصوله إلى السلطة، بل تفاجأت بقيام مرسي بإرسال الخطاب أصلا". وأضاف بيريز في الحوار الذي أجرته معه صحيفة (نيويوك تايمز) الأمريكية الخميس أنه " لا يعرف لماذا أخذ هذا الموضوع حيّزا مهمّا، مشيرا إلى أن الرئيس مرسي لديه الكثير من الأسئلة ليجيب عنها داخل حزبه الذي ينتمي إليه، وأن مرسي مثل أي رئيس في السلطة يواجه أزمات صعبة".

وتابع بيريز: إنّه من السهل أن تلعبَ دور المسلم الملتزم عندما لا تكون في موضع السلطة، لكنّ الأمور تتعقد عندما تصل إلى السلطة[2].

---

١ – القدس العربي. العدد٧٤٣٦ الخميس ١٦ مايو ٢٠١٣ م – ٦ رجب ١٤٣٤ هـ.

٢ – المصري اليوم، ١١ يناير ٢٠١٣ .

للتذكير فإنّ رسالة مرسي إلى رئيس الكيان الصهيوني تبدأ بقوله " **عزيزي بيريز** " وتنتهي بـ"**صديقكم الوفي**"[1]. لا ينقضي العجب، ولله تعالى في خلقه شؤون.

علّق دبلوماسي إسرائيلي على رسالة مرسي بقوله: "يفضّلوننا في دور عشيقة عن زوجة شرعية"!

جاء في شريط أخبار فرانس ٢٤ بتاريخ٢٠١٣/٠٢/١٤ ما يلي:

مصر تغلق أنفاقا على حدود غزّة بضخ مياه الصرف الصحّي فيها[2] !

أقول: لم نقرأ ولم نسمع أن الإخوان في مصر كذّبوا هذا الخبر، وعليه فمن حقّنا أن نعتبره صحيحا، ونترك للإخوان أن يتصرّفوا كما يريدون. وقد بثت قناة فرنسا ٢٤ صورا حية للأنفاق بعد الضخ، وكان هناك فلسطيني يتحدث بألم وتوجّع وهو لا يكاد يصدق أن ذلك قد حدث فعلا! هذا مع أنّ الواقع يشهد أنّ الإخوان لم يعودوا يتردّدون في تكذيب أمور واضحة صارخة، كما هو الشأن في رسالة مرسي إلى بيريز!

و لمن لا يعرف الإخوان أقول: **هذا عمل الإخوان**. حتى حسني مبارك لم يصل إلى هذه الدرجة! وابتسامة مُرسي وهو يصافح هيلاري كلينتون تستحقّ الرسم بريشة ليوناردو ديفنتشي، ورسالته إلى شمعون بيريز تستحق جائزة نوبل للآداب.

قد يخطر ببال من يقرأ هذا الكلام أو يسمعه أنّ المقصود به التشهير بالإخوان المسلمين والتعرّض لنقدهم بهدف التشهير والتشنيع، ومن حقّه

---

١ – صدرت الرسالة يوم١٩ يوليو٢٠١٢ بعد انتهاء فترة خدمة السفير السابق في إسرائيل ياسر رضا وصدور قرار بتعيين عاطف سالم خلفا له.
٢ – أخبار فرانس٢٤ ـ بتاريخ٢٠١٣/٠٢/١٤ .

أن يتصوّر ما يشاء ويعتقد ما يشاء، لكن لا بدّ من الاحتكام إلى العقل، وليس لأحد أن يتلاعب بعقول الناس وضمائرهم مستعملا الدين آلة للدنيا. وقد قدّم الإخوان المسلمون أنفسهم للعالم في صورة الضحيّة مدّة تجاوزت نصف قرن، وعليه فلا بدّ من مقايسة أعمالهم بأعمال من كانوا يسمونه " الطاغوت"، فإن تبيّن بينهم وبينه مشابهة وجب على كلّ عاقل أن يندّد بأعمالهم وأقوالهم، لأنّهم ساعتها يكونون أسوأ حالا من ذلك الطاغوت. والطاغوت المزعوم لم يتلبّس بالدين، ولم يستغلّ مشاعر الناس وعواطفهم، بل كانا معلنا مجاهرا بعلمانيّته وقوميّته، على خلاف الإخوان الذين تلبّسوا بالدين وزعموا أنّهم قادرون على تطبيق شرع الله على الوجه المطلوب، ثمّ قاموا بأعمال لا يقوم بها من لا دين له أصلا!

ما معنى إغلاق الأنفاق على حدود غزّة بضخّ مياه الصرف الصحّي فيها والحال أن شعب غزة يعيش حصارا رهيبا؟!

ألم يكن الإخوان أيام العدوان على غزة يندّدون بموقف مبارك ويدعون إلى فتح المعابر؟! كيف يوفّقون بين ذلك وبين إغلاق الأنفاق سواء كانت تمرّ من خلالها الأغذية أو الأسلحة؟! حتى لو كان شعب غزّة عدوّا لشعب مصر فإنّ المروءة تقضي بمعاملته معاملة لا تخلو من الإنسانية، والحال أن بين المصريين وأهل غزة مصاهرات وأنساب..

هل وقف القرضاوي موقفا لله وللخير في هذه المسألة؟! أم أنه خنس كما هي عادته؟!

أما أبناء المقاومة الإسلامية الذين يكفّرهم الإخوان والسّلفيون فإنّهم لم يكونوا يتردّدون بالمخاطرة بحياتهم من أجل تمرير السّلاح إلى العزّل

في فلسطين المحتلة عبر السودان. ولم يتخلّوا عن القضيّة يوما من الأيام. على خلاف إخوان مصر وعلى رأسهم مرسي، وإخوان تركيا وعلى رأسهم أردوغان حيث المتاجرة بالقضية والسيناريوهات المفضوحة.

كلمات بخصوص الإرهاب

مقطع من كلمات قلتها بخصوص الإرهاب في إحدى حقات برنامج حقائق التاريخ، لا أرى بأسا بإيرادها .

الإرهاب لا يعني الدول والحكومات فقط. كل بيت معني بالإرهاب. لأن في كل بيت ـ تقريبا ـ أولادا في سن المراهقة، وشبابا تعدوا سن المراهقة، وهؤلاء هم صيد الإرهاب. الإرهاب يبحث عمن أعمارهم بين ١٥ إلى ٣٠ سنة . هناك قووة جنونية عند الشباب، هناك اندفاع، والشاب يريد أن يدخل الحياة بقوة، ولكن في المقابل هناك أبواب كثيرة مسدودة في وجهه. فيأتي الإرهاب ويفتح للشاب باب الوهم. يقول له: تعال تصبح شهيدا! تعالتصبح في طبقة حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب! تعال ترفع راية الإسلام. تعال تتزوج الحور العين! تعال تتغد أو تتعش مع النبيﷺ، وهكذا..

تلك الأمة التي تعبت في تربية ولدها، ثم نما وترعرع أمام عينيها، وأصبحت تحدث نفسها وتمنيها، متى تراه مع أولاده الصغار، وهي تضع بعضهم في حجرها وتضحك معهم وتحمد الله أن أراها ذرية ولدها قبل أن تخرج من الدنيا، إذا بها يدق بابها ويوضع أمامه تابوت ويقال لها: " هذا ابنك كان مع الإرهابيين، يروع الناس..".

دموع بدل الابتسامة، وأنين وولولة بدل الضحك ، ويأس بعد الأمل.

الساكتون اليوم عن الحديث عن الإرهاب مشاركون في ممارسة الإرهاب، وأنا لا أتكلم في موضوع مثل هذا باسم قناة ولا باسم مذهب ولا باسم أي أحد. إنما أتحدث بعنوان مسلم، والمسلمون عدول كأسنان

المشط، يسعى بذمتهم أدناهم. وقد كنت يوما من الأيام ضحية الإرهاب، بسبب جملة واحدة! رأيت في التاريخ أن أهل بيت النبيﷺمظلومون فقلت " إن أهل بيت النبيﷺ مظلومون" فتحولت إلى زنديق يجب قتله، وكان هناك حديث عن ديتي، علما ألأن الدية تكون في طول الوفاة وبعدها رتبة لا قبلها.

كل مسلم معني اليوم بقضية الإرهاب، وإدانة الإرهاب واجبة في ذمة كل شخص، لا يستثنى من ذلك أحد؛ وإسناد قضية مواجهة الإرهاب إلى الدولة وحدها غير كاف وغير معف وغير مبرئ للذمة ، لأن هذا الإرهاب الذي نراه ونشاهد آثاره يشوّه صورة الإسلام والمسلمين أولا وقبل كل شيء!

مرت الأمة الإسلامية باستعمارات كثيرة، واستعمرت باسم الإسلام أيضا كما هو شأن العثمانيين الذين حكموا الناس باسم الإسلام وقاموا بمجازر في حق المسلمين لم يقم بها الاستعمار النصراني!

حينما يجلس أحدهم في تورابورا واضعا إحدى رجليه على الأخرى ويتحدث باستهتار ويرسل أبناء المسلمين إلى الموت باسم الإسلام، يغدو لزاما على المسلمين الصالحين أن يستنكروا. فالإسلام يحيي ولا يميت. ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا ﴾[1]. نحن نأتي إلى ذلك الإرهابي ونمارس حياله الإدانة والضغط، ولكننا لا نقوم بالواجب حيال الجهات المحرضة

---

١ – المائدة : ٣٢.

والجهات المموّلة للإرهاب، وقد قرأنا على أشرطة أخبار الفضائيات والمواقع الإلكترونية أن إمام مسجد[1] وجد بين القتلى! يفترض في إمام مسجد أن يكون من أهل النصيحة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الأخوّة والتّراضي والتّضامن، وإذا به يسافر من بلد مسلم إلى بلد مسلم لقتل المسلمين باسم الإسلام! أي دين هذا؟! ما دمت شجاعا فهناك إخوة لك مسلمون يُقتلون ويذبَّحون في فلسطين ظلما وعدوانا، لماذا لا تذهب تدافع عنهم هناك؟! نعم لا تستطيع، لأن الذي ارسلوك لقتل الأبرياء هنا لن يسمحوا لك بالذهاب للدفاع عن الأبرياء هناك!

١ - إمام المسجد هذا من السعودية.

ملاحظات

عادة ما يتأثر الإنسان بأشخاص يراهم قدوة ومثالا أعلى يحتذى به في أمر ما من أمور الحياة. وهذا بعد الاعتقاد بمقام النبيﷺ أسوة للعالمين. قد يكون التأسي بسبب الإعجاب ، وقد يكون بسبب المهارة والإتقان في الأداء، وقد يكون لأسباب أخرى، لكن أفضلها هو ما كان بسبب التعلق بالقيم والمثل العليا، وإيثار الحق وتبنيه ولو مع تحمل الضرر. هؤلاء الذين تعلقوا بالقيم والمثل مع أنهم بسطاء غير معصومين، لا هم أنبياء ولاهم أوصياء أنبياء، يستحقون التمجيد والتقدير والاحترام. عل عكس أولئك الذين انحصرت هممهم عند شهواتهم وتسافلت طموحاتهم، فأهدروا أعمارهم وأعمارا مع أعمارهم، وتسبوا في جلب الشقاء لمعاصريهم وأجيال أتت من بعدهم.

قرشي اسمه عمر بن سعد بن أبي وقاص، لأجل أن يكون واليا على الري سمح لنفسه بقتل سيد شباب أهل الجنة! لميرع حرمة رسول اللهﷺ ولا حرمة أهل بيته عليهم السلام. يقرأ القرآن، ويعرف معنى قول الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾[1]، ومع ذلك يقدم على فعلته بكل وقاحة، ويزعمأن خيله خيل الله! ويأتي ابن حجر العسقلاني بعد قرون فيقول عنه: عمر بن سعد بن أبي وقاص المدني، نزيل الكوفة، صدوق، ولكن مقته الناس لكونه كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي من الثانية. قتله المختار سنة خمس وستين أو بعدها ووهم من ذكره في

---

١ – النساء : ٩٣

الصحابة فقد جزم بن معين بأنه ولد يوم مات عمر بن الخطاب[1].
هل كان ابن حجر ليقول هذا الكلام لو أن عمر بن سعد قتل ابنه أو أخاه أو أباه؟ هل كان يقول عنه إنه "صدوق". وكيف يكون صدوقا من علم أن رسول الله ﷺ بكى لقتل الحسين ومع ذلك قام هو نفسه بتنفيذ عملية القتل؟! اللهم احشر ابن حجر العسقلاني مع عمر بن سعد وأدخله مدخله واجعله قرينه؛آمين.

مثل هؤلاء القتلة والمترضّين عن القتلة لا يرقون إلى مستوى يهودي ولا نصراني ولا بوذي، ديدنهم الاستخفاف برسول الله ﷺ قولا وعملا، ومع ذلك حفظت لهم الحكومات المتعاقبة حصانة فولاذية! وانظر إلى ابن حجر ومشايخه ومريديه حينما يتعلّق الأمر بقتل عثمان كيف يغدون أصحاب وجدان ومشاعر وعواطف! ، ويكفي أن الصحابة والتابعين رفضوا أن يدفن عثمان في مقابر المسلمين، وفعلا دُفن في مقبرة اليهود. شهادة تاريخية أن الصحابة والتابعين لا يعتبرون عثمان مسلما! ماذا يقول ابن حجر عن الصحابة الذين رفضوا أن يدفن عثمان مع المسلمين؟! هل يكفرهم؟ لا! هل يفسّقهم؟ لا! المهم ألا يكونوا موالين لرسول الله ﷺ

---

١ - تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني الوفاة: ٨٥٢ ، ج ١ ص ٤١٣: دار الرشيد ، سوريا ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة.و لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني الوفاة: ٨٥٢ ، ج ٧ص ٣١٨: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية - الهند -.

وأهل بيته عليهم السلام. هذا مع أن الإمام الحسين عليه السلام مطهر بنص القرآن الكريم، وعثمان ليس مطهرا، عبد الصنم عشرات السنين! فمليون عثمان لا يساوون عند الله تعالى شعرة من الإمام الحسين عليه السلام..

وحينما يتعلّق الأمر بالمختار بن عبد الثقفي الذي انتقم لابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأذاق قتَلَته حرّ الحديد ينبري ابن حجر متهجما عليه واصفا إياه بالمفترى الدجال الذي ادعى النبوة! روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: دخل على المختار بن أبي عبيد رجل وقد اشتمل على سيفه قال فجعل المختار يكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله قال فهممت أن أضربه بسيفي[1]..

عن الأسود بن شيبان قال حدثنا خالد بن سمير قال قدم الكذاب المختار بن أبي عبيد الكوفة فهرب منه وجوه أهل الكوفة[2]..

وقال ابن قتيبة:ولا نعلم أحدا ادعى النبوة لنفسه غيرهم فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوّة لنفسه وقال إن جبريل وميكاءيل يأتيان إلى جهته فصدّقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية[3].

وقد خطت أيديهم كلاما كثيرا في هذا الموضوع للحطّ من شخصية المختار الذي انتقم لآل محمد من أعداء محمد صلى الله عليه وآله، وسوف يجمعهم الله

---

١ – مصنف عبد الرزاق الصنعاني، الوفاة: ٢١١ ، ج ٥ ص ٣٠٠ : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي..

٢ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الوفاة: ٢٣٠ ، ج ٥ ص ١٦٢: دار صادر بيروت .

٣ – تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة أبو محمد الدينوري الوفاة: ٢٧٦ ، ج ١ ص ٧٣: دار الجيل – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٢ ، تحقيق : محمد زهري النجار.

به ويطلب منهم دليلا على ما افتروا وخسر هنالك المبطلون.

لقد دخل المختار بن أبي عبيد التاريخ بطلا شفى صدور قوم مؤمنين حينما انتقم من العتاة وأذلهم وأذاقهم حرّ الحديد، ثم لاقى مصيره كما يلاقي كل واحد مصيره، لكن بعد أن غدر به مصعب بن الزبير كما غدر خالد بن الوليد بالصحابي الجليل مالك بن نويرة، فإن كل واحد من الرجلين آعطى صاحبه الأمان حتى إذا ألقى السلاح قتله! ذهب أبناء الزبير بعد أن سفكوا دماء كثيرة في طلب الملك، وذهب عمر بن سعد وغيره، وليس لهم أثر اليوم، وذهب المختار بن أبي عبيد بعد أن انتقم لآل رسول الله وسجّل ملاحم خالدة، وترك قبرا بالكوفة يزوره من يعرف قدره.

الازدواجية في مواقف الرواة والمحدثين تؤكد أنّ تراثنا نحن المسلمين تعرض للمسخ وضرب القيَم والآداب عرض الحائط. وقد أفرز هذا السلوك تمجيدا للظلمة وتهميشا للأتقياء والمنصفين، واستخفافا بصاحب الشريعةﷺ ومعارضة صريحة للقرآن الكريم. ووظيفة كل مسلم صادق مع نفسه أن يقف في وجه هذا السلوك باليد والقلب واللسان، وألا يعتبر نفسه غير مسؤول، لأنه فعلا مسؤول، وكل مسلم موحد مشمول بقول الله تعالى﴿إن السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا ﴾[1].

---

١ - الإسراء: ٣٦.

إخواننا الذين سبقونا بالإيمان

في الأيام الأولى التي يتعرف فيها المؤمن على مدرسة أهل البيت عليهم السلام يكتشف أحوالا وأقوالا وسيرا وشخصيات أخفاها وغيبها تراث وقوده الرقابة والحظر. وهذا أيضا ممكا ينبغي أن يسجل ويتخذ منه موقف لمن يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون إلا الله. فإن تراثا يمارس التحريف والتزييف والتزوير والرقابة والحظر ليس مما يُفتخر به، وإنما ينقّح ويصفّى ثم يعرض بكل فخر واعتزاز، ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

عرفت منذ البداية أن الالتحاق بركب أهل البيت عليهم السلام ظاهرة قديمة تعود إلى أيام الإمام علي عليه السلام، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله هو الذي زرع بذرة التشيع والولاء له ولأهل بيته ورعاها بنفسه، ورحل من الدنيا وهو يقول: " أنشدكم الله في أهل بيتي "[1]. والذين التحقوا بأهل البيت عليهم السلام كان منهم المحدث والمفسر والكلامي والمؤرخ، كما أن الإنصاف يقضي أن

---

١ – المعجم الكبير ، الطبراني (الوفاة: ٣٦٠ هـ) ،ج ٥ ص ١٨٣: مكتبة الزهراء الموصل، ١٤٠٤ ،١٩٨٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي. والكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي النيسابوري الوفاة: ٤٢٧ هـ – ١٠٣٥م ، ج ٨ ص ٤٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي. و الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي الوفاة: ٨٧٥ هـ ، ج ٨ ص ٤٤: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. و بدائع السلك ١–٢(م) ، إبن الأزرق(م) الوفاة: ٨٩٦ هـ ، ج ١ص٣٨٦ وزارة الإعلام ، العراق، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.علي سامي النشار و جامع الاحاديث، جلال الدين السيوطي(الوفاة:١٩/جمادى الاولى/٩١١هـ)، ج ١٩ ص ٤٦٨ . و سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي(الوفاة: ٩٤٢هـ) ، ج ١٢ص ٣٩٧: دار الكتب العلمية، بيروت – ١٤١٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، اسم المؤلف: علاء الدين علي المتقي الهندي (الوفاة: ٩٧٥هـ)، ج ١٣ ص ٢٧٦، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ–١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

يعترف المسلمون ويقروا أن شيعة أهل البيت عليهم السلام هم المؤسسون لكثير من العلوم، وأن بقية الناس عالة عليهم، إذ منهم أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو، والخليل بن أحمد الفراهيد واضع علم العروض، وجابر بن حيان،.. ومنهم الشعراء الكبار كثير والفرزدق والسيد الحميري ودعبل الخزاعي وابن الرومي والبحتري والمتنبي وأبو فراس الحمداني..

كل هذا مما يبعث الطمأنينة والأنس في قلب الموالي لعترة الرسول صلى الله عليه وآله ويثبت فؤاده. ومهما نسيت فإنني لن أنسى تلك السكينة التي اعترتني وأنا أقرأ قصة قاضي القضاة الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي المتوفى ١٣٨٣ هـ ق، الذي التحق بأهل البيت عليهم السلام في شيخوخته، ودون قصة استبصاره، ومع ذلك امتدت إليها أيدي التحريف، مما دعاه إلى التنبيه على ذلك في الطبعة الثالثة بقوله:

نلفت أنظار قرائنا الكرام بأن كتابنا هذا قد طبعته بعض الأيادي الأثيمة ، وأسقطت منه كثيرا ً من المطالب النافعة الهامة ، فجميع طبعاته غير معتبرة ما عدا هذه الطبعة التي كنا مشرفين عليها عند طبع الكتاب والله المستعان[1].

قال المحقق بعد ذلك: قول : اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على تلك الطبعة الثالثة وعلى نسخة مصححة أتحفنا بها سماحة آية الله السيد

---

١ – لماذا اخترت مذهب أهل البيت، الشيخ محمد مرعي الأنطاكي ص ١٠، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة : الأولى / ١٤١٧ ق ، ١٣٧٥ ش . تحقيق : الشيخ عبد الكريم العقيلي . سنة الطبع : ١٤١٧ – ١٣٧٥ ش .

العباس الكاشاني حفظه الله والتي أهديت إليه بخط المؤلف ، وما التوفيق إلا من عند الله .

يقول الشيخ الأنطاكي:

وأخيرا " عثرنا على كتاب جليل لإمام عظيم ، وهو كتاب (المراجعات) للمقدس فقيد الأمة الإسلامية آية الله العظمى المجاهد في

سبيل الله بقلمه ولسانه طيلة حياته ، الإمام الأكبر ، والمجتهد الأعظم ، سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي (١) قدس الله روحه الطاهرة وأسكنه فسيح جنته مع أجداده الطاهرين ،فأخذت الكتاب وبدأت أتصفحه ، وأتدبر مقالاته بدقة وإمعان ،فأدهشتني بلاغته ، وسبك جمله ، وعذوبة ألفاظه ، وحسن معانيه التي قل أن يأتي كاتب بمثلها ، فقمت أفكر في هذا الأثر القيم ، والسفر العظيم ، وما فيه من الحكميات والمحاكمات بين مؤلفه المفدى ، وبين الشيخ الأكبر الشيخ (سليم البشري) شيخ الجامع الأزهر ، وذلك بأدلته القاطعة ، وحججه البالغة ، مما يفحم الخصم ، ويقطع عليه حجته .

وقد رأيت مؤلفه العظيم لم يعتمد في احتجاجه على الخصم من كتب الشيعة ، بل يكون اعتماد على كتب السنة والجماعة ، ليكون أبلغ في الرد على الخصم ، فبذلك زدت إعجابا " على إعجاب مما جرى به قلمه الشريف .هذا ولم يمض علي الليل إلا وأنا مقتنع تماما " ، بأن الحق والصواب مع الشيعة ، وأنهم على المذهب الحق الثابت ، عن رسول صلى الله عليه وآله ، عن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، ولم يبق لي أدنى شبهة البتة ، واعتقدت بأنهم على خلاف ما يقال فيهم من

المطاعن والأقاويل المفتعلة الباطلة[1] .

ولا يخفى وجه الشبه بين أثر كتاب " المراجعات " للسيد شرف الدين رحمه الله في نفس الأنطاكي وأثر كتاب " الإمام الصادق والمذاهب الأربعة" للشيخ أسد حيدر رحمه الله في نفسي. وقد استأنست بذلك وعددته من باب ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[2]. وقد قرأت كتاب الرجل واستفدت من تجاربه، وترحمت عليه، وأسأل الله تعالى أن يحشره مع أئمته الذين تحمل لأجل ولائهم ما تحمل، وما وهن وما استكان. وختم كتابه بأبيات تكشف عن صفاء نفس وثبات قلب ورسوخ في التوحيد وتمسك بالولاء والبراءة بشكل لا يقبل الجدل . هذه الأبيات أراها أفضل ما أختم به هذا الكتاب: قال الأنطاكي

لماذا اخترت مذهب آل طه	وحاربت الأقارب في ولاها
وعفت ديار آبائي وأهلي	وعيشا كان ممتلأ رفاها
لأني قد رأيت الحق نصا	ورب البيت لم يألف سواها
بالاستمساك بالثقلين حازت	...بأولاها وأخراها نجاها
وصارت أعظم المخلوق قدرا	...وأورثها الولا عزا " وجاها
ولا أصغي لعذل بعد علمي	.....بأن الله للحق اصطفاها

---

١ – لماذا اخترت مذهب أهل البيت ، : الشيخ محمد مرعي الأنطاكي(الوفاة : ١٣٨٣) ص ٥٢ – ٥٣ . مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة : الأولى. سنة الطبع : ١٤١٧ – ١٣٧٥ ش ، تحقيق : الشيخ عبد الكريم العقيلي .

٢ – هود : ١٢٠ .

ولا أهتم في الدنيا لأمر	إذا ما النفس وافاها هداها
فمذهبي التشيع وهو فخر	...لمن رام الحقيقة وامتطاها
وفرعي من علي وهو در	.. صفا والدهر فيه قد تباها
وهل ينجو بيوم الحشر فرد	مشى في غير مذهب آل طه

تم الكتاب في ٣١٣ صفحة تيمنا بأصحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

١. [البداية والنهاية، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الوفاة: ٧٧٤ هـ-،: مكتبة المعارف، بيروت].
٢. اتباع السنن واجتناب البدع ، ضياء الدين المقدسي (المتوفى : ٦٤٣هـ) ،
٣. أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ)
٤. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر النمري القرطبي الوفاة: ٤٦٣هـ: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سالم محمد عطا-محمد علي معوض.
٥. الإصابة ، ابن حجر العسقلاني- دار الجيل بيروت ١٤١٢ هـ .
٦. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الوشلي، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، مصر، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
٧. الأم، محمد بن إدريس الشافعي (الوفاة: ٢٠٤ هـ) ، ج دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣، الطبعة : الثانية.

٨. الإمامة والرد على الرافضة،،: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة / السعودية - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

٩. أنساب الأشراف، البلاذري المتوفى : ٢٧٩هـ-. دار الفكر بيروت ١٤١٧ هـ١٩٩٦ م تحقيق د. سهيل زكار و د. رياض زركلي.

١٠. الأنساب، السمعاني(الوفاة: ٥٦٢هـ)، ، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الله عمر البارودي.

١١. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار،أبو بكر الكلاباذي البخاري الوفاة: ٣٨٤ هـ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي.

١٢. البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، الوفاة : ٧٧٤ - ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م . تحقيق وتعليق : علي شيري. مكتبة المعارف، بيروت.

١٣. البداية والنهاية، ابن كثير القرشي أبو الفداء الوفاة: ٧٧٤هـ -، مكتبة المعارف، بيروت.

١٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،: العلامة محمد بن علي الشوكاني الوفاة: ١٢٥٠هـ ج١، ص٣٣٧ إلى ٣٣٩ : دار المعرفة، بيروت،

١٥. بريقة محمودية ، لأبي سعيد محمد بن محمد الخادمي (المتوفى : ١١٥٦هـ) ،

١٦. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ،: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي الوفاة: ٢٨٢ ،: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – ١٤١٣ – ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري.
١٧. بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة الوفاة: ٦٦٠، - : دار الفكر، تحقيق : د. سهيل زكار] .
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الوفاة: ١٢٠٥ هـ: دار الهداية، تحقيق : مجموعة من المحققين.
١٩. تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني الوفاة: ٤٣٠ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : سيد كسروي حسن.
٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي الوفاة: ٧٤٨هـ ، دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري
٢١. تاريخ الطبري المتوفى سنة: ٣١٠ هـ: دار الكتب العلمية – بيروت وجامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير- لجلال الدين السيوطي المتوفى في ١٩/جمادى الأولى.
٢٢. تاريخ الطبري، الوفاة: ٣١٠ هـ دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٣. تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري البصري الوفاة: ٢٦٢هـ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، تحقيق : علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان،

٢٤. تاريخ اليعقوبي، دار صادر ـ بيروت.
٢٥. تاريخ خليفة بن خياط، الوفاة: ٢٤٠ هـ دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت – ١٣٩٧، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري،
٢٦. تاريخ مدينة، ابن عساكر، الوفاة: ٥٧١،: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
٢٧. تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، لأبي نعيم الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ)
٢٨. تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي، الوفاة : ٤٢١– دار سروش للطباعة والنشر سنة الطبع ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : الدكتور أبو القاسم إمامي،
٢٩. تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى.
٣٠. التعليقات الرضية على الروضة الندية ج: ناصر الدين الألباني: دار ابن عفان – القاهرة – ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي حسين الحلبي.
٣١. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ هـ
٣٢. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي الشافعي الوفاة: ٦٠٤: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى.

٣٣.التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي الشافعي الوفاة: ٦٠٤ هـ -، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى .
٣٤. تنقيح الفتاوى الحامدية ، ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر (المتوفى : ١٢٥٢هـ) ،
٣٥. تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني،:دار الفكر ١٤٠٤ هـ
٣٦.جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير-، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الأولى / ٩١١هـ
٣٧.جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير-، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/جمادى الأولى / ٩١١هـ .
٣٨.الجامع، معمر بن راشد الأزدي الوفاة: ١٥١ هـ ،المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٣ هـ الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الأعظمي منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني
٣٩.الجوهرة النيرة ، لأبي بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي اليمني - الزَّبِيديّ (المتوفى : ٨٠٠هـ) ،
٤٠.الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، لعلي بن محمد الماوردي البصري الشافعي (الوفاة: ٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

٤١. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي الوفاة: ٣٠٣ هـ ، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦ هـ الطبعة : الأولى، تحقيق : أحمد ميرين البلوشي.
٤٢. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي الوفاة: ٩١١ هـ - دار الفكر - بيروت – ١٩٩٣ .
٤٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي الوفاة: ١٢٧٠هـ -، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٤. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي الوفاة: ٩٤٢هـ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ الطبعة : الأولى، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.
٤٥. السنّة ، أبو بكر الخلال، الوفاة: ٣١١ هـ ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عطية الزهراني.
٤٦. سنن ابن ماجه القزويني الوفاة: ٢٧٥ هـ : دار الفكر - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٧. سنن البيهقي الكبرى للبيهقي الوفاة: ٤٥٨ هـ مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
٤٨. سنن الترمذي، الوفاة: ٢٧٩ هـ-: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

٤٩. السنن الكبرى، النسائي، الوفاة: ٣٠٣ هـ -،: دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١ – ١٩٩١، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.
٥٠. سير أعلام النبلاء ، الذهبي (الوفاة: ٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.
٥١. سيرة ابن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي–، محمد بن إسحاق بن يسار الوفاة: ١٥١هـ معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق : محمد حميد الله.
٥٢. شذرات الذهب دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ الطبعة : ط١، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط .
٥٣. شرح صحيح البخاري، ابن بطال البكري القرطبي الوفاة: ٤٤٩هـ مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة : الثانية، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
٥٤. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المدائني الوفاة: ٦٥٥ هـ ،.: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.
٥٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الوفاة: ٣٥٤ هـ ،: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

٥٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الوفاة: ٣٥٤ هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرنئوط،

٥٧. صحيح ابن حبان ج١٥/ص٣٩٩ الحديث رقم٦٩٤٨ : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٥٨. صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة : الثالثة، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

٥٩. صحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٦٠. صحيح مسلم بشرح النووي،: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الوفاة: ٦٧٦ هـ –،: دار إحياء التراث العربي – بيروت –

٦١. صفة الصفوة، ابن الجوزي،

٦٢. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي
(الوفاة: ٩٧٣هـ)،: مؤسسة الرسالة – لبنان – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل محمد الخراط.

٦٣. الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (المتوفى : ١٠١٠هـ) ،.

٦٤. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي الوفاة: ٧٧١هـ هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ الطبعة : ط٢، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو.

٦٥. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد المتوفى سنة: ٢٣٠، دار صادر – بيروت

٦٦. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد الأنصاري الوفاة: ٣٦٩هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي.

٦٧. العبر في خبر من غبر، الذهبي الوفاة: ٧٤٨هـ مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤، الطبعة : ط٢، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد.

٦٨. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني البغدادي الوفاة: ٣٨٥ هـ: دار طيبة – الرياض – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي.

٦٩. العناية شرح الهداية ، لمحمد بن محمد البابرتي (المتوفى : ٧٨٦هـ)

٧٠. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، ابن العربي(الوفاة : ٥٤٣هـ) ، الدار السعودية للنشر ، الطبعة الثانية[1](ذو الحجة ١٣٨٧ جده) السعودية، حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب.

٧١. غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي،(الوفاة ٥٨٥ هـ) ص ١١. مؤسسة الإمام الصادق (ع) تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري / إشراف : جعفر

١ – الطبعة الأولى : القاهرة ، رمضان ١٢٧١هـ.

السبحاني، سنة الطبع : محرم الحرام ١٤١٧ هـ توزيع : مكتبة التوحيد.

٧٢. فتاوى السبكي، الوفاة: ٧٥٦هـ ،دار المعرفة – لبنان/ بيروت.

٧٣. فتح الملك العلي،المؤلف : أحمد بن محمد الحسني المغربي، المطبعة : مطابع نقش جهان، طهران، سنة الطبع : ١٤٠٣ هـ

٧٤. الفصول المهمة في تأليف الأمة، السيد شرف الدين(الوفاة : ١٣٧٧) ، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة،الطبعة : الأولى.

٧٥. قراءة في سلوك الصحابة، المؤلّف، مؤسسة الفكر الإسلامي، هولندا،٢٠٠٣ م.

٧٦. الكامل، ابن الأثير الجزري (المتوفى: ٦٣٠ هـ)تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م.

٧٧. كتاب الضعفاء والمتروكين ، ابن الجوزي (الوفاة: ٥٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله القاضي.

٧٨. كتاب الضعفاء والمتروكين ، ابن الجوزي (الوفاة: ٥٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله القاضي.

٧٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة الكوفي الوفاة: ٢٣٥ هـ مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

٨٠. الكشف والبيان تفسير الثعلبي النيسابوري ،الوفاة: ٤٢٧ هـ – ١٠٣٥م –، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي
٨١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب الحسيني الكفومي، الوفاة: ١٠٩٤ هـ: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري.
٨٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، اسم المؤلف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.
٨٣. لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري الوفاة: ٧١١ –، ج ٧ ص ٤٣٠ : دار صادر، بيروت، الطبعة : الأولى].
٨٤. لماذا اخترت مذهب أهل البيت، الشيخ محمد مرعي الأنطاكي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة : الأولى / ١٤١٧ ق ، ١٣٧٥ ش . تحقيق : الشيخ عبد الكريم العقيلي . سنة الطبع : ١٤١٧ – ١٣٧٥ ش.
٨٥. المبسوط ، شمس الدين السرخسي (الوفاة: ٤٨٣ هـ)،: دار المعرفة ، بيروت.

٨٦. المجتبى من السنن، النسائي، الوفاة: ٣٠٣ هـ -،: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة.
٨٧. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر لعبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده الوفاة: ١٠٧٨هـ ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خرج آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور.
٨٨. المجموع للنووي الوفاة: ٦٧٦ هـ -، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م. و الآداب الشرعية.
٨٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الوفاة: ٤٥٨هـ ـ : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد الحميد هنداوي].
٩٠. المحلى، ابن حزم الظاهري الأندلسي الوفاة: ٤٥٦، دار الآفاق الجديدة - بيروت، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي.
٩١. مختار الصحاح، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر الرازي الوفاة: ٧٢١ هـ: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة : طبعة جديدة،
٩٢. المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي الوفاة: ٤٥٨هـ-، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل إبراهم جفال.

٩٣. مرقاة المفاتيح، علي القاري، ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ – الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني .

٩٤. مسند أبي داود الطيالسي، المتوفى سنة ٢٠٤ –: دار المعرفة – بيروت –

٩٥. مسند أبي يعلى الموصلي التميمي الوفاة: ٣٠٧ هـ–، دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة : الأولى، تحقيق : حسين سليم أسد.

٩٦. مسند أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ هـ مؤسسة قرطبة – مصر.

٩٧. مسند أحمد بن حنبل، الوفاة: ٢٤١ هـ ، مؤسسة قرطبة – مصر

٩٨. مسند الحميدي الوفاة: ٢١٩هـ ، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي – بيروت ، القاهرة، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي..

٩٩. مصنف ابن أبي شيبة الوفاة: ٢٣٥ –: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة : الأولى، تحقيق : كمال يوسف الحوت

١٠٠. مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني الوفاة: ٢١١، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

١٠١. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر العسقلاني (الوفاة: ٨٥٢) دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية – ١٤١٩هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري

١٠٢. المعجم الأوسط، الطبراني الوفاة: ٣٦٠ ـ: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
١٠٣. المعجم الكبير الطبراني /ت/ سنة٣٦٠ مكتبة العلوم و الحكم الموصل ١٤٠٤ هـ .
١٠٤. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني الوفاة: ٣٦٠ هـ مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي
١٠٥. المعجم الكبير: أبو القاسم الطبراني، مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
١٠٦. معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري الوفاة: ٦٠٦ هـ ، مكتبة الحلواني/مكتبة دار البيان/مطبعة الملاح، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
١٠٧. معرفة السنن والآثار عن الإمام الشافعي للحافظ البيهقي الخسروجردي الوفاة: ١٠/جمادى الأولى/ ٤٥٨ هـ: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، تحقيق : سيد كسروي حسن.
١٠٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الوفاة: ٥٠٢هـ ـ، ، دار المعرفة – لبنان، تحقيق : محمد سيد كيلاني.
١٠٩. المنتظم لابن الجوزي

١١٠. المنح المرعية لمحمد بن مفلح المقدسي الوفاة: ٧٦٣هـ-،: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.

١١١. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية الحراني الوفاة: ٧٢٨ هـ -، مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم] .

١١٢. موسوعة أعمال عباس محمود العقاد، المجلد الرابع ، دار الكتاب اللبناني

١١٣. الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي الوفاة: ١٧٩ هـ ، دار إحياء التراث العربي - مصر - -، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١١٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي الوفاة: ٧٤٨ هـ -،: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.. .

١١٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي الوفاة: ٧٤٨، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .الناشر : مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي ع- العامة — أصفهان .

١١٦. النزاع والتخاصم، تحقيق السيد علي عاشور.

١١٧. نسب قريش، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري الوفاة: ٢٣٦هـ دار المعارف - القاهرة، تحقيق : ليفي بروفسال.

١١٨. نصب الراية لأحاديث الهداية ، عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي (الوفاة: ٧٦٢ هـ)،: دار الحديث ، مصر ، ١٣٥٧ ، تحقيق : محمد يوسف البنوري.

١١٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الوفاة: ٨٧٥، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٢٠. سنن النسائي الكبرى:دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .

١٢١. سنن النسائي المجتبى-: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،

١٢٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

١٢٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي الوفاة: ٨٧٥ هـ -، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٢٤. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك العاصمي المكي الوفاة: ١١١١هـ: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض

١٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان الإربلي(المتوفى،٦٨١ هـ) دار صادر - بيروت تحقيق : المحقق : إحسان عباس